المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

نظم الحكومة الإسلامية في الأندلس
في عهد بني أمية
خـــلال الفتـــرة
من ١٣٨ - ٣٦٦ هـ / ٧٥٦ - ٩٧٦ م

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الحضارة والنظم الإسلامية

إعداد الطالب

محمد أبو محمد إمام

إشراف الأستاذ الدكتور

ضيف الله يحيى الزهراني

١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م

المبحث الأول

خطة القضاء في الأندلس ١٣٨ – ٣٦٦ هـ

القضاء لغة واصطلاحا :

ورد القضاء في اللغة بمعان عديدة، فقد ورد بمعنى القطع أو الفصل يقال قضى يقضي فهو قاض اذا حكم وفصل، وقضاء الشيء احكامه وامضاؤه، والفراغ منه، وورد أيضا بمعنى الحكم والحتم والالزام (١) .

أما في الاصطلاح فهو : " الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للنزاع بالأحكام الشرعية" (٢) .

مشروعيته من الكتاب والسنة :

من الكتاب قوله تعالى : " فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم " (٣) . " وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين " (٤) . وهناك الكثير من الآيات القرآنية الأخرى الدالة على مشروعية القضاء .

وأما في السنة : فقد روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا حكم الحاكم فاجتهد فله أجران، واذا حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر " (٥) .

حكم القضاء :-

القضاء فرض كفاية على علماء المسلمين لأن أمر الناس لايستقيم بدونه، فكان واجبا على الكفاية كالاجتهاد، ولايتعين على أحد إلا إذا لم يوجد غيره، وكان مستوفيا لشروطه (٦) .

(١) الزبيدي، محب الدين ابو الفيض الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس ج ١٠، ص ٢٩٦، الجوهري الصحاح، ج ٦، ص ٢٤٦٣، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥ ص ١٨٦، د. ابراهيم نجيب عوض، القضاء في الاسلام تاريخه ونظامه، ص ٥٤ .
(٢) ابن خلدون، المقدمه، ص ٢٢٠، د. ابراهيم نجيب، القضاء في الاسلام، ص ٧ .
(٣) المائدة : ٤٨ .
(٤) المائدة : ٤٢ .
(٥) صحيح مسلم، ج ٦، ص ١٣٤٣، سنن أبي داود، ج ٢، ص ٢٦٨ .
(٦) د. ابراهيم نجيب، القضاء في الاسلام، ص ٩ .

شروط متولى القضاء :

اشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون مسلما ذكرا عاقلا بالغا حرا عدلا .(١)

القضاء فى الأندلس ١٣٨ - ٣٦٦ هـ :-

لقد أمدتنا المصادر التاريخية ،والفقهية ،والأدبية الأندلسية بمعلومات وافرة وقيمة من خطة القضاء فى الأندلس ،وأهمية منصب القاضى ودوره فى ارساء قيم العدالة والمساواة بين افراد المجتمع الاندلسى . وأسهبت هذه المصادر فى الحديث عن هذه الخطة ،والمعلومات المتوفره عنها تكاد تكون شاملة الى حد كبير ،مما يعيننا على تفهم ودراسة خطة القضاء بصورة أوفى .(٢)

وهذا ان دل على شئ ،فانما يدل على إهتمام الامويين الاندلسيين البالغ بهذه الخطة ،واعطائها مكانتها اللائقة بها ،لما لها من اهمية عظمى فى حياة الامة .

يقول ابن سهل الاندلسى : " ان خطة القضاء من أعظم الخطط وأجلها خطرا ،لاسيما اذا اجتمعت اليها الصلاة ،وعلى القاضى مدار الاحكام ،واليه النظر فى جميع وجوه القضاء " .(٣)

(١) السمنانى ،على بن محمد بن أحمد الرحبى المتوفى سنة ٤٩٩هـ ،روضة القضاة وطريق النجاة ،تحقيق د. صلاح الدين الناهى ،مطبعة اسعد بغداد ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) من هذه المصادر : الخشنى القروى ،قضاة قرطبة ، ابو الحسن النباهى ،المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، ابن سعيد ،المغرب فى حلى المغرب ، ابن حيان ،المقتبس ،الجزء الذى حققه د. محمود على مكى ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ،القاضى عياض ،ترتيب المدارك . اضافة الى المصادر التاريخية والفقهية والادبية التى تحدثت من الاندلس بصورة عامة .

(٣) القاضى أبو الاصبغ عيسى بن سهل ، الاحكام الكبرى ،مخطوط ،برقم ٢٠٠ مصور بالميكروفيلم ،مركز البحث العلمى ،جامعة ام القرى ،ص ٢ .

ويقول المقري التلمساني : " واما خطة القضاء بالاندلس فهي اعظم الخطط عند الخاصة والعامة ،لتعلقها بأمور الدين ،وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدى القاضي ،هذا وضعها في زمان بنى أمية ومن سلك مسلكهم " (١) .

ولذلك فقد كان الامويون يكبرون من يتولى هذه الخطة ،ويختارون من يصلح لها علما وفضلا ،ويوفونهم حقوقهم فيها ،فكان للقضاة المنزلة العالية ،والرتبة السامية ،مع انقياد الخلفاء لاحكامهم (٢) ؛ فكانوا لايستقضون الا من وثقوا في عفافه ،وصلاحه ،وفهمه ،وعلمه بالكتاب والسنه والفقه وأن يكون مجتهدا (٣) .

اختصاصات القاضي :-

يشتمل نظر القاضي صاحب الولاية العامة على عشرة احكام (٤) :-

أولا : قطع التشاجر والخصام بين المتنازعين اما بصلح عن تراض "يسراعى به الجواز " واما باجبار بحكم يعتبر فيه الوجوب .

ثانيا : استيفاء الحق لمن طلبه ،وتوصيله الى يده ،اما باقرار أو ببينة .

ثالثا : الزام الولاية على السفهاء والمجانين ،والحجر على المفلس حفظا للاموال .

رابعا : النظر في الأحباس والوقوف والتفقد لاحوالها واحوال الناظر فيها .

خامسا : تنفيذ الوصايا على شروط الموصى اذا وافقت الشرع .

سادسا : تزويج الايامى من الاكفاء اذا عدم الاولياء وأردن التزويج .

سابعا : اقامة الحدود .

ثامنا : النظر في المصالح العامه من كف التعدى في الطرقات والافنيه .

تاسعا : تصفح الشهود وتفقد الامناء ،واختيار من يرتضيه لذلك .

عاشرا : التسوية في الحكم بين القوى والضعيف ،وتوخى العدل بين الشريف والمشروف .

(١) نفح الطيب ، ١ / ٢١٨ .

(٢) محمد بن على بن الشباط التوزرى المصرى ،وصف الاندلس ،ص ١١٤ .

(٣) ابو الحسن النباهى ،المرقبة العليا ،ص ٢٠ ، ٢٠٦ .

(٤) ابو الحسن النباهى ،المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،ص ٥ — ٦

تلك هى الاختصاصات التى يرى الفقهاء أن للقضاة حق النظر فيها ولكن على الرغم من تحديدهم لهذه الاختصاصات ، الا ان نظر القاضى فى الاندلس لم يقف فى كثير من الاحيان عند هذه الامور فقط ، فقد يكلف فى بعض الاحيان ببعض الامور التى يرى السلطان أن يكلفه بها .

ظهور مسمى قاضى الجماعة بالاندلس :

لما دخل عبد الرحمن بن معاوية الاندلس وتولى الامر وجد فيها يحى بن يزيد التجيبى (١) قاضيا فأثبته على القضاء ولم يعزله ، فلما امتنع عليه يوسف الفهرى بغرناطة واضطره الامير عبد الرحمن الى النزول ، أمر الفهرى على حضور القاضى يحى بن يزيد التجيبى ، فحضر وكتب فى كتاب المقاضاة " وذلك بمحضر يحى ابن يزيد قاضى الجماعة " (٢) .

ومنذ ذلك الحين ، صار يطلق على القاضى لفظ قاضى الجماعة ، وكان يطلق عليه من قبل قاضى الجند ، فقد ذكر محمد بن حارث الخشنى : أنه رأى سجلا عقده محمد بن بشير (٣) قاضى الجند بقرطبة ، وقال ان تسمية القاضى اليوم بقاضى الجماعة اسم محدث لم يكن فى القديم " (٤) .

ويقول النباهى " واضافة لفظ القضاء الى الجماعة ، جرى التزامه بالاندلس منذ سنين الى هذا العهد ، والظاهر أن المراد بالجماعة جماعة القضاة ، اذ كانت ولايتهم قبل اليوم غالبا من القاضى بالحضرة السلطانية كائنا من كان فبقى الرسم كذلك " (٥) .

(١) يحى بن يزيد التجيبى ، ولاه القضاء بالاندلس عمر بن عبد العزيز وكان رجلا صالحا ، ورعا متقشفا . النباهى ، المرقبة العليا ، ص ٤٣ .

(٢) محمد بن حارث الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ٤٧ .

(٣) محمد بن بشير قاضى الجماعة بقرطبة ، خرج حاجا فلقى مالك بن أنس وجالسه وسمع منه . ولما عاد الى الاندلس استقضاه الحكم بن هشام . توفى سنة ١٩٨هـ . الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٦٢ ، ترجمة رقم ٦٩ ، النباهى تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٤٧ ، ٥١ .

(٤) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ٤٧ .

(٥) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، ص ٢١ .

وهذا التعليل الذى أورده النباهي من ان المراد بالجماعة هي جماعة القضاه ليس صحيحا على مايبدو ،فالقاضي هو قاضي جماعة المسلمين وليس له سلطات على بقية القضاة من حيث توليتهم وعزلهم كما هو الحال في قاضي القضاة في المشرق .

ويورد ابن القوطية[1] نصا آخر يذكر فيه : أن القاضي عمرو بن عبدالله هو أول من تسمى بقرطبة بقاضي الجماعة اذ لم يكن من الجند فينتسب اليهم وكان القضاة قبله من أجناد العرب . فكان قاضيا الى آن توفى الامير محمد[2] .

لقد ذكرت من قبل أن العرب الفاتحين ،عندما دخلوا الاندلس ،نزلوا في اجناد محددة ومعروفة مثل جند مصر بباجة ،وجند الاردن في كورة رية ، وجند فلسطين بكورتي شذونه والجزيرة ،وجند دمشق بكورة البيرة[3] ،ولذا فقد عرف القاضي بقاضي الجند الذى ينتمي اليه . وصحيح أن القاضي عمرو بن عبد الله لم يكن من أجناد العرب ،ولكنه ليس أول من تسمى بقاضي الجماعة لان هذا المسمى عرف منذ الايام الاولى التي تم فيها تأسيس الدولة الاموية بالاندلس في سنة ١٣٨هـ . والقاضي عمرو بن عبد الله ولى القضاء في عصر الامير محمد بن عبد الرحمن بعد أكثر من قرن من تأسيس الدولة .

وبالرجوع الى سيرة القاضي عمرو بن عبد الله عند الخشني نجده يقول " .. كان مولى ،وهو أول من ولى قضاء الجماعة للخلفاء من الموالي فشق ذلك على العرب وتكلموا فيه "[4] .

(١) عمرو بن عبد الله بن لبيب القاضي مولى احدى بنات الامير عبد الرحمن بن معاوية ،استقضاه الامير محمد سنتين ثم عزله . توفى في المحرم سنة ٢٧٣ هـ . ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،٥٣٩/٢،ترجمه رقم ٩٣٦ .

(٢) تاريخ افتتاح الاندلس ،ص ٨٨ .

(٣) ابن الابار ،الحلة السيراء ،جـ ١ ،ص ٦١ – ٦٢ .

(٤) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ١٤٦ .

اذن فهناك فرق واضح بين ما أورده ابن القوطية ،وما أورده الخشني فالقاضي عمرو بن عبد الله أول قاضي يلي قضاء الجماعة للامراء من الموالي وليس أول من تسمى بقرطبة بقاضي الجماعة • ويبدو أن ابن القوطية بما عرف عنه من تعصب لبني جلدته من الموالي ،قد عمد الى جعل عمرو بن عبد الله أول من ولي قضاء الجماعة بقرطبة وليس ذلك بصحيح •

نخلص الى أن القاضي كان يقال له قاضي الجند ،فلما تأسست الدولة الاموية أصبح يسمى بقاضي الجماعة •

وهذا التطور معقول " ففي فترة الولاة كان المسلمون هم الجند ، ولهذا كان القاضي قاضيهم ،فلما قامت الدولة الاموية واجتمع حولها الناس ، وكان الاسلام قد انتشر أصبح القاضي يسمى قاضي الجماعة ••• غير أننا ينبغي أن نفرق بين قاضي الجند وقاضي العسكر ،فان وظيفة قاضي العسكر نشأت بعد تسمية قاضي الجند بقاضي الجماعة ،واضطراره الى الاستقرار في العاصمة ،ومست الحاجة الى اقامة قاضي خاص بالعسكر ،يخرج مع الجيش ويعود معه " (١) •

وكان قاضي الجماعة يعد من ضمن ثلاثة مناصب كبرى مستقلة في ادارتها وهي امارة الثغور ومقرها سرقسطة ،وأمارة البحر في المرية ،وقضاء الجماعة بقرطبة (٢) •

ولفظ قاضي الجماعة لايطلق الا لمن هو وال للحكم الشرعي في مدينة جليله (٣) ،اما المدن الصغيرة فلا يطلق على صاحبها الا (مسدد خاصة)

---

(١) د• حسين مؤنس ،فجر الأندلس ،ص ٦٤٥ •

(٢) ابن سماك العاملي ،الزهرات المنثورة ،ص ١٢٨ ،عبد الحميد العبادي المجمل في تاريخ الاندلس ،ص ١٤٦ •

(٣) المقري ،نفح الطيب ١، / ٢١٨ •

كان قاضي الجماعة لايطلق الا لمن كان بالعاصمة قرطبة ،وذلك خلال الفترة التى نتحدث عنها ،ويبدو أنها صارت تطلق على قضاة المدن الكبيرة فيما بعد كما ذكر المقرى فى النص السابق . اما قضاة المدن الصغيرة الذين يطلق عليهم " مسدد خاصة " فلم أقف على كنه هذا المصطلح خلال الفترة التى اتحدث عنها . وهو مصطلح متأخر عن فترة البحث .

وعلى اية حال ،فان مسمى قاضي الجماعة اصبح يطلق على القضاة فى الاندلس بعد فترة وجيزة من دخول عبد الرحمن بن معاوية ،وتوليه زمام الامور ،الا أنه ينبغى ملاحظة أن قاضي الجماعة فى الاندلس لم يكن كقاضى القضاه فى الدولة العباسية ،لان حدود صلاحياته لاتتعدى العاصمة قرطبة .

وأما قاضي القضاة فى الدولة العباسية فكانت صلاحياته تشمل القضاء فى انحاء الدولة الاسلامية كلها .(1)

اما لفظ قاضي القضاة في الاندلس خلال فترة البحث فلم يظهر الا فى عصر الخلافة حسب ما أعلم ،فقد وردت أول اشارة الى قاضي القضاة فى سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م ، اذ يذكر ابن حيان في احداث هذه السنه ،أن القاضي منذر بن سعيد البلوطي ،صير فى هذه السنة قاضي القضاة فى جميع الثغور،وجعل اليه الاشراف على جميع القضاة والعمال بها ،والنظر فى المختلفين من بلاد الافرنج عليها .(٢)

وهذه معلومة مهمة ،وقد جعلت مهمة قاضي القضاة هى الاشراف على جميع القضاة والعمال في هذه الثغور ،ولم يقتصر اشرافه على القضاة فقط ،كما هو الحال بالنسبة لقاضي القضاة بالمشرق ،وانما أضيف اليه الاشراف على العمال فى هذه الثغور ،وكذلك الداخلين اليها من بلاد الافرنج ،ولكن

---

(١) انظر الكتانى ، التراتيب الادارية ، ج ١ ،ص ٢٦٣ .

(٢) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق ب . شالميتا ،ص ٤٨٨ .

مهمة قاضي القضاة هذه ،لم تتعدى حدود الثغور ،اذ كان لقرطبة العاصمة (قاضي جماعة) كما كان للكور والاقاليم الاخرى قضاتها ،فما هو السبب الذى حدا بالناصر الى جعل المنذر بن سعيد قاضياً للقضاة فى هذه الثغور،وليس قاضيا فقط ؟ أرى أن هذه الثغور كانت من الاهمية بمكان لإنها تتاخم النصارى ،وتشكل سداً منيعا امامهم ،وتمنعهم من دخول اراضى الدولة الاسلامية فكان لابد من ضبطها ،واحكامها بواسطة شخصية قوية قادرة على تحمل المسئولية من حيث الاشراف على القضاة والعمال فى ان واحد • وقد كان المنذر اهلا لذلك •

وفى عصر الخليفة الحكم المستنصر ،نجد ان لقب قاضي القضاة يطالعنا للمرة الثانية فى هذا العصر • اذى يروى ابن حيان فى سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م : أن الخليفة الحكم ارسل ثقته محمد بن عبد الله بن ابى عامر الى العدوة ،بأحمال مال وعلى وخلع لفضها على النزاع ،والمستمالين من اكابر البربر الى الطاعة ،ثم يقول " وولاه فى هذا الوقت قضاء القضاه بالعدوة ،مجموعا الى مايتقلده من خطتى الشرطة الوسطى والعليا والمواريث وقضاء كورة اشبيلية ، فارتفع قدره فى الدولة ،وبلامنه السلطان نصيحه وكفاية مكنتا لديه الحظوة " (1) •

ان تولية المستنصر لابن ابى عامر قضاء القضاة بالعدوة للاشراف على قضاتها امر له مغزاه ،فهى بعيدة عن العاصمة قرطبة ،ومركزا لتنافس الامويين والفاطميين ،فكان لابد من تولية شخص يشرف على اعمال القضاة فى المناطق التى تدين بالولاء للخليفة الاموى بالاندلس •

---

(١) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق الحجى ، ص ١٢٢ •

القضـــاة في هذا العهــــــد

اختيارهــــم ــ مواقفهم ــ عزلهــم

نظرا لكثرة القضاة الذين استقضوا خلال فترة البحث فسنكتفي بأخذ نماذج فقط نتناولهم بالحديث من حيث اختيارهم ــ مواقفهـــم ــ عزلهـــم.

كان الامير عبد الرحمن بن معاوية يولي القضاة من قبله باعتباره صاحب الولاية العامة. وكان يستشير أصحابه فيمن يوليه القضاء. فقد استشارهم فيمن يوليه القضاء بقرطبة، فأشار عليه ابنه هشام وحاجبه ابن مغيث بالمصعب بن عمران (1)، الا انه امتنع من قبول القضاء، وقدم اعذارا ذكر بأنها تعوقه عن اداء مهمته، مما أغضب الامير عبد الرحمن عليه، ثم عفا عنه (٢).

وكان أول قضاته معاوية بن صالح (٣)، الذي قدم عليه من الشام، فولاه القضاء والصلاة (٤). وكان هذا القاضي الى جانب قضائه يشارك في الغزوات مع الامير عبد الرحمن، فحينما غزا سرقسطة لمحاربة ابن الاعرابي، خرج معه معاوية بن صالح، فكان اذا هتف على الجند الى الخروج، خرج معاوية في كتيبة من جند مصر، فلايزال واقفا في مركزه متوكئا على قوسه حتى تنجلي الحرب (٥). وكان يمضي الليل قائما بالصلاة، وعند الصبح يلبس لباسه وسلاحه ليصطف مع الجنود للقتال (٦).

---

(1) هو المصعب بن عمران بن شفي بن كعب بن كعبر بن الدجن بن زيد بن عمرو بن امرئ القيس الهمداني، دخل الاندلس في ايام عبد الرحمن بن معاوية وكان راوية عن الاوزاعي وغيره من الشاميين، وروى عن المدنيين، وكان لايقلد مذهبا خيرا فاضلا، ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ٢ / ٨٣١، ترجمه رقم ١٤٣٠.

(٢) النباهي، تاريخ قضاة الاندلس، ص ١٢.

(٣) معاوية بن صالح بن عثمان بن سعيد بن سعد الحضرمي الحمصي، يكنى أبا عبد الرحمن وأبا عمرو وكان فقيها راوية من الشاميين. أرسله عبدالرحمن بن معاوية الى الشام في بعض مهماته فلما رجع ولاه قضاء الجماعه. توفي سنة ١٥٨هـ. ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس ٨٣٨/٢، ترجمة رقم ١٤٤٢، الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٥٨، ترجمة رقم ١٣٣٨.

(٤) الخشني، قضاة قرطبة، ص ٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٤.

وكان هذا القاضي من جلة اهل العلم وكبار رواة الحديث ،وقد روى عنه مالك بن أنس حديثا واحدا . وكان ممن يستغنى بعقله وعلمه وفهمه من مشاورة غيره (١) .

هذا أول قاض استقضاه عبد الرحمن بن معاوية ،وكان اختياره له اختيارا موفقا ، فقد كان من أهل العلم ورواة الحديث وذوى الحجا، وقدم مثلا رائعا للقاضي المجاهد ،الذى يشارك فى الغزو مع جيش المسلمين ، ويصبر على شدة الحرب ولأوائها .

واستقضى الامير عبد الرحمن بعد معاوية بن صالح ،عمر بن شراحيل (٢)، ثم عزله عبد الرحمن بن معاوية ،وأعاد معاوية بن صالح الى قضاء الجماعة فكان الاثنان يتداولان القضاء بينهما واقاما بذلك مدة من الدهر (٣) .

وفى عهد الامير هشام بن عبد الرحمن ١٧٢ - ١٨٠هـ / ٧٨٨ - ٧٩٦م، استقضى المصعب بن عمران الذى سبق له أن رفض القضاء فى عهد والده عبد الرحمن وكان هذا القاضي مجتهدا لايقلد مذهبا ويقضى بما يراه صوابا (٤) .

" وكان فى قضائه من أهل العدل والسيرة المحموده ،صلبا فى الحق ، منفذا له على الخاصة والعامة (٥) " ولما عرض الامير هشام عليه القضاء امتنع عن توليه معاجل هشام يتهدده وتوعده ،وحمله على القضاء مكرها ، فاشترط عليه أن يأذن له بالعمل يومين فى ضيعته ويحكم بسائر الايام فأجابه الامير الى ذلك (٦) " .

---

(١) النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٥٤ .

(٢) هو عمرو بن شراحيل بن محمد المعافرى، من أهل قرطبة ، انتقل الى الاندلس واستوطنها وله بها أولاد معروفون . وهو جد بنى شراحيل بالاندلس . ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة ٩٣٤. الضبى ،بغية الملتمس ، ترجمة رقم ١٢٣٨ .

(٣) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص ٦١ .

(٤) النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ، ابن سعيد ،المغرب فى حلى المغرب ١٤٤/١.

(٥) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص ٦٨ .

(٦) النباهى ، تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٤٥ .

ولما توفى الامير هشام ،١٨٠هـ / ٧٩٦م ،أقر خلفه الحكم بن هشام ١٨٠ – ٢٠٦هـ / ٧٩٦ – ٨٢١م ، المصعب بن عمران على قضاء الجماعة بقرطبة وعلى الصلاة ،وكان يعرف صلابته وتنفيذه ،فكان يؤيده ،ولايفت فى عضده ويجيز امضاءه ،وينفذ احكامه وان وقعت بغير المحبوب منه (١) •

وقد كفى المصعب بن عمران أمور الرعية للحكم ،بفضله وعدله وورعه وزهده ،فلما مرض المصعب مرضا شديدا اغتم الحكم لمرضه ،وأرق فى تلك الليلة أرقا شديدا ،وبعد عنه النوم ،وجعل يتململ فى فراشه ،فسأله يزيد فتاه مالى أراك الليلة متململا وقد زال عنك النوم ؟ فقال له ويحك انى سمعت الليلة ناعية وقاضينا مريض ،فما أراه الا قد قضى نحبه ،وأين لنا بمثله ؟ ومن يقوم للرعية مقامه ؟ وقد مات المصعب فى تلك الليلة (٢) •

لقد كان المصعب بن عمران مثالا للقاضى الامين الزاهد الذى لايخشى فى الله لومة لائم – وقد عرض عليه الامير عبد الرحمن بن معاوية القضاء ولكنه رفض تولى هذا المنصب على الرغم من غضب الامير عليه ،وذلك كله خشية الجور والميل نحو السلطان والدنيا ،ولما عرض عليه الامير هشام القضاء رفض أيضا وامتنع فتهدده هشام وحمله مكرها على القضاء ،فكان من خيرة القضاة وأعد لهم سيرة ،فلما توفى افتقده الامير قبل الرعية ،واغتم لفقده • ومثل هذا القاضى هو الذى يطمئن اليه الامير لانه يعتبر الحارس الامين لحقوق الرعية من الضياع والشتات ،مقيما للعدالة والمساواة •

وبعد وفاة المصعب ،استقضى الحكم محمد بن بشير (*) " فكان أقصد الناس الى حق ،وأبعدهم من جور ،وأنفذهم بحكم " (٣) • وكان الامير الحكم قد استشار وزراءه فيمن يستقضيه بعد وفاة المصعب ،فأجمعوا على محمد بن بشير كاتب المصعب ،وكان قد شهر عفافه واستقلاله فى عهد المصعب فولاه القضاء (٤) •

---

(١) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص ٦٨ ،النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٤٥ – ٤٦ •

(٢) ابن عبد ربه ،العقد الفريد ،٢١٧/٥ ،ابن عذارى ،البيان ،٢ / ٧٨ •

(*) سبقت ترجمته ص٥٥ •

(٣) ابن عبد ربه ،العقد الفريد ،٢١٧/٥ ،ابن عذارى ،البيان ،٢ / ٧٨ •

(٤) القاضى عياض ،ترتيب المدارك ،٢ / ٤٩٥ •

وقبل أن يذهب الى تولى القضاء ، بعد أن جاءه الأمر بذلك ،عدل في طريقه الى صديق له زاهد عابد ،استشاره في امر قبوله ولاية القضاء ، فقال له صديقه العابد :" أصدقني في ثلاثة أسألك عنها : كيف مدح الناس وذمهم من قلبك ؟ وكيف حبك في أن يخدمك الفتيان ،وتكثر بين يديك الالوان ؟ وكيف حبك للباس الفاره ؟ فقال ابن بشير : اما مدح الناس وذمهم فما أبالي من مدحني أو ذمني في الله عزوجل ،وأما أن تخدمني الفتيان وتكثر بين يدى الالوان فما أجد قلبي يتوق الى ذلك ولايشتهيه ، وأما الركوب واللباس فما أفضل على ملبس ومركوبي شيئا سواه ابدا ،قال فاقبل القضاء ولابأس عليك "(١) .

فلما وصل الى قرطبة قبل القضاء على ثلاثة شروط : أن ينفذ الحكم على كل احد من الامير الى حارس السوق ،واذا ظهر له عجز أعفى ،وأن يكون رزقه كفافا من المال الفيء فضمنها له الحكم (٢) .

لقد اشترط محمد بن بشير شروطا على الامير الحكم حتى يضمن تنفيذ سير العدالة على كل أفراد الرعية بما فيهم الامير نفسه ،واذا أخل الامير بشرط من هذه الشروط فهو في حل عن القضاء فأجابة الامير الى طلبه . وقد وصف الخشني محمد بن بشير بأنه من عيون قضاة الاندلس ،ومن وجوه أهل القضاء بها ،كان شديد الشكيمة ماضي العزيمة ،مؤثرا للصدق ،صلبا في الحق ،لاهوادة عنده لاهل الحرم ،ولامداهنة في أحكام السلطان ،ولايعبأ بجميع أهل الخدمة ولايمن لاذ بالخليفة من جميع أهل الطبقات (٣) . ومن المطالب التى للقاضي على سلطانه حسبما شرطه محمد بن بشير بتوليته الامانه له على ما أهله اليه ،من القيام بخطته ،وامضاء أحكام الحق على جهته والاقربين من عشيرته وحاشيته (٤) .

---

(١) ابن سعيد ،المغرب في حلى المغرب ،١٤٤/١ - ١٤٥ ،القاضي عياض ،ترتيب المدارك ،٢ / ٤٩٥ - ٤٩٦ .

(٢) النباهي ،المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،ص ٤٨ ،ابن سعيد المغرب ،١٤٤/١ - ١٤٥ ،عياض ،ترتيب المدارك ٢ / ٤٩٦ - ٤٩٧ .

(٣) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ٧٥ .

(٤) النباهي ،المصدر السابق ،ص ٥١ .

لقد كان محمد بن بشير نموذجا فريدا من القضاة الاندلسيين الذين لاتأخذهم في الله لومة لائم ،وينفذون أحكامهم على كل افراد الرعية،بما فيهم الامير ، وأفراد حاشيته المقربين لديه ،وأهل خدمته ،تحقيقا للعدالة والمساواة بين الجميع ،وقد احسن عندما اشترط على الامير هذه الشروط قبل أن يتولى الولاية ،حتى لاتكون هناك حجة عليه من أحد ايا كانت سلطته وأيا كان موقعه وقرابته من الامير .

توفي محمد بن بشير في سنة ١٩٨هـ / ٨١٣م ،فجزع عليه الحكم جزعا شديدا ،وكان يدعو الله في الليله التي توفي فيها ابن بشير ان يحسن عزاءه عنه ،ويجعل له عوضا منه (١) .

واستقضى الحكم بعده أبو القاسم الفرج بن كنانه . وكان خيرا فاضلا ذا وقار وسمت يعظم بهما في العيون والقلوب (٢) وهو من الفقهاء المعدودين بالاندلس في صدور القضاة ،وقد رحل الى المشرق وسمع من عبد الرحمن بن القاسم وغيره ،واستخلصه الامير الحكم وولاه قضاء الجماعة بقرطبة (٣) .

وكان فارسا شجاعا يقود الخيل ،ويتصرف للسلطان في الولايات . وقد غزا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ،معقودا له على جند شذونة بلده الى جليقية،وقدمه عبد الكريم الى جمع النصرانية فعضهم ،وقتل فيهم قتلا ذريعا ،وولي قاضيا وصاحب صلاة زمانا ،ثم استعفى وأخرجه الامير الى الثغر الاقصى ،فقام مقام صدور الغزاه ،وكان له قدر جليل في الناس (٤) .

(١) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ٨٨ ،عياض ،ترتيب المدارك ،٢ / ٥٠٤ .

(٢) فرج بن كنانه بن نزار بن غسان بن مالك بن كنانه الكناني ،من اهل شذونه ،استقضاه الحكم بن هشام بقرطبة بعد محمد بن بشير في سنة ١٩٨هـ فلم يزل قاضيا الى سنة ٢٠٠هـ . ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ، ترجمه ١٠٢٨ ،٢ / ٥٨٦ .

(٣) النباهي ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ٥٤ ،وانظر عياض ،ترتيب المدارك ،٣ / ٥٠ - ٥١ .

لقد كان الفرج بن كنانه من الفقهاء القلائل بالاندلس ،وكان الى جانب فقهه من الفرسان الشجعان الذين يتقدمون الصفوف فى المعارك الحربية ،وقد عقد له على جند بلده ،وقدم لقتال النصارى فى جليقية فأبلى بلاءً حسنا . وهذا الدور الذى قام به يذكرنا بدور القاضى معاوية بن صالح فى عصر الامير عبد الرحمن الداخل .

ونظرا لان الاندلس كانت تعيش فى حالة حرب دائمة ،فلذا نجد القضاة يضربون أروع الامثلة فى تقدم الصفوف فى الغزوات للجهاد فى سبيل الله .

اما الامير عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ / ٨٢١ ـ ٨٥٢م ،فقد استقضى اولا مسرور (١) بن محمد فى سنة ٢٠٧هـ الذى تولى قضاء الجماعة بقرطبة وكان من الصالحين الفضلاء ،استأذن من حضره من الخصوم يوما فى أن يقوم لحاجة يقضيها من حوائج نفسه ،فأذنوا له ،فقام منهم ثم خرج عليهم وفى يده خبزة عجين يريد أن يذهب بها الى الفرن ،فقال له احد الحاضرين أنا أكفيك ذلك أيها القاضى ،فرد عليه قائلا : واذا عزلت من القضاء أين اجدك كل يوم تكفينى حملها ؟ فكما حملتها قبل أن اكون قاضيا احملها اليوم . فأسقط فى يد الرجل (٢) .

ومن قضاة الامير عبد الرحمن الاوسط ،يحى بن معمر الألهانى (٣) ، الذى عرف بصلابة القناة ،وقلة المبالاة بالعتب فى سبيل الحق ،وكان اذا اشكل عليه امر من احكامه ،كتب الى أصبغ بن الفرج (٤) ونظرائه بمصر . فكأنه بذلك

---

(١) مسرور بن محمد الغافقى من اهل قرطبة يكنى ابا نجيح . استقضاه الامير عبد الرحمن بن الحكم سنة سبع ومائتين . توفى سنة ثمان ومائتين . ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ١٤٢٨، ٢ / ٨٣٠ .

(٢) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص١٠٢ .

(٣) هو يحى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أنيف الالهانى ،من العرب الشاميين ،من أهل اشبيلية ،يكنى : أبا بكر . كانت له رحلة لقى فيها أشهب بن عبد العزيز وسمع منه . ولى القضاء سنة ٢٠٩هـ،ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة ١٥٥٣ ،الضبى ،بغية الملتمس ترجمة ١٤٩٢ .

(٤) النباهى ،المرقبة العليا ،ص ٤٤ ـ ٤٥ .

يحقر فقهاء قرطبة . فكان ذلك مدعاة لان يتألب عليه الفقهاء بقرطبة وعلى رأسهم يحى بن يحى ، ويتتبعوا عثراته وزلاته ،وتكالبوا عليه من كل جانب حتى عزل (١).

ويروى أنه قدم قرطبة ليلة عيد بعد توليه القضاء ،وكانت توضع للامام عنزة فى المصلى ،فباكر أهل الدهاء ليختبروا خطبته ،وينتقدوا عليه ،فلما نظر اليهم ،قال للقومة : انى أرى الناس قد تزاحموا فقدموا هذه العنزة ليتسعوا ،فقدمت وتقدم معها أوساط الناس وأحداثهم ،وصار أولئك الذين أرادوا اختباره فى الوراء ،وأصبح حوله من لامكونة عليه منهم (٢).

وهذه الخطوة تدل على ذكاء القاضى يحى بن معمر ،فقد أراد هؤلاء القوم من أهل قرطبة ،من الدهاة ، الذين لم يعجبهم على مايبدو تولية شخص من خارج قرطبة ،قضاء الجماعة والصلاة فيها ،معرفة مقدرة القاضى الخطابية من أول يوم ،ومدى علمه ،والثغرات التى يمكنهم أن ينفذوا بها اليه ،وذلك من خلال اقترابهم منه ،الا أن ابن معمر تنبه الى ذلك وحسم أمرهم .

وبمخالفته لشيخى الفقهاء ،يحى بن يحى ،وعبد الملك بن حبيب ، انقبضا عنه ،فعزل فى آخر سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤م ،فركب بغلته ،وانصرف ،وقال لمن صحبه : يا أهل قرطبة كما جئناكم كذلك ننصرف عنكم (٣).

ولما عزل ابن معمر ،أشار يحى بن يحى على الامير عبد الرحمن بتولية الاسوار بن عقبة قضاء الجماعة (٤) ،وكان صالحا ،فاضلا ،عاقلا ،مسمتا ،حسن

---

(١) القاضى عياض ،ترتيب المدارك ،٣ / ٥٢ .

(٢) ابن سعيد المغربى ،المغرب فى حلى المغرب ،١ / ١٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ١، / ١٤٧ .

(٤) هو أبو عقبة الاسوار بن عقبة بن حسان بن عبد الله النصرى من اهل جيان . الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص ١١٠ .

الحكم وكان من أهل التحري والخير والتواضع وحسن السيرة ،كان يحمل خبزه الى الفرن بنفسه ،ويتصرف في مهنة أهله (١) .

ويروى ابن سعيد عن ابن عبد البر ،أن الاسوار بن عقبة توفي وهو قاض سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م . أما الخشني فيروى أنه عزل من القضاء (٢) ، وأراد الامير أن يعيده مرة أخرى الى القضاء ،الا انه اعتذر بضعفه وعجزه (٣) .

وأعيد ابن معمر مرة اخرى الى القضاء ،بعد عزل أو استعفاء القاضي الاسوار بن عقبة ،وذلك عندما خرج الامير عبد الرحمن الى اشبيلية ، ورأى ابن معمر يعمل في حقله ،ويسقي الماء بنفسه ،فعند ذلك قال : ماأشك في ورع الرجل ،وفضله ،وأظن أن الرافعين عليه متمالئين بالباطل فأعاده الى القضاء (٤) .

ولما احتضر يحى بن معمر باشبيلية ،وأيقن بالموت ،قال لمولى له كان قد صحبه ،من أهل الخير : أستحلفك بالله العظيم اذا مت ان تذهب الى قرطبة ،وتقف بيحى بن يحى وتقول له : يقول لك يحى بن معمر :" وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " (*) فلما مات يحى بن معمر اتى مولاه الى يحى فبلغه ذلك . فبكى يحى بن يحى حتى اخضلت لحيته ،وترحم عليه واستغفر له ،وقال ماأظن الرجل الا خدعنا فيه ووش بيننا وبينه (٥) .

لقد كان سبب استكثار الامير عبد الرحمن الاوسط من القضاة وكثرة توليته وعزله لهم ،هو اتباع رضا كبير الفقهاء والمشاورين يحى بن يحى فكان يشير عليه بتولية القضاة ،وعزلهم ،ويظهر انه أجحف في حق القاضي

---

(١) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ١١١ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ،١ / ١٤٨ .

(٣) قضاة قرطبة ،ص ١١٠ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ١١٢ .

(*) الشعراء ،الاية ٢٢٧ .

(٥) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ١١٤ .

(٦) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق د. محمود علي مكي ،ص ١٧٦ — ١٧٨ .

يحـــــى بن معمر الذي كان يخالفه في الرأى ،وقد أدرك ذلك بعد وفاته فلذلك بكى واستغفر لـــه .

ومن قضاة الأمير عبد الرحمن ،قاضي الجماعة محمد بن سعيد الألبيرى،(١) الذي أشار بتوليته يحى بن يحى للامير عبد الرحمن ،وكان حسن السمـــت ، جميل المذهب في قضائه ،وكان اذا اختلف عليه الفقهاء ،لم يؤثر علــى قول يحى ،فلم يزل قاضيا الى سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م . وعزل من القضــاء بعد ذلك ،وكان سبب عزله ،أنه شاور في قضية ،توقف فيها عن قول يحى ابـن يحى وغيره . ثم شاوره في قضية ثانية ،فقال لرسوله : ما ألك له كتابــا لانى قد أشرت عليه في قضية فلم ينفذ القضاء . فركب من حينه الى يحــى واعتذر له ،ووعده أن ينفذ القضاء من يومه ،فقال : ياهذا انما ظننـت اذ خالفنى أصحابى أنك توقفت مستخيرا الله عزوجل ،متخيرا في القضاء ، فأما اذ تقضي برضا مخلوق ،فارفع تستعفى ،والا رفعت في عزلك فرفع،فعزل "(٢)

وهذا موقف من المواقف الرائعة التى وقفها شيخ الفقهاء يحى بن يحى فحينما علم أن القاضي يسعى لاسترضائه ،ولم يكن توقفه من أجل ان يستخير الله عزوجل ،امره بأن يرفع الى الامير مستعفيا عن القضاء ، والا رفع هو بنفسه الى الامير يطلب منه اعفاء القاضي .

وولى الأمير عبدالرحمن قضاء الجماعة يخامر بن عثمان في سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م(٣) وكان خيرا فاضلا الا أن به جفاء . "(٤) فعامل الناس بخلق صعب ،ومذهب وعر ،

---

(١) هو ابو عبد الله محمد بن سعيد ،أصله من كورة البيرة . ابن سعيـد المغرب ١، / ١٤٩ .

(٢) ابن سعيد ،المغرب ١، / ١٤٩ .

(٣) هو يخامر بن عثمان الشعباني ،من اهل قرطبة . استقضاه الاميــر عبد الرحمن بن الحكم بعد ابراهيم بن العباس القرشي ،ثم عزلــه توفي في سنة ٢٢٧هـ . ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقـم ١٦٤٤ ، ٢ / ٩٤٧ ، ابن سعيد ،المغرب ١، / ١٤٩ — ١٥٠ .

(٤) ابن سعيد ،المغرب ١، / ١٤٩ .

وعلاية جاوزت المقدار ، فلم تحتمل العامة له ذلك ، فتسلطت عليه الالسن وكثرت فيه المقالة .. " (١) .

" ولما انعد يحكم ونظر الى يحى بن يحى وغلبته على قلوب الناس كتب الى عبد الرحمن : انى قدمت قرطبة فوجدت لها اميرين : أمير الاخيار وأمير الاشرار ، فأما امير الاخيار فيحى بن يحى ، واما امير الاشرار فانت فاستجفاه وعزله " (٢) .

وولى بعده الأمير عبد الرحمن قضاء الجماعة ، معاذ بن عثمان الشعبانى ، الذى كان عابدا وزاهدا وخيرا ، حيث تولى القضاء مدة سبعة عشر شهرا ثم عزل (٣) . وكان سبب عزله أنه حفظت عليه فى تلك المدة سبعون قضية ، قضى بها (٤) ، فاستكثرت منه (٥) ، وخيف عليه الزلل .

ولكن الخشنى يرى أن سبب عزله نتيجة لتعجيله الحكم غير صحيح وشكك فى هذا السبب ، واستراب فيه (٦) .

ومن القضاة الذين ولوا القضاء للأمير عبد الرحمن ، القاضى محمد ابن زياد اللخمى (٧) . وكان حسن السيرة ، محمود الولاية ، ومن اهل الفضل والخير (٨) .

وقد شهد عنده شاهد بشهادة ، فقال الشخص الذى شهد عليه وهو والى الشرطة : ومن شهد على ؟ لو كان الشاهد مثل الليث بن سعد ، فقال له

---

(١) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ١٢١ .

(٢) ابن سعيد المغربى ، المغرب ، ١ / ١٤٩ — ١٥٠ .

(٣) النباهى ، المراقبة العليا ، ص ٤٤ .

(٤) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ١٢٥ ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود على مكى ، ص ٢٠٤ .

(٥) النباهى ، المرقبة العليا ، ص ٥٥ .

(٦) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ١٢٥ — ١٢٦ .

(٧) هو محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة اللخمى ، وهو والد القاضى الحبيب بن زياد . الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ١٢٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .

محمد بن زياد : ما الذي أتى بالليث بن سعد هنا ؟ فأمر به وذلك في المسجد ،فقمع اسواطا (1) . وذلك تأديبا له لاسائته الادب مع القاضي،وتحقيره للشخص الذي شهد عليه ،وكان عزل محمد بن زياد عن القضاء في سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م وولى مكانه سعيد بن سليمان بن حبيب (٢) مجموعا له الى الصلاة ، فكان آخر قضاة الامير عبد الرحمن (٣) . وكان الامير عبد الرحمن عندما اراد أن يوليه القضاء بقرطبة أرسل اليه رسولا ،فوجده يشرف على حرث ضيعته بفحص البلوط فقال له الرسول تركب الى قرطبة لان الامير يريد توليتك القضاء ،فقال له : دعني حتى أبلغ منزلي وأتجهز بما أحتاج اليه ،فأبى الرسول أن يتركه ،وقال له كن معي هاهنا وأرسل الى منزلك في دابتك ، وماتحتاج اليه من الزاد ففعل ذلك ،فلما قدم قرطبة ولاه الامير القضاء (٤) .

وقد روى عن محمد بن وضاح أنه كان يقول " ولى القضاء أربعة ماولى القضاء في مملكة الاسلام مثلهم ،فاتصل بهم العدل في آفاقها : دحيم بن الوليد بالشام ، والحارث بن مسكين بمصر ، وسحنون بن سعيد بالقيروان ،وسعيد بن سليمان بقرطبة " (٥) . وهذه شهادة عظيمة تدل على عظم القاضي سعيد بن سليمان وأنه كان حكما عادلا نشر العدل في ولايته لقضاء الجماعة بقرطبة .

يقول الخشني : " واما سعيد بن سليمان فانه ولاه قضاء الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن الحكم فكان قاضيه حتى مات عبد الرحمن وأقره على القضاء محمد بن عبد الرحمن الذي قضى له نحو السنتين ،ومات بقرطبة قاضيا غير معزول " ويقول الخشني أنه لم يسمع بتاريخ ولايته القضاء

---

(1) المصدر نفسه ،ص ١٢٩ .

(٢) هو سعيد بن سليمان بن حبيب بن المعلى بن ادريس بن محمد بن يوسف الغافقي البلوطي ،من أهل قرطبة ،يكنى : أبا خالد ـ استقضاه الامير عبد الرحمن بن الحكم مرتين . ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم ٤٧٥ ، ١ / ٢٩٢ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ،ص ١٥٧ .

(٤) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ١٣٧ ،ابن حيان ، المقتبس ،ص ١٨٩ .

(٥) ابن حيان ،ص ١٨٨ ، النباهي ،ص ٥٤ .

متى كان ولكنه بلا شك بعد سنه أربع وثلاثين ومائتين (١) ويظهر مما ذكره ابن حيان في النص السابق أن توليته كانت بعد عزل محمد بن زياد في سنة ٢٣٢هـ / ٨٥١م وبالتالي فان ترجيح الخشني لتوليته القضاء بعد سنة ٢٣٤هـ / ٨٤٨م ترجيح صائب . ويروى الخشني عنه : " انه قضى في المسجد الى أن مضى صدر النهار ،ثم قام منصرفا الى داره ،فلما هم بدخول الدار ،فاذا بوالد نصر الفتى مقبلا وأعوانه بين يديه ،وكان أعجمي اللسان ،فصاح على البعد بالعجمية : كلموا القاضي يثبت على أكلمه فقال القاضي قولوا له بالعجمية ان القاضي ادركته الملالة والسآمة من طول الجلوس للقضاء ،فاذا جلس بالعشي في المسجد للنظر بين الناس تعود اليه لينظر في حاجتك ،ان شاء الله ،ثم دخل القاضي داره ،ولم يلف عليه " (٢) .

ويفيدنا هذا النص في أن القاضي اذا شعر بالضجر أو الملل ،فله ان يمتنع عن القضاء حتى يذهب من نفسه السأم والملل حتى لاتأتي احكامه بعيدة من الصواب ،كما أن القاضي كان يعرف اللغة الأعجمية ،وهي لغة أهل البلاد ،أو أن في مجلسه مترجمين يترجمون له ،وأنه مهما كانت منزلة الشخص ،فان القاضي كان يحكم في مجلس القضاء فقط ولايحكم في اي مكان غيره .

وقد لبث سعيد بن سليمان قاضيا الى أن مات الامير عبد الرحمن ابن الحكم ،واقره خلفه الامير محمد بن عبد الرحمن على القضاء لمدة عامين ومات قاضيا (٣) .

---

(١) الخشني ،ص ١٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٣٩ .
(٣) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ١٤٠ .

وبعد وفاة سعيد بن سليمان ، وقع اختيار الامير محمد على أحمد بن زياد (١) فاستقدمه من شذونه وولاة قضاء الجماعة ، فسار بخير سيره وأجملها فكان رجلا صالحا صحيح المذهب والسيرة (٢) ، شديد التهيب فى قضائه لايخاطب في شيء من أمر الخصوم الا فى مجلس نظره ، ولايسمح بلقاء أحد فى طريقه أو الانصراف معه ، ومن يلح عليه فيما لاينبغى من ذلك يأمر بحبسه (٣) .

وظل ابن زياد قاضيا لمدة تسعة اعوام وعدة اشهر ، ثم عزل عن القضاء (٤) ، فولى بعده عمرو بن عبد الله (٥) الذى كان مولى فشق ذلك على العرب وتكلموا فيه ، فلما بلغ ذلك الامير محمد ، قال لهم : انه وجد فيه مالم يجده فيهم ، فقالوا : اما القضاء ، فانا لانعترض فيه لانه من سلطانه واما الصلاة فانا لانصلى وراءه (٦) ، فولى الامير الصلاة شخصا اخر غيره .

فكان اذا جلس للقضاء لايتقرب منه خصم ، ولايدنو منه احد ، وكذلك كان اذا ركب ، مع قوة الشكيمة ، والصلابة الشديدة ، والتنفيذ الوشيك ، وقلة المداراة لمن لحق بالامير من وجوه خاصته وعيون رجاله (٧) .

ومن قضاة الامير محمد ، سليمان بن أسود الغافقى (٨) ، وكان سبب توليته اياه قضاء الجماعة بقرطبة ، حكما أمضاه بمدينة ماردة حينما كان قاضيا للامير عبد الرحمن والده ، وكان ذلك الحكم مدعاة لاعجاب الامير محمد به ، فولاه قضاء الجماعه حينما تولى الامارة (٩) .

---

(١) هو أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمى ، سمع من أبيه ، واستقضى بقرطبة ، وولى صلاة الجماعة بها ، ثم عزل ، وخرج حاجا فتوفى بمصر ، وكان فاضلا خيرا . وقد ذكر ابن الفرضى أن وفاته كانت سنة ٢٠٥ هـ ، ولكن هذا التاريخ ليس صحيحا لانه يوافق ولاية الامير الحكم ، وهذا القاضى استقضى فى عهد الامير محمد . انظر ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم ٥٦ ، ج ١ ، ص ٦٠ .
(٢) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ١٤٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .
(٥) سبقت ترجمته ص ٩٨ .
(٦) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ١٤٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .
(٨) هو سليمان بن أسود بن سليمان بن المعلى بن ادريس بن محمد بن يوسف الغافقى ، من أهل قرطبة ، يكنى ابا أيوب ، استقضاه الامير محمد بقرطبة مرتين . توفى وهو ابن خمس وتسعين سنه . ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم ٥٤٢ ، ١ / ٣٢٥ .
(٩) النباهى ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٥٦ - ٥٧ ، ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

وكانت فيه دعابة تليق بمقامه ،فقد كان في وقته رجل من العدول يعرف بابن عمار ،كانت له بغلة تلوك لجامها طول النهار بباب المسجد قد اجهدها الجوع ،فتقدمت اليه امرأه ،وقالت له بالاعجمية : ياقاضي انظر الى شقيتك هذه ،فقال لها بالاعجمية : لست أنت شقيتي انما شقيتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها طول النهار بالمسجد .(١)

وهذا النص يؤكد ماذكرناه سابقا ،من أن القضاة كانوا يعرفون لغة اهل البلاد الاعجمية ،ويتعاملون بها في مجلس قضائهم ،ولغة اهل البلاد هي الاسبانية . وهذا امر طبيعي في بلد مثل الاندلس ،امتزجت فيه العناصر المسلمة الفاتحة من عرب وبربر مع اهل البلد ،فكان لابد للقاضي ان يلم بلغتهم حتى يسهل تعامله معهم .

ومن المواقف التي حدثت للقاضي سليمان بن أسود ، موقفه مع بدرون الطالبي أحد موالي الامير محمد المقربين لديه ،فقد دخل بدرون الى مولاه الامير محمد باكيا وشاكيا له من معاملة القاضي سليمان بن اسود له ،وتهديده له . وفحوى القضية أن امرأة اشتكت الى القاضي بن اسود تطالب بدرون في دار بيده فأجبر القاضي بدرون على انصاف المرأة ،فلما دخل الى الامير قال له : " أفيحسن عندك يامولاي أن يركب قاضيك مني مثل هذا ؟ ومكاني من خدمتك مكاني ... ، فتغير وجه الامير محمد ،وقال له يابدرون أخفض عليك ، فمحلك مني تعلمه ،فاسألنا به حوائجك تجبك اليها ، ماخلا معارضة القاضي في شئ من احكامه ،فان هذا باب اغلقناه ،فلانجيب اليه احد من ابنائنا ولامن اخواننا ،ولامن ابناء عمنا ،فضلا من غيرهم . والقاضي ادرى بمافعل " فمسح بدرون عينيه وانصرف .(٢)

ولم يزل سليمان بن اسود قاضيا الى أن عزل في سنة ٢٦٠هـ ،عندما خرج الامير محمد في احدى غزواته ،فبلغته شكوى على القاضي سليمان بن

---

(١) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ١٦٧ .

(٢) النباهي ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٥٧ ـ ٥٨ ، وانظر ابن سعيد ،المغرب في حلى المغرب ،١ / ١٥٢ .

أسود ،فكتب الى صاحب المدينة ،يأمره بعزل سليمان عن القضاء ، وأن يبعث اليه أربعة من عدول قرطبة يقبضون الديوان منه ،ثم يجعله في بيت الوزراء ،ففعل ذلك أمية بن عيسى .(١)

ومعنى ذلك أن القاضي كان مسئولا مسئولية مباشرة عن الديوان ،وهو عبارة عن السجلات القضائية المتعلقة بأموال الاحباس والورثة والوصايا التي كان القاضي يشرف عليها اشرافا تاما ،وتحت رعايته . وربما جاء عزل سليمان عن القضاء نتيجة لسوء تصرف في هذه الاموال التي امر الامير بقبضها منه بواسطة أربعة عدول ووضعها في بيت الوزراء .

ثم ولي عمرو بن عبد الله القضاء مرة ثانية في سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م، الا أنه في هذه المرة قد تغيرت احواله ،ولم تكن مثل المرة السابقة ، فقد أفسد بالهدايا والتحف ،كل ذلك بسبب ولده المكنى بأبي عمرو ،والذي نسب اليه التدليس في الديوان في مال مستودع .(٢)

وعزل عمرو بن عبد الله عن القضاء مرة اخرى . وكان سبب عزله أن الوزير هاشم بن عبد العزيز كان يستثقله فسعى في عزله . ورواية اخرى تقول : بأنه خرج الى الغزو في سنة ٢٦٣هـ / ٨٧٦م ،وكان الرسم يقضي بأن القاضي اذا غزا وعاد لاينظر في القضايا الا بتكليف جديد ،فأقام الناس ستة اشهر بلا قاض الى أن أعيد سليمان بن اسود الى القضاء مرة اخرى .(٣) واقام سليمان في قضائه الثاني عشرة اعوام من سنة ثلاث وستين الى سنة ثلاث وسبعين وهو العام الذي توفي فيه الامير محمد ،فأقره المنذر على

---

(١) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ١٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٧٠ — ١٧١ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ١٧٢ .

القضاء ،ومكث أربعين يوما قاضيا ،فعزله وولى أبا معاوية عامرا بن معاوية القضاء[1] . وعاش سليمان بن اسود تسعة وتسعين عاما وعشرة اشهر[2] كانت مدة قضائه منها اثنين وثلاثين عاما[3] . وعندما تولى عامر بن معاوية القضاء وجلس فى المسجد ، اتاه سليمان بن اسود بالديوان وقال له الحمد لله الذى جعل على اثرى مثلك[4] . ولم يزل قاضيا وصاحب صلاة حتى تولى المنذر[5] .

ولما ولي الامير عبد الله عزله من القضاء[6] ،وولى النضر بن سلمه[7] ، وكان عاقلا مقتديا بمن قبله من القضاة[8] ، فأحسن السياسة ،وخالق الناس بخلق حسن ،وخطب بأبلغ الخطابة[9] .

وظل النضر بن سلمة قاضيا ،الى ان أمره الامير عبد الله بالنظر فى المال الموقف بالجامع ،فنظر فى ذلك وجمع أهل العلم فاستشارهم ،واختلفوا عليه ،ورفض أن يحكم بصرفه الى بيت المال الا باجماع أهل العلم ،فكان تصرفه ذلك سببا فى كثرة التقول عليه لدى الامير بأسوأ الوجوه مما أدى الى عزله[10] .

---

(١) هو عامر بن معاوية بن عبد السلام بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمى ،من أهل قرطبة ،يكنى : أبا معاوية ،وأصله من ريه ،استقضاه الامير المنذر ولم يزل قاضيا الى أن توفى المنذر ،ابن الفرضى، تاريخ علماء الاندلس ،ترجمه رقم ٦٢٨ ، ١ / ٣٦٦ .

(٢) الخشنى ،المصدر السابق ،ص١٨٠ ،١٨٢ .

(٣) النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص٥٩ .

(٤) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص١٨٣ .

(٥) المصدر نفسه ،ص١٨٤ .

(٦) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،١/ ٣٦٦ ،ابن سعيد ،المغرب ١ / ١٥٣ .

(٧) سبقت ترجمته ص ١٢٢ .

(٨) ابن سعيد ،المغرب فى حلى المغرب ،١ / ١٥٣ .

(٩) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص١٨٦ .

(١٠) المصدر نفسه ،ص١٨٩ .

وحين تولى الامير عبد الرحمن بن محمد الناصر ،استقضى عددا من القضاة ،منهم أسلم بن عبد العزيز (١) الذى ولاه قضاء الجماعة بقرطبة (٢)

وكان أسلم بن عبد العزيز ،عظيم القدر ، شريف البيت كريم الابوة ، معروف النصيحة ،ظاهر الاخلاص (٣) .

وكان الناصر لدين الله يستخلفه كثيرا فى قصره اذا خرج غازيا فى سبيل الله ،ثقة منه بدينه وعلمه وحزمه (٤) .
لقد بلغت مكانة القاضى منزلة عظيمة ، لدرجة أن الامير كان يستخلفه مكانه فى القصر ليقوم مقامه ويمضى الامور نيابة عنه عندما كان يخرج للغزو ، وهذه مكانة ان دلت على شئ ،فانما تدل على الثقة الكبرى التى كان يوليها الامير عبد الرحمن لقاضيه اسلم ،وللمكانة الرفيعة التى بلغتها خطة القضاء فى الاندلس .

وقد استمر أسلم بن عبد العزيز قاضيا من سنة ثلاثمائة الى سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م ،وبعدها الح على الامير عبد الرحمن أن يعفيه من القضاء ، فاستجاب لطلبه (٥) .

(٦)
ومن الذين تولوا القضاء للامير عبد الرحمن أحمد بن بقى بن مخلد الذى ولى قضاء الجماعة والصلاة فى سنة ٣١٤هـ / ٩٢٦م ،فكانت مذاهبه محموده ،وسيرته حسنه ،وهديه جميلا (٧) ،حافظا للقرآن ،عالما بتفسيره وعلومه ،قوى المعرفة باختلاف العلماء فيه (٨) .

---

(١) هو أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبدالله بن الحسن بن جعد ابن أسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان عفان – رضى الله عنه – من أهل قرطبة ،يكنى : أبا الجعد ، سمع من بقى بن مخلد وله رحلة الى المشرق ،ولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين . كانت وفاته سنة ٣١٩هـ . ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمه رقم ٢٧٨، ١/١٦٧، الضبى ،بغية الملتمس ،ترجمة رقم ٥٧١، ص ٢٣٩ .
(٢) ابن سعيد ، المغرب ١/ ١٥٥ .
(٣) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص ٢١٢ .
(٤) النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٦٣ .
(٥) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص ٢١٦ .
(٦) سبقت ترجمته فى ص ٧٣.
(٧) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص ٢٢٢ .
(٨) ابن فرحون المالكى(ت ٧٩٩هـ) ،الديباج المذهب ،دار التراث للطبع والنشر القاهرة ١/ ١٧٠ – ١٧١ .

ولم يعرف من قضاة الاندلس من يقاربه في الصمت والوقار والسكينة وكان الخليفة الناصر لدين الله عارفا بحقه ،ومجلا له ،لم يعزله ولاكره شيئا من حاله الى آن توفي سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م ،وكان واليا على الصلاة قبل القضاء (١) .

وكان رسمه فى القضاء اذا التبس عليه حكم ،ويخشى ان تدخل عليه داخلة ،طول فيه أبدا ولواه ،حتى يصطلح أهله . وكان يقول صاحب الباطل اذا طول عليه ترك طلبه ورضى باليسير (٢) . وشأنه فى الحكم أن ينفذ من الامور الظاهر البين ،الذى لاارتياب فيه ،ويتأنى ويتمهل فيما خالجه فيه شك ،حتى تظهر له الحقيقة (٣) .

ومن أبرز الاحداث التى شارك فيها القاضى احمد بن بقى بن مخلد ، أثناء توليه قضاء الجماعة بقرطبة ،أن اعلان الامير عبد الرحمن الخلافة جرى على لسانه فى المسجد الجامع بقرطبة ،فى مستهل ذى الحجه سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م (٤) .

وبعد وفاة احمد بن بقى ،استقضى الناصر لدين الله بعده ،احمد ابن عبد الله بن أبى طالب (٥) ، وأدخله على نفسه ،وعهد اليه بما يعهد بمثله أئمة العدل وولاة الحق ،من اعظام الخطة وصيانتها ،وايثار الحق وامضائه وتنفيذ الامور اذا استبانت ،والاناة فيها اذا اشتبهت ،ووقفه على حدود القضاء ،وسياسة الاحكام ،ومايجب للقاضى وعليه فى كل حال قولا وفعلا " (٦) .

---

(١) النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٦٥ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٦٥ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٦٣ — ٦٤ .
(٤) ابن حيان ،المقتبس ،ج ٥ ،ص ٢٤١ .
(٥) هو أحمد بن عبد الله بن أبى طالب الاصبحى ،قاضى الجماعه ،يكنى : أبا عمر محدث (ت) بقرطبة سنة سبع وعشرين وثلاثمائه ،الضبى ،بغية الملتمس ترجمة رقم ٤٢٠ ،ص ١٨٤ ،وذكر الخشنى أن وفاته كانت سنة ٣٢٦هـ ،ص ٢٣٢ .
(٦) الخشنى قضاة قرطبة ،ص ٢٢٧ .

وكان القاضي أحمد بن عبد الله في مبتدأ أمره واليا على السوق كما ولاه الناصر النظر في اموال بعض كرائمه ،وقلده أسباب الامانات في بعض الكور ،كما كان قاضيا على كورة آلبيرة ،وكان بها الى أن نقله الامير الى قضاء الجماعة بقرطبة ،فقضى بها عامين وشهورا يسيرة وتوفي في سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧م (١) .

ويتضح من ذلك أن قاضي الجماعة كان يختار ممن ملئتهم التجربة في شتى المناحي الادارية ،كالنظر في الاسواق ،أو الادارة المالية لبعض الكور أو قضاء بعض الكور فيكون بذلك قد اكتسب خبرة كبيرة عند توليه قضاء الجماعة .

وبعد وفاة القاضي أحمد بن عبد الله بن ابي طالب ،أمر الناصر باستقدام محمد بن عبد الله بن ابي عيسى (٢) ، الذي كان قاضيا على كورة البيرة قبل ذلك ،فولاه قضاء الجماعه ،وعهد اليه ووصاه ووعظه (٣) . وكان قبل توليه قضاء الجماعة ،قد تولى عددا من الامانات ،فقام بأداء مهامه على خير وجه ثم ولاه قضاء كورة جيان ،وكورة آلبيرة ،وكورة طليطلة ،فامتحنه في كل وجه وعجمه في كل معنى ،فوجده خالصا ناصحا فلما شهدت له عنده التجربة بدرجة الاستحقاق ولاه قضاء الجماعة (٤) . فتولاها بسياسة محمودة ، والتزم فيها الصرامه في تنفيذ الحقوق والصدع بالحق في الجهر ،ولم يهب ذا حرمه ولا داهن ذا مرتبة ،ولا أغضى لاحد من اسباب السلطان وأهله حتى تحاموا جانبه (٥) .

لم يكن قضاء الجماعة أمرا سهل المنال حتى يصل اليه كل شخص ،فلذلك كان الخليفة الناصر يختار من يتولى هذا المنصب من بين الذين اعطاهم

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٢٣٢ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن ابي عيسى كثير بن وسلاس المصمودي،ولد سنة ٢٨٤هـ . ارتحل حاجا في سنة ٣١٢هـ ولقي شيوخ القيروان ومصر ومكه وسمع منهم ثم انصرف الى الاندلس سنة ٣١٤هـ . كانت وفاته في سنة ٣٣٩هـ وهو ابن أربع وخمسين سنه ـ الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٣٤ .

(٤) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ٢٣٤ ،النباهي ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٦٠ .

(٥) ابن خاقان ،مطمح الانفس ،ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠، التلمساني ،نفح الطيب ٢، ١٢/ .

تدريبات وافية فى مجالات شتى ، حتى يكون اداؤهم متناسبا مع المهمة الموكلة اليهم .

ومع قيام ابن ابى عيسى للناصر بمهمة القضاء ،فقد كان يعرفه فى القيام له ببعض المهام الاخرى ،كاخراجه فى السفارات الى كبار الامراء والامانات الى الثغور والاطراف للاشراف عليها والاعلام بمصالحها ،والبنيان لحصونها ،وترتيب مغازيها ،وادخال جيوشها الى بلد الحرب ،وربما أقام فى ذلك مقام القيادة العسكرية للجيش ،فيغنى غناءهم بحسن تدبيره ، وصحيح ديانته ،وصريح مناصحته ،(١) ولقد راضه على ركوب الخيل ،وملابسة الحرب . وهو الذى تولى له بنيان مدينة سالم بالثغر الاوسط مع غالب غلامه وخرج فى أول سريه خرجت فيها الى بلاد الحرب ومنحت الظفر . وكان يستخلف على قضائه فى غيبته قاسم بن محمد صاحب الوثائق .(٢)

لقد توسعت مهمة قاضى الجماعة فى عهد الناصر توسعا كبيرا ،فبجانب ولاية القاضى للقضاء أسندت اليه بعض المهام الاخرى التى تتعلق بسياسة الدولة مثل الخروج فى السفارات الى بعض كبار الامراء ،والتفاوض معهم باسم الخليفه ،أو تولى امانات بعض الكور والثغور والاطراف ،وهى المسائل المتعلقة بالجوانب المالية فى الولاية ،من جباية للاموال وضبطها وغير ذلك ، والاشراف التام على هذه الثغور والاطراف المحاذية للنصارى،ومعرفة ماتحتاج اليها من تحصينات دفاعية ،والاشراف على بنائها ،وقيادة الجيوش والدخول بها الى دار الحرب ،اذا دعا الامر الى ذلك .

وهى مهام جد عسيرة وشاقة ،ولكننا نرى الناصر يعهد بها كلها الى قاضى الجماعة ،وليس لقائد عسكرى ،فقد كان الموقف يتطلب شخصية ،مثل شخصية قاضى الجماعة ،لفرض هيبة الخلافة فى هذه المناطق المتاخمة للنصارى .

---

(١) النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٦٠ ، عياض ،ترتيب المدارك ،٤٠٧/٤ .

(٢) عياض ، ترتيب المدارك ،٤ / ٤٠٧ .

وولي قضاء الجماعة للناصر في سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م ،منذر بن سعيد البلوطي ،مجموعا له على الصلاة ،فكان صلبا صارما غير هياب ولا جبان (١) .

ومن المواقف التي جرت للقاضي منذر بن سعيد مع الناصر لدين الله أن عبد الرحمن الناصر اتخذ لسقف قبة من قباب قصره قراميد من ذهب وفضه فدخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكسا رأسه وقال له : والله يا أمير المؤمنين ماظننت ان الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين ، على ما أتاك الله وفضلك على العالمين حتى أنزلك منازل الكافرين قال :فاقشعر عبد الرحمن من قوله وقال انظر ماتقول ،كيف أنزلني منازل الكافرين ،قال نعم :أليس الله تعالى يقول " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضه ومعارج عليها يظهرون" * قال فوجم عبد الرحمن ونكس رأسه مليا ودموعه على لحيته تجري خشوعا لله تعالى ،وتضرعا اليه ،ثم اقبل على منذر وقال : جزاك الله خيرا عني ومن جميع المسلمين ،وكثر في المسلمين امثالك فالذي قلت والله الحق ،وقام من مجلسه وهو يستغفر الله ،وأمر بنقض سقف القبة وأعادها ترابا (٢) .

واستمر المنذر بن سعيد في قضائه الى أن توفي الناصر لدين الله ، ثم ولي ابنه الحكم فأقره ،ولكنه طلب منه أن يعفيه من القضاء مرارا الا أنه لم يستجب لطلبه ،ولم تحفظ عليه مدة ولايته قضية جور ،ولاعدت عليه في حكومته زلة (٣) .

ثم ولي القضاء للحكم المستنصر بعد وفاة منذر ابو بكر بن السليم (٤) ، وكان حافظا للفقه ،بصيرا بالاختلاف ،عالما بالحديث ،ضابطا لمارواه ،

---

(١) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ٢٣٧ .

(*) سورة الزخرف ،الآية (٣٣) .

(٢) ابن غالب الاندلسي ،فرحة الانفس ،ص ٣٠٢،٣٠٣ ،النباهي ،تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٧٢ ،الحميري ،صفة جزيرة الاندلس ،ص ١٤٠ .

(٣) الفتح بن خاقان ،مطمح الانفس ،ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٤) محمد بن اسحاق بن منذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم بن ابي عكرمة قرطبي جليل ،يكنى : ابا بكر . قدم الى احكام المظالم ،ولما مات منذر بن سعيد ولي بعده ،وذلك بيوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ست وخمسين وثلاثمائة . وكان ابن السليم حافظا للفقه ،بصيرا بالاختلاف عالما بالحديث ضابطا لمارواه ،عالما باللغة والنحو ،خطيبا بليغا . ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ٢٣١٧ ، ٢ / ٧٤٩

متعرفا في علم النحو ،متاقشفا ،وقد بلغ به التاقشف وطلب الحلال ،الى انه كان يصيد السمك بنهر قرطبة ، ويبيع صيده فيأخذ ثمنه ويقتات به ويتصدق بفضله .(١)

وكان أول معرفته بالحكم المستنصر وهو اذ ذاك ولي عهد ،انه طلب رجلا عالما زاهدا ،يحج عن والدته ،بمال كانت قد اعدته لذلك ،فأشير عليه بابن السليم فاحضر اليه ،وكان خلف ستر ،وأمر أن يكلم في القصة ، ويرغب في ذلك ،ولكنه أبى وأقسم ان لايفعل ذلك ابدا ،فتعلق بقلب الحكم ومازال يجتذ به بكل حيلة حتى اقتضاه من طريق محبته في العلم ،فأستخدمه في المقابلة لدواوين بيت حكمته فداخله من حينئذ،وصاحبه ،وبعد وفاة قاضيه منذر،ولاه مكانه قضاء الجماعة في سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٦م ،وجمع له معها الخطبة والصلاة سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م ،فحمد الناس سيرته ،وكان يتأنى في الاحكام ويتبطأ في القضاء .(٢)

وعند توليه القضاء عهد اليه الخليفة الحكم المستنصر بكتاب تولية يعد من عيون الكتب التي تطالعنا في هذا العهد ،ولعله من حسن الحظ ان يصل الينا هذا الكتاب بنصه اذ انه طيلة هذه الفترة ١٣٨ – ٣٦٦هـ لم تمر علينا كتب عهود بالتولية ،الا تلك الشذرات القليلة والمتفرقة في عهد الناصر ، الذى كان يعهد الى القضاة ،ويوصيهم . ولكن لم يصلنا اى كتاب كامل مثل النص الذى بين أيدينا .

ونص الكتاب : " بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب امر به امير المؤمنين الحكم المستنصر بالله محمد بن اسحاق بن السليم ،ولاه به خطة القضاء ،واختاره للحكم بين جميع المسلمين ،ورفعه الى أعلى المراتب

---

(١) ابن فرحون المالكي ،الديباج المذهب ، ٢/٦ك ، وانظر ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ،٢ / ٧٤٩ ،ترجمة رقم ١٣١٧ .

(٢) القاضي عياض ،ترتيب المدارك ،٤ / ٥٤٣ .

عنده فى تنفيذ الاحكام ،غير مطلق يده الا بالحق ،و لسانه الا بالعدل،ورسم له فى كتابه رسوما بدأ فيه بأمانة الله – عز وجل – اليه ،وجعل الله الشهيد بها عليه ٠امره بتقوى الله العظيم الذى يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور ،وأن يجعل كتاب الله امامه ينظر فيه نظر المتفكر المعتبر ،فانه عهد الله الذى بعث به نبيه – صلى الله عليه وسلم ،فأحل حلاله وحرم حرامه ،وأمضى أحكامه وفارق الامة على انهم لن يضلوا ما اتبعوه ،فهو العروة الوثقى والطريقة المثلى ،والنهج المنير ،ودين الله القويم ٠

وأمره امير المؤمنين أن يقتدى بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – التى بها عملت الائمة ،وعليها اتفقت الامة ،فالحق معروف ،والباطل مكشوف وبينهما مشتبهات فيها يحمد التوقف ،وعندها يشكر التثبت ففى كتاب الله – تعالى اسمه – وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – أصل الدين وفرعه ،ودليله وتأويله ،ومن يرد به الله خيرا يوفقه للاقتداء بهما ، والالتباس منهما ٠ وأمره أن يصلح سريرته فيها ،يصلح الله علانيته ،وأن يبرأ من الهوى فانه مضلة عن طريق الحق ،وأن يجعل الناس فى نفسه سواء اذا جلس بينهم ،حتى لايطمع فيه الشريف ،ولاييأس منه الضعيف ٠

وأمره أن يعتبر أمره وماقلده ،فيعلم انه راكب طريقا منتهاها الى الجنه أو الى النار : ليس عن أحدهما معرف ولابينهما موقف ،فحق لمن أراد النجاة أن يستكثر من الحسنات ،ويمنع دينه ممن أراد أن يؤنسه فى الشبهات ،ويعلم أنه حاكم فى ظاهره ،محكوم عليه فى باطنه ،تطوى كل يوم صحيفته على ماأودعها حتى ينظر فيها غدا بين يدى الله – عز وجهه ،يوم "توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون " * ٠ فمن حاسب نفسه فى الدنيا كان أيسر حسابا فى الاخرة ٠

وأمره أن يتحفظ فى حين وقوع الشهادات عنده ،فلايقضى بين المسلمين فيها الا بما أقامه به التحقيق على ألسنة العدول ، وذوى القبول ،وأن

(*) سورة البقرة ، الآيـة ٢٨١ ٠

استراب فى شهادة أحدهم وقتًا ما أن يبحث عنها ، فأن ثبت أنه ارتشى او شهد بالهوى ،فعليه أن يسقط شهادته ،ويخل عدالته ،تنكيلا له وتشديدا لمن خلفه ،وأن يحمل على الناس معارض الوكلاء على الخصومات ، ويطرح أهل اللدد الظاهر منهم ،ولايحمل فضل حجاجهم ممن لايقدم بهم .

وأمره أن يحترس بأموال اليتامى ،ولايولى عليهم الا اهل العفاف منها وحسن النظر فيها ، وأن يجدد الكشف والامتحان عن اموال الناس والاحباس واليتامى ،يمنع من قبالتها الا على وجوهها ممالابد منه من التنفيذ فيها ،وطلب الزيادة عند ذوى الرغبة فى قبالتها .

وامره أن يختبر كاتبه وحاجبه وخدمته ، ويتفقد عليهم أحوالهم اذا غابوا عن بصره .

وامره أن لايعجل فى احكامه ،فمع العجل لايؤمن الزلل ،وأن يرفع الى أمير المؤمنين ماأشكل عليه الفصل فيه ،ليصدر عليه من رأيه ما يعتمد عليه ان شاء الله ،والله يسأل امير المؤمنين التوفيق بمنه وفضله ، وكتب يوم الاثنين للنصف من شعبان سنة ٣٥٣هـ " .(١)

وأرى أن هذا الكتاب من أهم الكتب واقيمها فى هذه الفترة ، جاء كاملا وشاملا لتوجيهات ونصائح هامة ،تشكل وثيقة قضائية نادرة ،و تبرهن على أن الخليفة الحكم المستنصر ،كان فقيها ،عالما مدركا ،وقد سار فى كتابه على غرار ماجاء فى كتاب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الشهير الى ابى موسى الاشعرى عندما ولاه القضاء .(*)

---

(١) النباهى ، تاريخ قضاة الاندلس ،ص ٧٥ - ٧٦ ؛ وأود أن اشير الى ان تاريخ كتابة هذا الكتاب كما جاء فى النص سنة ٣٥٣هـ غير صحيح ،نظرا لانه كان فى هذه السنة منذر بن سعيد هو القاضى ،ولم يتولى ابن السليم بعد القضاء ،وكانت وفاة منذر وهو قاض ،فى ذى القعدة سنة ٣٥٥هـ كما أن تولية ابن السليم كانت فى سنة ٣٥٦هـ .
أنظر ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ١٤٥٢،٢/٨٤٦-٨٤٧ والترجمة رقم ١٣١٧،القاضى عياض ،ترتيب المدارك ،٤/٥٤٣. ربما يكون الخطأ الوارد فى النص قد وقع من الناسخ ،وربما يكون من الشخص الذى تولى تعليق الكتاب ،فوضع (سنة ٣٥٣هـ) بدلا من سنة (٣٥٦هـ) .

(*) انظر الماوردى ،الاحكام السلطانية ،ص ٧١ - ٧٥ - ابن خلدون ،المقدمة ص ١٧٤ - ١٧٥ .

ومن خلال تتبعنا للقضاة في هذا العصر نخلص الى النتائج التالية :

(١) ان الذى بيده سلطة تولية القضاة وعزلهم ،هو الامير فقط ،أوالخليفة أو من يفوض منهما ،وليس لاحد غيرهما هذه السلطة ،وليس هناك قاض للقضاة يقوم بهذه المهمة نيابة من الخليفة أو الامير وقد ثبت لنا ذلك من خلال النصوص الانفة الذكر ،ولكنه في عصر عبد الرحمن الاوسط كان للفقيه الشيخ يحى بن يحى سلطة كبرى على القضاة ،وكان الامير عبد الرحمن لايولى أحدا القضاء ولايعزله الا برأيه .

(٢) ان حدود صلاحيات قاضى الجماعة هى العاصمة قرطبة فقط ،وليست له ايه علاقة ادارية بقضاة الكور والثغور والاقاليم ،وأن قاضي الجماعة ليس كقاضى القضاة فى المشرق ،وقد ظهر مصطلح قاضى القضاة فى الاندلس فى عصر الخلافة فى عصر الناصر لدين الله .

(٣) كان القاضى عالما فقيها ورعا ،مجتهدا ،وكان قاضي الجماعة غالبا مايتلقى تدريبات مختلفة فى قضاء الكور وأماناتها ،وغير ذلك قبل توليه هذا المنصب .

(٤) كان يجمع الى القاضى الصلاة مع القضاء ،وأحيانا يعين للصلاة والخطبة شخص اخر .

(٥) كان للقضاء مكانه مرموقة في الدولة ،وكان القاضي محل احترام من قبل الامير أو الخليفة والرعية .

(٦) لم يكن هناك زى خاص بالقضاة فى هذه الفتره .

(٧) اتصف القضاة بالجرأة والشجاعة في الجهر بالحق ،ولو كان ذلك على الخليفة أو الامير نفسه .

(٨) كان مجلس القاضي هو المسجد .

(٩) دخل فى اختصاصات القاضى فى هذا العهد التثبت فى رؤية الهلال بواسطة الشهود ،فقد ذكر ابن حيان أنه :" غم على الناس بقرطبة هلال ذى الحجة لسنة من السنوات ــ مع بحث السلطان عنه ،وكشف اهل الجهات فيه ،فلم يهل بقرطبة ،ولاماجاورها من الكور ليلة الثلاثاء ،ثم ثبتت رؤيته بالشهادة عند القاضى بقرطبة ،محمد بن عبد الله بن أبي عيسى فعمل عليها " .(١)

---

(١) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق ب . شالميتا ،ص ٤٨٥ .

وبصورة اجمالية يمكننا القول بأن اختصاصات القضاة قد تنوعت وتعددت ،فصار القاضي يفصل بين الناس فى الخصومات والمنازعات المختلفة والجراح وقضايا اليتامى والايامى والاحباس والمواريث والحدود ،ويخرج فى الغزو ،ويتولى أحيانا قيادة الجيوش ،وينظر فى امر الثغور ،ويشرف على بناء الحصون والمدن العسكرية ،ويخرج فى السفارات الى غير ذلك من المهام والاختصاصات الاخرى .

قضاة الكور والثغور :-

كان لكل كورة من الكور ،أو مدينة من المدن ، أوثغر من الثغور قاض خاص يولى من قبل الامير أو الخليفة •

فلقد تولى ابو سعيد محمد بن عمر قضاء جيان وأستجة للامير عبدالرحمن ابن معاوية الداخل ،وكان مقدما عند الخاصة رفيع الدرجة عند العامة (١) •

وولى محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم الصدفي ،قضاء تطيلة للامير محمد سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٩م ،وأمضاه المنذر على قضائها ثم الامير عبد الله (٢) •

ومن الذين تولوا قضاء الكور عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى السليم ،فقد ولي بجاية وألبيرة للحكم المستنصر ،وكانت وفاته سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م (٣) •

وقد أمدتنا كتب التراجم بأسماء عدد كبير من الشخصيات التى تولت قضاء الكور ولايتسع المجال لذكرهم وسنكتفى بنماذج فقط منهم •

ولم يكن قضاة الاقاليم أقل من قضاة قرطبة علما وفقها ،وربما فاق بعضهم فقهاء قرطبة • فهذا هو القاضي عيسى بن دينار الذى ولي للحكم قضاء طليطلة ،ثم الشورى بقرطبة ،كان فقيها بارعا من مقدمي العلماء بالاندلس • خيرا عابدا فاضلا ناسكا ورعا (٤) •

وأرتقى بعض قضاة الكور الى قضاء الجماعة بقرطبة ،مثل سليمان بن أسود الغافقي ،وكان قاضيا على ماردة من قبل الامير عبد الرحمن الاوسط ،

(١) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ٦٣ •

(٢) ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ١١٢٢، ٢ / ٦٤٤ •

(٣) المصدر نفسه ،ترجمة رقم ٧٠٥ ، ١ / ٢٠٤ •

(٤) القاضي عياض ،ترتيب المدارك ،جـ ٢ ،ص ١٦ — ١٧ •

وكان ابنه محمد بن عبد الرحمن أميرا عليها من قبل والده ،وقد اعجب به الامير محمد فلما ولى الامارة ولاه قضاء الجماعة بقرطبة (١) .

اما القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ،فقد كان واليا على قضاء كورة ألبيرة قبل أن يتولى قضاء الجماعة بقرطبة ،وكان الناصر " قد قلده مع القضاء النظر في امانة الكورة ،والنظر على عمالها ، فكانوا لايقدمون ولايؤخرون الا عن أمره ،ولايظلم أحد في جانب من جوانبها الا نصره وكان معه " .(٢)

لقد اهتم الامويون بقضاة الاقاليم ،بقدر اهتمامهم بقاضي الجماعة في العاصمة قرطبة ، ولذلك حرصوا على تولية قضاة من ذوى الكفاءة العالية والورع والتقوى ،في اقاليم البلاد المختلفة ضمانا لسير العدالة في هذه المناطق التي تعتبر من أهم مصادر الدولة المالية ، وبعدها عن العاصمة قرطبة يتطلب وجود قضاه من هذا النوع . وقد نقل كثير من هؤلاء القضاة الى قضاء الجماعة بقرطبة .

---

(١) النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٥٦ — ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٦٠ .

قضاء أهل الذمـــة :-

يشكل اهل الذمة أحد عناصر المجتمع الاندلسي وكان لهم قضاتهـــــم المختصين بهم . يقول آدم متز : " أما في الأندلس فعندنا اكثر مـــن مصدر جدير بالثقة أن النصارى كانوا يفصلون في خصوماتهم بأنفسهم ، وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضي الا في مسائل القتل ... " (١) .

ويقول د. حتى عن قضاء أهل الذمة في الاندلس : " اما النصـــارى واليهود فقد سمح لهم ، كما كانت الحال في بلدان أخرى فتحها المسلمـــون أن يظلوا خاضعين في مسائل القضاء لرؤسائهم الروحيين ينظرون في قضاياهم الا اذا كانت في القضية مساس بحق المسلم ، فأن هذه القضايا كانت تــرد الى المحاكم الاسلامية " (٢) .

وذكر المقري أن قاضي النصارى بقرطبة هو وليد بن خيزران ، الـــذى تولى الترجمة للناصر لدين الله ، عندما وفد عليه أردون بن أذفونـــش طاغية الجلالقة ، اذ تولى وليد هذا مهمة الترجمه بينهما (٣) .

وذكر ابن حيان : أن الخليفة الحكم المستنصر سجل للحجاج بن متوكل اليهودى ، على قضاة قومه يهود اليسانه (٤) .

وبناء على ماذكرته هذه المراجع فانه كان لاهل الذمة ، محاكمهـــم الخاصة وقضاتهم المختصين بهم ، الذين ينظرون في قضاياهم فقط ، ولكنه في حال وقوع نزاع بين مسلم وذمى ، فان الفصل في القضية يتم امام محكمه اسلاميه .

---

(١) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمه د. محمد عبدالهادى أبو ريدة ، جـ ١ ، ص ٩٥ .
(٢) صانعو التاريخ العربي ، ترجمة د. انيس فريحه ، نشر وتوزيــــع دار الثقافة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٩٩ .
(٣) نفح الطيب ، ١ / ٣٨٩ .
(٤) المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ١٤٩ .

وامعانا في تطبيق العدالة ، كان القضاة المسلمون ، يرفعون القضايا التي تختص باهل الذمة الى اهل الشورى والفقه ، لاستشارتهم فيها . ولم يكن يتم فصل في قضايا اهل الذمة على مايبدو ، الا بعد عرضها على اهل الشورى والفقهاء واخذ رايهم فيها .

وقد اورد الفقيه ابن سهل الاندلسي في نوازله عددا كبيرا من هذه القضايا التي لها صلة باهل الذمة . كما اورد الفقيه الونشريشي ايضا بعض هذه القضايا .

فمن هذه القضايا التي اوردها القاضي ابن سهل :

* نصرانية زعمت ان عيسى هو الله تعالى وقالت كذب محمد فيما ادعى من نبوته :

"من احكام احمد بن زياد (١) : بسم الله الرحمن الرحيم ، يشهد المسمون في هذا الكتاب انهم حضروا في مجلس القاضي احمد بن محمد قاضي الجماعة بقرطبة فدخلت عليهم امراة تسمى بذبحة زعمت انها نصرانية ، فاستهلت بنفي الربوبية عن الله عز وجل ، وقالت ان عيسى هو الله - تعالى الله عما قالت علوا كبيرا - وخرجت الى ان قالت ان محمدا كذب فيما ادعاه من النبوة ، على الله عليه وسلم عبده ورسوله .

شهد على السماع منها بنفي الربوبية عن الله عز وجل ، وتكذيبها محمدا صلى الله عليه وسلم فلان وفلان .

فهمنا وفق الله القاضي ماقالت المراة الملعونة المتسمية بذبحة ، وماشهد به عليها من نفيها الربوبية عن الله عز وجل ، وقولها ان عيسى هو الله ، وتكذيبها بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . فالذى نراه ان قد وجب عليها القتل ، وتعجيلها الى النار الحامية ، عليها لعنة الله ،

---

(١) انظر ترجمته ص٢٦٤ .

قال بذلك عبيد الله بن يحيى (١)، ومحمد بن لبابة (٢)، وسعد بن معاذ (٣)، ومحمد بن وليد (٤)، واحمد بن يحيى (٥) (٦)".

هذه واحدة من القضايا التى عرضت على القاضى احمد بن زياد، وقد عرضها على خمسة من أهل الشورى والفقه، فجاء ردهم بوجوب قتلها، وذلك بعد تأكدهم من شهادة الشهود، ومدارستهم للقضية من كافة جوانبها.

* منع اهل الذمة من احداث كنائس.

قال الونشريشي: "وفى نوازل ابن سهل بعد مسائل نسب صدرها الى احكام ابن زياد، أن رجلا قام على اهل الذمة فى شنوغة (*) لهم اثبت أنها محدثة. فسئل عن ذلك اهل الشورى بقرطبة.

---

(١) هو عبيد الله بن يحيى الليثي من اهل قرطبة، يكنى ابا مروان، روى عن ابيه علمه وكان رجلا عاقلا كريما، عظيم المال والجاه، مقدما فى المشاورة فى الاحكام. توفى سنة ٢٩٧هـ.
انظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس، ترجمة رقم ٧٦٢.

(٢) هو محمد بن عمر بن لبابة من أهل قرطبة يكنى ابا عبد الله بن لبابة. كان مشاورا في أيام الامير عبد الله توفي سنة ٣١٤هـ وهو ابن ثمان وثمانين سنة.
انظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس، ترجمة رقم ١١٨٧.

(٣) هو سعد بن معاذ بن عثمان الشعباني، من أهل قرطبة، واصله من جيان، يكنى ابا عمر. كان حافظا للمسائل مفتيا. توفى سنة ٣٠٨هـ.
انظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس، ترجمة رقم ٥٠٧، الضبي: بغية الملتمس، ترجمة رقم ٨٧٦.

(٤) هو محمد بن وليد بن محمد بن عبد الله بن عبيد، من اهل قرطبة، يكنى ابا عبد الله. كان حافظا للفقه، عالما بالشروط، مشاورا في الاحكام. توفى سنة ٣٠٩هـ.
انظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس، ترجمة رقم ١١٧٨.

(٥) احمد بن يحيى بن يحيى الليثي، من اهل قرطبة. كان في جملة المشاورين بقرطبة فى أيام الأمير عبد الله بن محمد. ت سنة ٢٩٧هـ.
ابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس، ترجمة رقم ٦١.

(٦) القاضي أبو الاصبغ عيسى بن سهل (ت ٤٨٦هـ): الاحكام الكبرى، مخطوط برقم (٢٠) فقه، مركز البحث العلمي، جامعة ام القرى، الورقة ٣٩٠.

(*) شنوغة اليهود: بيت عبادتهم وهي ماخوذة من اللاتينية (Sinagoga). انظر د. محمد عبد الوهاب خلاف: وثائق في أحكام قضاء اهل الذمة في الاندلس، ص ٦٠.

فأجابوا بما هذا نصه : فهمنا وفقك الله الشهادات الواقعة في ان الشنوغة محدثة ، فرأينا شهادات توجب هدمها بعد الاعذار الى اهلها . وليس فى شرائع الاسلام احداث أهل الذمة من اليهود والنصارى كنائس ولاشنوغات فى مدائن الاسلام ولابين ظهرانيهم . قاله عبيد الله بن يحيى ، ومحمد بن لبابة ، وابن غالب ، وابن وليد ، وسعد بن معاذ ، ويحيى بن عبد العزيز (١) ، وايوب بن سليمان (٢) ، وسعيد بن خمير" (٣) (٤) .

وهذه القضية بالغة الخطورة ، وتمس كيان المجتمع الاسلامى ، ولذلك عرضها القاضى على ثمانية من اهل الشورى والفقه ، فجاء ردهم جميعا بمنع احداث كنائس او معابد لليهود بين ظهرانى المسلمين .

* صبى اسلم واراد الرجوع الى دينه .

وفى نوازل ابن سهل : "اتانى - رحمكم الله - صبى لم يبلغ فاسلم ، وصار عنده رجل لمه ابتغاء ثواب الله - عز وجل - فيه فتردد عليه ابواه ، يريدان رده الى دينهما ، والغلام يابى ، فلما كان البارحة ، اتانى والداه ، فاعلمنى

---

(١) يحيى بن عبد العزيز ، المعروف بابن الخراز ، من اهل قرطبة ، يكنى ابا زكريا . كان مشاورا فى أيام الأمير عبد الله . توفى سنة ٢٩٥هـ .
انظر ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم ١٥٦٨ .

(٢) هو أيوب بن سليمان بن هاشم بن صالح . كان اماما فى رأى مالك وأصحابه متقدما فى الشورى ، كانت الفتيا دائرة عليه فى وقته . توفى سنة ٣٠٢هـ .
انظر ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم ٢٦٥ ، الضبى ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم ٥٦١ .

(٣) هو سعيد بن خمير بن عبد الرحمن من اهل قرطبة ، يكنى ابا عثمان . كان فقيها عالما ، فاضلا . توفى سنة ٣٠١هـ .
انظر ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم ٤٨٢ .

(٤) الونشريشى : أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ، نشره د. محمد حجى ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ٢/٢٤٦-٢٤٧ .

ان ولـده يريد الرجوع الى والديه ودينهما فاكتبوا الى بما يجب فى ذلك .

قـال ابـن لبابـة : فهمنـا مـاذكره القاضى ، فان كان الغلام قد عقل مثل أن يكون ابن عشر سنين أو مازاد ، فليشدد عليه ، ويهدد ويوعد عليه . فان لج فى الرجوع الى دينه يرد بـه الى أبويه ، ولم يبلغ به القتل . ولايكون هذا معجلا حتى يبلـغ ، ثـم يكـون الفتـى على مامضى فى الجواب واسال الله التوفيق" .(١)

* نصراني يغري بنات المسلمين .

قال الونشريشي : "وسئل فقهاء قرطبة عن نصرانى من اهل الشر والفساد والتخليط والتخليق لنساء المسلمين وبناتهم ، غـير مزدجـر ، ولارجـع عن هذه الاحوال القبيحة فى علمهم الى حين شهادتهم ، واعذر اليه فى ذلك فادعى مدفعا ، فاجل اجلا انصرم ولم يات بمدفع .

فاجاب عبد الرحمن بن بقى بن مخلد(٢) : قرأت الوثيقة على الاعجمـى لعنـه اللـه فـرايت امرا مستفظعا ، وتشديدك فيه ، واغلاظـك فيه والامتعاض فى مثله للاسلام واهله من الواجب عليك واللازم . والـذى اراه اباحـة ظهـره وضربـه الضـرب المبرح الموجـع وذلك الى اجتهادك . فالادب فى مثل هذا وشبهه يجاوز بـه حـد الحـدود ، وقـد قـال ذلك اهل العلم من اصحاب مالك وغيرهم" .(٣)

(١) ابن سهل ، الاحكام الكبرى ، الورقة ٢٧٣ .
(٢) هـو عبـد الرحـمن بـن أحـمد بن بقى بن مخلـد ، من أهل قرطبـة ، يكـنى أبـا الحسن . كان ضابطا لما كتب ، ثقة فيمـا روى . تـوفى سـنة ست وستين وثلاثمائة ، وهو ابن اربع وستين سنة .
انظـر ابـن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم ٧٩٦ .
(٣) الونشريشى : المعيار المعرب ، ٢/٣٤٥-٣٤٦ .

هذه بعض القضايا التى تتعلق باهل الذمة والتى نظر فيها قضاة مسلمون ، أما القضايا الاخرى التى تقع بين أهل الذمة ، وليس فيها اى طرف مسلم ، فانها تنظر بواسطة المحاكم الخاصة باهل الذمة ، وليست لدينا شواهد عليها فى مصادرنا الاسلامية .

وهناك الكثير من القضايا الاخرى لاهل الذمة فى الاندلس امتلات بها المحاكم الاسلامية . فاهل الذمة كما نعلم يشكلون طبقة من طبقات المجتمع الاندلسى ، وقد عاشوا فى ظل الدولة الاسلامية دون اكراه لهم بالتخلى عن دينهم شريطة احترامهم للقيم والتعاليم الاسلامية . وقد عاملهم المسلمون معاملة كريمة ، فدخل كثير منهم الاسلام نتيجة هذه المعاملة ، وليس عن طريق الاكراه . وقد تاثر كثير من هؤلاء الذميين بالمسلمين على الرغم من بقائهم على دينهم فاتخذوا لهم إسماء عربية ، كما هو الحال فى وليد بن خيزران ، قاضى النصارى بقرطبة ، ومتوكل بن حجاج ، متولى قمامة اليهود .

ونرى من عرضنا لهذه القضايا أن عدالة القضاء قد شملت المسلمين والذميين على حد سواء ، فكانت تتخذ كل الاجراءات الكفيلة بتوفير العدالة من اثبات شهادة الشهود ، ومنح المتهم فرصة للدفاع عن نفسه ، وتمحيص القضية من قبل هيئة الشورى ، ثم الفصل فيها .

أرزاق القضـــاة :-

لم تكن هناك أرزاقا محددة للقضاة ،ولم تمدنا المصادر التى بين أيدينا على الرغم من كثرتها بأى نص يبين لنا مقدار رزق القاضى ،ولكنه على أيه حال كان يتلقى راتبا من الدولة ،فمعاوية بن صالح وعمـــر بـــن شراحيل اللذان كانا يتبادلان قضاء الجماعة فى عصر عبد الرحمن الداخـــل كان كل منهما اذا عاقه شغل فى يوم من الايام ،لم يقبض لذلك اليـــــوم رزقا " . وذلك تورعا وخوفا من آكل مال المسلمين ،دون ان يـــــؤدوا[1] واجبا تجاههم بغيابهم عن العمل . ومعنى ذلك أنهما كانا يتلقيان رزقـــا فى الايام الاخرى التى يجلسان فيها للقضاء .

وكان نصر بن طريف ،وهو أيضا من الذين تولوا قضاء الجماعـــــة للامير عبد الرحمن الداخل ،اذا شغل فن القضاء يوما واحدا لم يأخـــــد لذلك اليوم اجرا[2] .

اما المصعب بن عمران الذى استقضاه الامير هشام ،فقد اشترط علـــى الامير أن يأذن له بالعمل يومين فى الاسبوع فى ضيعته ويحكم بسائـــــر الايام فأجابه الامير الى ذلك[3] .

---

(١) الخشنى ،قضاة قرطبة ، ص ٦١ .
(٢) النباهى ،تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٤٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

واشترط القاضي محمد بن بشير على الحكم بن هشام ،عندمـــا ولاه قضاء الجماعة ،أن يكون رزقه كفافا من مال الفئ (١) .

اما القاضي أبو بكر بن السليم ،فقد كان يصيد السمـك بنهـــر قرطبة ،ويبيع صيده فيأخذ من ثمنه مايلتات به ويتصدق بفضله (٢) .

نخلص الى أنه كان للقضاة راتب من بيت المال ،ويصعب تحديد هذا الراتب ،نظرا لان بعض القضاة كانوا لايأخذون أي شئ في الايام التــــي لايجلسون فيها للقضاء ، وبعضهم اشترط أن يكون رزقه من مـــال الفئ، وبعضهم كان لايأخذ راتبا ،ولكنه اشترط عند توليه القضاء ،أن يسمح لـه بالعمل يومين في الاسبوع في مزرعته لتأمين متطلباته ،والبعض الاخـــر كان يلجأ الى صيد السمك وبيعه حتى يوفر احتياجاته ولايأخذ شيئا مـــن بيت المال .

---

(١) النباهي ،المرقبة العليا ،ص ٤٨ وانظر ابن سعيد ،المغرب ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٢) ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب ، ترجمة رقم (٤١) ،٢/ ٢١٤ .

بعض نماذج من القضايا في هذا العهد .

القاضي نصر بن طريف وموقفه مع الامير عبد الرحمن الداخل :-

دخل حبيب القرشي على الامير عبد الرحمن بن معاوية وهو أحد خاصته والمقربين اليه ،واشتكى اليه القاضي نصر بن طريف ، الذى اراد ان يحكم في ضيعة ادعى عليه الاغتصاب لها ، فاستدعى الامير عبد الرحمن القاضي ونهاه من العجلة في الحكم في هذه القضية ،فلما خرج القاضي من عنده ، عمل بضد ارادته وأنفذ الحكم فلما بلغ الخبر حبيبا ،دخل على الامير عبد الرحمن متفرا غيظا ،وذكر له عمل القاضي واستخفافه بأوامره وأوغر صدره ضد القاضي فغضب الامير عبد الرحمن واستدعى القاضي نصر وقال له : " من أمرك أن تنفذ حكما وقد امرتك بتأخيره والاناة به ؟ فقال له : قدمني عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانما بعثه الله بالحق ،ليقضي به على القريب والبعيد ،والشريف والدنيء ، وأنت أيها الامير ما الذى حملك على ان تتحامل لبعض رعيتك على بعض ،وأنت تجد مندوحه بأن ترضى من مالك من تعنى به ، وتمد الحق لاجله ؟" فقال له جزاك الله يا ابن طريف خيرا ، وخرج القاضي فدعا بالقوم الذين صارت الضيعه اليهم بالاستحقاق وكلمهم فوجدهم راضين ببيعها ان أجزل لهم الثمن، فعقد فيها البيع معهم وصارت الى حبيب فكان بعد ذلك يقول : جزى الله ابن طريف عنا خيرا كان بيدى ضيعة حرام فجعلها حلالا "(١) .

لقد سجل هذا القاضي موقفا رائعا ونبيلا وشجاعا اذ تدخل الامير لوقف الحكم في قضية ليس في مصلحة أحد اقربائه ،وأمر القاضي بالتوقف عن تنفيذ الحكم ولكن القاضي لم يخش بطش السلطان وغضبه فلما خرج منه عمل بضد ارادته ،مما أغضب الامير عليه ،ولكنه قدم بلباقة وحنكة حلا أرضى به كل الاطراف المتنازعة مع تقديمه النصح للامير بكل ادب وكياسه جعلت الامير يرجع الى الحق ويستصوب رأى القاضي .

ومن هذه النماذج أيضا تخاصم احد رجال الامير هشام في دار عند القاضي مصعب بن عمران ،فحكم مصعب باخراجه من الدار وسجل عليه فيها ،

(١) النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٤٤ .

فنهض الرجل الى هشام وقال له : ان القاضي سجل على داري التي كنت اسكنها وأخرجني منها ، فرد عليه هشام قائلا : وماذا تريد مني ؟ والله لو سجل على القاضي في مقعدي هذا لخرجت منه " (١) . انقيادا منه للحق. وهنا يسجل الامير هشام مثالا نادرا في الانقياد الى الحق ،وعدم التدخل في شئون القضاء ،والانحياز الى جانب رجاله ،وكان واثقا من أن القاضي لايحكم الا بالعدل ،فكان رده حاسما لهؤلاء الخاصة الذين أتوه يريدون منه التدخل والوقوف الى جانبهم ، وتعطيل احكام القضاء ،فجاء رده عليهم بأن القاضي لو سجل عليه في مقعده لخرج منه فأسقط في ايديهم .

اما القاضي محمد بن بشير فكان أول ما أنفذه من احكامه التسجيل على الامير الحكم بن هشام في رحى القنطرة (٢) ،اذ قام فيها بعض من قام، وسمع من البينه فيها ، ومن ثم أعذر الى الامير ، ولما لم يكن عنده مدفع فقد سجل فيها وأشهد على نفسه ،ثم ابتاعها بعد مدة للامير الحكم ابتياعا صحيحا . فكان الحكم بعد ذلك يقول : " رحم الله محمد بن بشير: كان بأيدينا شيء مشتبه فيه فصححه لنا ،وصار حلالا طيب الملك في اعقابنا " (٣)

لقد اشترط محمد بن بشير عند توليه القضاء على الامير ثلاثة شروط ، كما أسلفنا أولها نفاذ الحكم على كل احد من الامير الى حارس السوق ، وهاهو يبتديء بتنفيذ ما اشترطه فابتدأ بالامير أولا ليرى مدى استجابته لشروطه ،وانفذ حكما ضد الامير ،ولو أن الامير لم يستجب الى حكمه لطلب اعفاءه من منصبه لانه أخل بشرط من الشروط التي اشترطها له ، وقبلها في المبتدأ ،وهو نفاذ الحكم على كل احد .

---

(١) ابن سعيد المغربي ،المغرب ،١/١٤٤، ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب ٢ / ٦٦ .

(٢) الرحى جمع أرحاء وهي قطع من الارض غلاظ دون الجبال تستدير وترتفع عما حولها . والرحى من الارض مكان مستدير غليظ يكون به رمال . وقيل الرحا الحجارة والصخرة العظيمه . ابن منظور ،لسان العرب ،المجلد الاول ،ص ١١٤٥ .

(٣) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ٧٥ ، النباهي ،تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٤٨، المقري التلمساني ،نفح الطيب ،٢ / ١٤٥ ، القاضي عياض ،ترتيب المدارك ٢ / ٥٠٢ .

ومن الأحكام التي انفذها ابن بشير كذلك ، امضاء حكم على الوزير الذي أشار بتوليته القضاء ، مما أحفده عليه ، وشكاه الى الحكم ، فرد عليه الحكم : بأنك أنت الذي أشرت بتوليته ، ولكن اذهب اليه في منزله فأن اوصلك الى نفسه ، وخرج إليك ، فقد جعلت عزله بيدك ، فلما استأذن عليه خرج اذن القاضي بأن يأتي إليه في مجلس حكمه فرجع الوزير خائبا وأرسل له : والله لاطلبن دمك ، فكان رد القاضي اما أنا فلست أقتله الا بقلمي ، وقد سر الأمير الحكم لموقف قاضيه ابن بشير (١).

وذكر ان سعيد الخير عم الأمير الحكم وكل وكيلا يخاصم له عند محمد بن بشير في احدى القضايا المرفوعه ضده ، وكانت في يد سعيد وثيقه فيها شهادات جماعة من العدول ، أتى الموت عليهم ماعدا شاهدا واحدا من أهل القبول مع شهادة الامير الحكم ابن أخيه ، فاضطر عمه اليهما في خصومته عندما قبل القاضي شهادة الاخير ، وضرب الاجال لوكيله في شاهدثان فدخل سعيد على الامير ، وعرفه حاجته الى شهادته ، وكان الحكم معظما لعمه ، فطلب منه اعفاءه من هذه الشهادة ، وأنهم ليسوا من اهل الشهادة عند قضاتهم ، ولكنه اصر عليه اصرارا شديدا ، مما اضطره ان يرسل شهادته مع فقيهين يؤديانها الى القاضي ، فأدياها له ، ثم قام الوكيل وكله ثقه في أن القاضي سيحكم له في هذه القضية طالما أن الامير أرسل شهادته . فأخذ القاضي كتاب الشهادة ، وأعاد النظر فيه ، ثم قال له : / هذه شهادة لاتعمل عندى فجئني بغيرها . فمضى الوكيل الى سعيد فأعلمه ، فركب الى الحكم من فوره ، وقال له : ذهب سلطاننا ، وأهينت كرامتنا من قبل قاضيك الذى رد شهادتك وأغراه بابن بشير ، والامير مطرق ، فلما فرغ من حديثه قال له : ياعم هذا ماقد ظننته ، وقد آن لك أن تقصر عنه بالحق ، فالحق أولى بك (٢).

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، ١٤٥/١ — ١٤٦ ، وانظر مجهول ، اخبار مجموعة ص١١٦ ، وأورد اسم الوزير على انه عباس بن عبد الله بن مروان القرشي ، عياض ، ترتيب المدارك ، ٤٩٨/٢ — ٤٩٩ ، وأورد اسم الوزير سماعة صاحب الخيل .

(٢) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ٢ / ٥٠٣ — ٥٠٤ .

وشهد عند ابن بشير رجل من أهل خاصته والتردد عليه يكنى بأبى اليسع ، فرد شهادته ، فبلغ الرجل ماكان منه ، وتصدى له عند رواحه الى المسجد ، وقال له : على خاصتى بك ومحبتى لك ، ترد شهادتى عندك ؟ فقال له محمد بن بشير : الورع ياأبا اليسع ؟ الورع يا أبا اليسع ؟ مرتين لم يزده على ذلك .(١)

وكان بعض اخوانه يعاتبونه على صلابته ، ويخشون عليه العزل ،فكان يقول : ليته ، من قد رأى الشقراء - يعنى بغلته - تقطع بى الطريق الى باجه ، فلم تمض مدة يسيرة حتى حدثت حادثة أظهر فيها ابن بشير صلابته فكانت سببا لعزله كما تمنى .(٢)

وفى عصر الامير محمد بن عبد الرحمن نظر قاضيه سليمان بن أسود فى قضية فحواها أن رجلا طالب رجلا عنده ، وهو عبد الملك بن العباس القرشى فأوقفه القاضى سليمان بن أسود موقف الاقرار والانكار ، فرفض عبد الملك ذلك ، فعزم القاضى على امتهانه ، فقام الناس الى عبد الملك من كل جانب ، وقالوا له : أتق الله على نفسك وشرفك ، ومن عرضك ،فانك ان لم تفعل نفذ فيك ما أمر به ، فكانت سبة عليك وعلى عقبك . فلما رأى ذلك قال : اشتريت ، قال له القاضى : أثبت عندى أنك اشتريت . وهذا قول بعض اهل الفتيا فى العمال المعروفين بالغصب والتعدى .(٣)

ومن القضايا التى نظرها سليمان بن اسود قضية رجل خاصم آخر فى فرن بناه صاحبه فأضر الدخان به وبالجيران - وهذه مسألة يقول ابن قاسم : ان ذلك من الضرر الذى يجب قطعه ولايباح اتخاذه - فقضى سليمان بن أسود بغير ذلك ، هو أن يجعل انبوبا فى أعلى الفرن ، فيخرج الدخان من أعلاه ، فلا يضر ذلك بمجاوره .(٤)

---

(١) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

(٣) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ٧٩ .

(٤) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ١٦٦ .

وأدب القاضي أحمد بن محمد بن زياد شاهدا شهد عليه شهادة على سبيل المثل وليست الحقيقة ،فقد تقدم اليه رجل كهل لشهد عنده بشهادة ،فقال له القاضي : مذ كم عرفت هذا الامر ؟ فاجابه الشاهد بجواب أخرج فيه الكلام على وجه المبالغة والرمى الى الغاية ، فقال له : مذ مائة سنة ، فقال له القاضي : ابن كم أنت ؟ فقال ابن ستين ، فقال له فكيف عرفت هذا الامر مذ مائة سنة ؟ أتراك عرفته قبل أن تولد بأربعين عاما ؟ فقال له الشاهد : انما قلت ذلك على المثل ، فقال له الحبيب : ان الشهادات لاتؤدى بالمثل ،ثم دعا للشاهد بالسوط فنفحه به مرات " (١) .

وفى عصر الناصر لدين الله كان لقاضيه منذر بن سعيد البلوطي عدة مواقف مشهورة معه ، ومن مشهور ماجرى له مع الناصر لدين الله هو أن أمير المؤمنين عبد الرحمن احتاج الى شراء أرض بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار كانت لايتام فى الربض الشرقي متصل بها حمام مبرز للعامة له غلة واسعة ، وكان هؤلاء الايتام فى ولاية القاضي منذر ،فأرسل عبد الرحمن الناصر من قومها له بعدد ماطابت نفسه عليه ، وأمره بمداخلة وصى القاضي على الإيتام ببيعها عليهم ،فذكر أنه لايجوز الا بأمر القاضي وعن مشورته . فأوصى عبد الرحمن الناصر الى القاضي فى بيع هذه الدار ، فقال لرسوله البيع على الايتام لايكون الا لوجوه : منها الحاجة ومنها الوهن الشديد ومنها الغبطة ،فأما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الايتام الى البيع ، وأما الوهن فليس فيها ،وأما الغبطة فهذا مكانها ، فأن اعطاهم أمير المؤمنين منها ماتستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع والا فلا . فثقل جوابه على عبد الرحمن وأظهر الزهد فى شراء الدار طمعا أن يتوخى رغبته فيها ، وخاف القاضي ان تنبعث منه عزيمة تلحق الايتام سوءتها ،فأمر وصى الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ، ففعل ذلك وباع الانقاض بأكثر مماقومت لعبد الرحمن الناصر فاتصل الخبر به فأسف على خرابها وامر بتوقيف الوصى على ماأحدثه فيها فأحال على أن القاضي امره بذلك ،فأرسل الى القاضي منذر بن سعيد وقال له : انت امرت بنقض الدار ، فقال : نعم قال : " ومادعاك الى ذلك ؟

(١) الخشني ، المصدر السابق ،ص ٢٠٧ .

قال : أخذت فيها بقول الله تعالى : " أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها "(١) - مقدروك لم يقدروها الا بكذا ، فتعلق به وهمك ، وقد تحصل فى انقاضها اكثر من ذلك ،وبقيت القاعة والحمام فضلا ، فعبر عبد الرحمن على ذلك ، وقال نحن أولى من انقاد إلى الحق ، فجزاك الله عنا وعن أمانتك خيرا (٢) .

تلك هي بعض النماذج من الاحكام القضائية التى نظر فيها القضاة فى هذا العصر .

لقد كان القضاء فى هذا العصر قلعة منيعة يصطدم بها الظلمة وغصنا وارفا يستظل بظله المستضعفون والمظلومون وكانت ثقة الخلفاء كبيرة جدا فى قضاتهم ،فتركوا لهم حرية التصرف وعدم التدخل فى احكامهم كما كانت ثقة الرعية كذلك ،فما أن يحس أحدهم بظلم وقع عليه الا ونجده يسارع الى رفع ظلامته الى القاضى ، حتى وان كانت هذه الظلامة ضد الامير أو الخليفة ، أو وزير من الوزراء أو أى عامل من عمال الدولة ،ايمانا منه بأن حقه لن يضيع امام القضاء .

---

(١) سورة الكهف ، الاية (٧٩) .

(٢) ابن غالب الاندلسى ، فرحة الانفس ، ص ٣٠٤ .

التنظيمات القضائية في عصر بني امية

أبرز هذا العهد مجموعة من التنظيمات القضائية الهامة التي تبلورت خلال هذه الفترة .

فقد نظم القاضي محمد بن بشير جلساته ، بحيث يقعد للخصوم من الغدو الى وقت الزوال ، ثم يعود مرة ثانية للجلوس اليهم بعد صلاة الظهر الى صلاة العصر ، وقد خص هذه المدة للسماع للبينات ، وتلقي الشهادات ، ولايسمع غير ذلك في هذا الوقت (١) .

ومن التنظيمات التي أدخلها القاضي ابن بشير ،أنه كانت له طوابع بلغ عددها عشرا ، كان يستدعي بها الناس اليه . فاذا سأله رجل طابعا لرفع خصم كشفه له ، عما يريده له . فان كان قريبا بقرطبة أعطاه اياه وامر كاتبه بكتابة اسمه ومسكنه ،واسم من أخذ الطابع فيه ،ويعهد بصرف الطابع اليه اذا حضر خصمه ويعنفه ان كان اخذه مبطلا ،فان كان بعيدا أجل له بقدر بعده (٢) .

لقد استحدث القاضي محمد بن بشير هذه الطوابع الخاصة لاستدعاء الخصوم ،ويظهر انها كانت أشبه بالاوامر القضائية التي يصدرها القضاة اليوم ،للاشخاص الذين عليهم دعاوي ،ويطلب منهم المثول امام المحاكم للفصل في القضايا المرفوعة ضدهم .

وكان القاضي محمد بن بشير ، اذا جلس للقضاء في المسجد ،جلس وحده ،وخريطته بين يديه يتولى تقليبها بيده ،ويتقدم اليه الخصوم حسب الترتيب ، فيقف الخصمان على اقدامهما بين يديه ، ويدليان بحجتهما من غير صخب ،فيفصل بينهما (٣) .

---

(١) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ٢ / ٤٩٧ — ٤٩٨ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب ، ١ / ١٤٤ — ١٤٥ .

(٣) عياض ، المصدر السابق ، ٢ / ٤٩٦ — ٤٩٧ .

وكذلك كان للقاضي عمرو بن عبد الله في عصر الامير محمد ابن عبد الرحمن ، طابعا مختوما بختمه ، يبعث به الى أي شخص متظلم منه يريد احضاره الى مجلسه (١) .

وكان هناك وكلاء يخاصمون من الناس ، فقد روى الخشني : ان القاضي سعيد بن سليمان بن حبيب عندما ولاه الامير عبد الرحمن بن الحكم القضاء ، جلس للحكم في المسجد ،وعليه جبة صوف بيضاء ، فلما نظر الخصوم الى هيئته احتقروه ، وأتوا في مغيبه الى المسجد بقشر البلوط ووضعوه تحت الحصير ، فلما أتى القاضي وجلس على الحصير أحس بأن هناك شيئا يتكسر ، فلما فرغ من الصلاة رفع الحصير ، ونظر الى قشر البلوط ،وقيل له ان بعض الخصوم فعل ذلك ، وصح عنده هذا القول ، فلما آتوه بعد ذلك نظر اليهم ، وقال لهم : " يامعشر الخصوم ،عيرتموني بأني بلوطي ، أنا أشهد على نفسي اني بلوطي ، عود والله طيب لاتفلوه ،ثم حلف لهم باثر كلامه هذا ، الا يتخاصموا عنده سنة ، فكاد أن يورثهم الفقر " (٢) .

لقد لقن القاضي سعيد بن سليمان هؤلاء الخصوم درسا قاسيا ،لانهم أرادوا التهكم منه ، وازدروه لانه من فحص البلوط ، وكأنهم لم يرتاحوا لتوليته القضاء ولم يرحبوا بذلك ،لانه ليس من العاصمة قرطبة ،فعبروا من عدم رضاهم بوضع قشر البلوط تحت مصلى القاضي ،فلما علم القاضي بفعلهم ،حلف ان لايتخاصموا لديه سنة كاملة ،حتى كاد ان يورثهم الفقر كما ذكر الخشني .

---

(١) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ١٣٧ ، ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق د. مكي ص ٥٢ - ٥٣ . ويعلق د. محمود علي مكي على هذه الحادثة بقوله " علينا أن ننبه هنا الى شئ تميزبه النظام القضائي في الاندلس ، ممايدل عليه النص الذي بين ايدينا ،ونعني به وجود هذه الطائفة من الوكلاء " الذين يخاصمون عن الناس عند القضاة " .. ويبدو ان هؤلاء كانوا يتخذون من عملهم حرفة يتكسبون بها ، بدليل مايذكر المؤرخ بعد ذلك من أن القاضي حلف الايخاصموا عنده سنة " فكاد أن يورثهم الفقر " وعمل هؤلاء الوكلاء أو الخصماء يكاد أن يكون مطابقا تماما لعمل المحامين في نظمنا القضائية الحديثة على مانرى من وصف هذا النص .

ومن التنظيمات التي ادخلها قاضي الجماعة عمرو بن عبد الله ،في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن ، أنه اذا جلس في مجلس القضاء ،أمر من كانت له خصومه ،أن يكتب اسمه في رقعة ، ثم يجمع الرقاع ويخلطها بين يديه ،ويدعو بأصحابها الاول فالاول ،على مايخرج في يده من الرقاع .(١)

وكان القاضي الحبيب احمد بن زياد ،أول قاض ضم أهل الفقه المشيرين عليه في القضية الى ضبط فتياهم وكتابة ذلك بخط ايديهم ،ولم يترك ذلك الامر لكاتبه ، فجمع تلك الاقضية والاحكام وجعل منها أجزاء فيها بلاغ لمن نظر فيها " .(٢)

وهذا تطور مهم أدخله القاضي أحمد بن محمد بن زياد ،اذ صارت هذه الاحكام والفتاوى التي سجلها أصحاب الرأى والشورى مرجعا قضائيا هاما لمن يريد النظر فيها ،والاستفادة منها .

ومن التنظيمات القضائية الهامة التي ادخلها الامويون على خطة القضاء فى الاندلس ، انشاء بعض الخطط القضائية الفرعية ،التي لها صلة مباشرة بالقاضي ومجلسه ، وقد عرضنا لبعض هذه الخطط الفرعية اثناء الحديث عن سيرة بعض القضاة ،مثل خطة الشورى .

ومن هذه الخطط الفرعية خطة الوثائق ، وخطة المواريث ، وخطة الاحباس ، وأرى أنه لابد لنا من الحديث عن هذه الخطط الفرعية بشيء من الايجاز نظرا لاتصالها الوثيق بخطة القضاء وتنظيماته فى هذا العصر .

---

(١) الخشنى ، قضاة قرطبة – ص ١٤٩ .

(٢) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ٢٠٦ .

أولا : خطة الشورى :-

يقول ابن عبدون : يجب أن يجلس مع القاضي من الفقهاء كل يوم اثنان بدولة لتقع المشورة فيكون ذلك أرفق بالناس ، وأنفذ للحكم وأصدق وللقاضي أن يستشيرهما فيأخذ برأيه ما استحسنه أو يتركه ان لم يستحسنه (١)

هذا مايراه ابن عبدون من أن القاضي لابد أن يجلس معه اثنان من الفقهاء كل يوم في مجلسه ، ليقدمان له المشورة ولذلك نجد أن الشورى كانت امرا مهما جدا في القضاء الاندلسي ،سواء كانت خطة منفردة بذاتهـا ، اوان القاضي كان يستشير غيره من الفقهاء ،فحينما نقرأ عن سيرة القاضي معاوية بن صالح ، قاضي عبد الرحمن بن معاوية ، نجد أنه : " كان ممن يستغنى بعلمه وفهمه عن مشاورة غيره (٢) " ومعنى ذلك ان القاضي كان لابد له من الاستشارة في القضايا التي تشكل عليه ،وأن هذا القاضي كان مستغنيا عن مشورة أحد لعلمه وفهمه .

وكان يحي بن معمر الالهاني ، وهو من قضاة الامير عبد الرحمن الاوسط ، اذا أشكل عليه امر من احكامه ، كتب الى اصبغ بن الفرج ونظرائه بمصر (٣) . فهذا القاضي كان يستشير في احكامه أصبغ بن الفرج في مصر ،وقد تعدى حدود شوراه الأندلس الى مصر ،فكأنه لم يكن مقتنعا بآراء علماء الاندلس ولذلك نراه يلتمس الرأي خارج الاندلس .

وكان يحي بن يحي شيخ الفقهاء في عصر الامير عبد الرحمن الاوسط، وقد مر بنا موقفه مع القاضي محمد بن سعيد الالبيري ، الذي عزل بسبب قضية شاور فيها يحي ،فأشار عليه الا انه توقف ولم يصدر حكما ،وشاوره في قضية أخرى ،فقال ما أكتب له كتابا لاني أشرت عليه في قضية فلان فلم ينفذ (٤)

(١) رسالة في القضاء والحسبة ، ص ٩ .

(٢) النباهي ،تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٤٣ .

(٣) الخشني ،ص ١٠٣ .

(٤) انظر ابن سعيد ، ١ / ١٤٩ .

ويبدو انه لم تكن هناك خطه منفصله للشورى فى مبدأ الامر ،ولكن اقتضى التنظيم القضائى بعد ذلك أن تفرد للشورى خطه منفصله بذاتهـا ، ونستخلص من سيرة بعض الفقهاء وتراجمهم أنهم كانوا مشاورين فى الاحكام أو تولوا الشورى .

فأحمد بن محمد بن زياد بن شبطون اللخمى ، كان اكمل النـــاس ادبا ، واكرمهم عناية ، واقضاهم للحاجة بماله وجاهه ،لم يزل نبيهـاً عند الكبراء ،وقد شاوره الامير محمد مع الفقهاء (١) . ت ٣١٢هـ / ٩٢٤م .

محمد ابو عبد الله بن عمر بن لبابه :

كان اماما فى الفقه مقدما على اهل زمانه فى حفظ الرأى والبصر بالفتيا ، وقد كان مشاورا فى ايام الامير عبد الله مع عبد الله ابـــن يحى (٢) .

احمد بن يحى بن يحى الليثى :

كان فى جملة المشاورين بقرطبة فى ايـــام الاميـــر عبـــد اللـــه ابن محمد (٣) . ت ٢٩٧هـ / ٩٠٩م .

محمد بن عبد الملك بن ايمن بن فرج :

كان فقيها عالما ، حافظا للمسائل والاقضيه ، نبيلا فى الـــرأى مشاورا فى الاحكام ، مدرا فيمن يستفتى ، ولى الصلاة بعد احمد بن بقـــى القاضى (٤) . ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م .

---

(١) ابن فرحون المالكى ، الديباج المذهب ، ١ / ١٥٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١٨٩ ــ ١٩٠ .
(٣) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم (٦١) ،جـ ١ ، ص ٦٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ٢/٧٠٤ ، ترجمة رقم ١٢٢٨ .

عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن ابراهيم بن عيسى :

كان فاضلا خيرا وقورا ، ضابطا لكتبه متقنا لروايته وكان حافظا للفقه مشاورا للاحكام . ت ٣٢٥ هـ / ٩٣٦م .(١)

احمد بن محمد بن عبد الملك بن ايمن :

من أهل قرطبة يكنى ابا بكر ، سمع من ابيه ، وكان فقيها حافظا للرأى ومشاورا فى الاحكام . ت ٣٤٧ هـ / ٩٥٨م .(٢)

أحمد بن عبد الله بن احمد الاموى :

من اهل قرطبة ، يعرف باللؤلؤى ، ويكنى ابا بكر وكان اماما فى حفظ الرأى على مذهب مالك ، ومقدما فى الفتيا على اصحابه ،ولم يزل مشاورا فى الاحكام من ايام القاضى أحمد بن بقى الى أن توفى سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م .(٣)

محمد بن حارث الخشنى :

كان حافظا للفقه ومتقدما فيه ، نبيها ذكيا فقيها فطنا متفننا عالما بالفتيا ، ولى الشورى بقرطبة . ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م .(٤)

أبو عبد الله محمد بن يحى بن لبابه :

كان من أحفظ اهل زمانه للمذهب المالكى ،عالما بعقد الشروط، بصيرا بعللها ، وله اختيارات فى الفقه والفتوى خارجة عن المذهب . ولى قضاء البيره والشورى بقرطبة . ت ٣٣٦هـ / ٩٤٧م .(٥)

(١) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الأندلس ،ترجمة رقم ٨٩٧، ص ٣٠٤ – ٣٠٥ .
(٢) المصدر نفسه ،ترجمه رقم ١٣٦ ، ص ٤٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .
(٤) عياض ،٥٣١/٤ ، ابن فرحون المالكى ، ٢ / ٢١٢ – ٢١٣ .
(٥) ابن فرحون المالى ،الديباج المذهب ، ٢٠٠/٢ ، ترجمة رقم ٣٢ .

وهناك كثير من العلماء الذين لم نعرض لهم بالحديث ممن تولوا الشورى أو كانوا مشاورين في الاحكام . ويتضح لنا من خلال النصوص الانفه الذكر انه كان هناك مجموعة من الفقهاء يستشارون في الاحكام ، وهناك من انفرد بالشورى مما يدل على انه لم تكن هناك خطة مفردة للشورى في مبدأ الامر .

ولقد كانت الشورى امرا مهما عمل به الاندلسيون في قضائهم، وذلك امعانا في العدالة ، وضمانا لئلا يشذ القاضي في قضائه أو يحيف على أحد في حكم فلذلك كان المشاورون في الاحكام أو خطة الشورى فيما بعد من اهم التنظيمات القضائية التابعة للقضاء اذ ان القاضي كان لايفصل في احيان كثيره الا بعد الرجوع الى المشاورين في الاحكام او صاحب الشورى ليأخذ منه الرأى المناسب في القضية التى يريد الفصل فيها .

والى جانب الشورى كانت هناك الفتوى ، فقد جاء عن عبد الملك ابن حبيب انه انصرف الى الاندلس سنة ٢١٠هـ / ٨٢٥م بعد رحلة رحلها الى المشرق وجمع علما عظيما ونزل بلدة ألبيرة وقد انتشر علمه وروايته ،فنقله الامير عبد الرحمن بن الحكم الى قرطبة ،ورتبه في طبقة المفتين بها ، فقام مع يحى بن يحى زعيمها في المشاورة والمناظره (١) .

وجاء عن عيسى بن محمد بن عيسى اليحانسي : انه كان مشاورا في الاحكام ، صدرا فيما يستفتى ،مرشحا للاحكام الشرطية (٢) .

وفي ترجمة عيسى بن دينار قال ابن الفرضي عنه :" سكن قرطبة ، ويكنى ابا محمد ،ورحل فسمع ابن القاسم وصحبه وعول عليه ، وانصرف الى الاندلس وكانت الفتيا تدور عليه . لايتقدمه في وقته أحد بقرطبة . وكانت له بها رئاسة وذلك بعد انصرافه من المشرق " (٣) .

---

(١) عياض ، ترتيب المدارك ، ٣ / ٣١ .
(٢) المصدر نفسه ، ٣ / ٥٦٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ٣ / ١٦ – ١٧ .

وقال ابن سعيد المغربي : " وكانت فتيا قضاة الحكم تدور على زياد بن عبد الرحمن وعيسى بن دينار ويحي بن حصن " (١) .

وجاء عن القاضي اسماعيل بن بشر أنه كان مفتيا أيام الامير الحكم بن هشام ، وابنه عبد الرحمن ، وكان يستفتى فى قضائه زونان ومحمد بن سعيد ، والفازى بن قيس والحارث بن ابى سعد (٢) .

ثانيا : خطة الوثائق :-

قال ابن عبدون : يجب أن لايكتب الوثائق الا من شهد له فى ذلك بحسن الخط وترتيب اللفظ ، واتساع فى العلم من رجل خير ، عالم ليكفى القاضى والحاكم عند رؤية خطه ولفظه ، البحث والتعب فيهما من براءة التدليس والتلبيس (٣) .

فالوثائق اذن عبارة عن العقود التى تكتب فى شتى المعاملات التى تتم بين الافراد الرعية ، وتتطلب هذه المعاملات توثيقا من قبل القاضى فلذلك فان ابن عبدون يرى أن لايتولى هذه الخطة الا من شهد له بحسن الخط لأن رداءة الخط أو عدم وضوحه ، وعدم ترتيب الالفاظ يؤدى الى خلل في هذه المعاملات ولابد ان يكون من يتولى هذه الخطة واسع العلم وخيرا .

ونستطيع ان نقول أن خطة الوثائق هى اشبه بما يقوم به المحامون اليوم من توثيق معاملات البيوع فى الاراضى وغيرها من انواع المعاملات التجارية .

وكان يتولى هذه الخطة فقيه عارف بالفقه . فقد كان محمد أبن ابراهيم بن مسرور المعروف بابن الخباب المتوفى بعد سنة ٣٢٠هـ ، حافظا للفقه ، بصيرا بالوثائق عالما بالاقضيه والاحكام ، وكان صاحب وثائق الناصر لدين الله (٤) .

(١) ابن سعيد ، المغرب ، ١ / ١٤٦ .
(٢) عياض ، ترتيب المدارك ، ٣ / ٢٥ - ٢٦ .
(٣) ابن عبدون ، رسالة فى القضاء والحسبه ، ص ١٣ .
(٤) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ترجمه رقم ١٢٠٠ ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .

وكان محمد بن خالد بن داود بن جعفر المعروف بابن الصفير المتوفى بعد سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م ،والذى كان يشاور فى الاحكام ، كانت له عناية بالرأى والفتيا والوثائق .[١] وجاء فى ترجمة ابراهيم بن سليمان ابن زكريا ، المتوفى سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧م ،أنه كان صاحب وثائق ،[٢] وتولى محمد بن يحى بن لبابه المتوفى سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م خطة الوثائق والشورى للناصر .[٣] ومن الذين تولوا خطة الوثائق قاسم بن محمد بن سيار المتوفى ٣٥٣هـ / ٩٦٤م وكان من اهل الفقه والشورى* .

ويذكر ابن بشكوال ;أن أحمد بن سعيد بن ابراهيم الهمدانى والذى يعرف بابن الهندى "كان حافظا للفقه وحافظا لاخبار اهل الاندلس ،بصيرا بعقد الوثائق وله فيها ديوان كبير نفع الله المسلمين به" ويروى ابن مفرج قوله: " قرأت على ابى عمر ديوانه فى الوثائق ثلاث مرات ، وأخذته منه على نحو تأليفه له ، فانه ألف اولا ديوانا مختصرا من ستة اجزاء فقرأتها عليه ، ثم ضاعفه وزاد فيه شروطا وفصولا وتنبيها فقرأت ذلك عليه أيضا ، ثم ألفه ثالثه واحتفل فيه وشحنه بالخبر والحكم والامثال والنوادر .." واخترع فى علم الوثائق فنونا ، وألفاظا ،وفصولا ،واصولا وعقدا عجيبه ،فكتب ذلك كله وقرأته عليه[٤] " .

وكان محمد بن عبد العزيز بن يحى المعروف بابن العطار ،عالما بالوثائق بصيرا بعلله ، الا انه كان يدلس فيها ، وقد اشتهر بذلك ،ولم يكن ثقه ولا مأمونا .[٥]

وقد قطع القاضى محمد بن بشير يد رجل كان يدلس فى الوثائق اذ عقد وثيقة باطل على رجل من التجار ، فلما ثبت ذلك عنده امر بقطع يده[٦]

---

(١) عياض ، ترتيب المدارك ، ٤ / ٣٩٨ .
(٢) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ص ٦٦ .
(٣) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ٢ / ٢١٤ — ٢١٥ .
(٤) ابن بشكوال ، الصلة ج ١ ، ص ١٤ ترجمة رقم ٢١ .
(٥) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ،٢ / ٧٦٠ ،ترجمه رقم ١٣٣٨ .
(٦) النباهى ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٤٨ .
* القاضى عياض ، ترتيب المدارك ، جـ٢-٤ ، ص ٤٤ .

وهذا اجتهاد من القاضي محمد بن بشير في هذا الامر لان قطع اليد كماهو معلوم لدينا في الشريعة الاسلامية يكون في حد السرقة ٠

وكان عبد الله بن محمد بن أحمد بن قاسم بن هلال ، المتوفى سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م صاحب مسائل ووثائق (١) ٠

ومن ذلك يتضح انه كانت هناك خطة للوثائق ، أو صاحب للوثائق من الفقهاء الذين لهم دراية وخبرة في صياغة الفاظها وكتابتها ، وكانت هذه الوثائق توقع من قبل القاضي الذي ينظر فيها ويدقق فيها ،وتصبح معتمده بعد توقيع القاضي عليها ٠

فقد كان القاضي احمد بن بقي بن مخلد حسن الانتقاد في الوثائق وكان لايوقع شهادته في وثيقة حتى يقرأ جميعها ،من أولها الى اخرها وكان يصبر على ذلك ، وان كان قائما على قدميه (٢) ٠ فقد روى الخشني عن احمد بن عبادة الرعيني قال : " كتبت لنفسي وثيقه على رجل بمال، وذكرت في الوثيقة سببا اضطررت فيها الى ذكره ، وكانت الوثيقة بذكر ذلك السبب واهنه ،وأرسلت شريكا لي ليوقع فيها الشهادات على الرجل، قال : فاتي بالوثيقة الى احمد بن بقي ليشهده فيها ، فلما قرأها ووقف على وهنها ، كره أن يوقع شهادته على ذلك الوهن ، وكره أن لايوقع شهادته فيسخط الصديق بانقباضه عنه ، وكره أن ينبه المشهود عليه بوهنها ٠ قال فرفع رأسه الى الرجل ،فقال له : أتشهدني أن لفلان عندك كذا وكذا مثقالا الى أجل كذا وكذا ؟ قال له نعم : فعقد شهادته على هذا اللفظ بعينه لاغير " (٣) ٠

---

(١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ص ٢٣١ ٠
(٢) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ٢٢٧ ٠
(٣) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨ ٠

وكان القاضي النضر بن سلمه : " عالما بعلل الوثائق ، ومدركا بموضع الزلل منها ، والاغلال فيها ، يوقف الفقهاء على ذلك فيقرون له بالاصابة ، ويعترفون له بفضل الادراك " .(١)

اما القاضي أسلم بن عبد العزيز ، فقد منع عبد الله بن محمد الانصاري المتوفى سنة ٣٢٠هـ من كتابة الوثائق لانه يدلس في العقود ،وقد شهد بذلك عدة مرات فأمره القاضي بأن يلزم بيته .(٢)

ثالثا : خطة المواريث :ـ

اما المواريث فليست لدينا معلومات مفصله عن هذه الخطة خلال هذه الفترة ولكن ثمة نصوص قليلة تشير الى انها كانت خطة قائمة بذاتها ففي سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م ، ولي المواريث للناصر طرفه بن عبد الرحمن ،(٣) وعزل عنها في سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م ليتولى طرفه بن لقيط مكانه .(٤)

وجاء في ترجمة محمد بن حارث الخشني أن الخليفة الحكم المستنصر ولاه المواريث بجانه .(٥)

ومن الذين تولوا خطة المواريث للخليفه المستنصر محمد ابن عبد الله بن ابي عامر .(٦) لقد ظلت المواريث من اختصاصات القاضي وحده هو الذي ينظر فيها طيلة هذه الفترة ، فلما دعت الحاجة الى جعلها خطة منفرده عين لها من يقوم بها نيابة عن القاضي .

---

(١) الخشني ،قضاة قرطبة ،ص ١٨٧ .
(٢) ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمه رقم ٦٧٣ ،ج١ ، ص ٣٨٧ – ٣٨٨
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ٢٠٣ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ٤٨٨ .
(٥) عياض ،ترتيب المدارك ،٤ / ٥٣١ ، ابن فرحون المالكي ،الديباج المذهب ٢ / ٢١٢ – ٢١٣ .
(٦) ابن حيان ،المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص ١٠٦ .

رابعا : خطة الأحباس :-

وأما الأحباس فهي أيضا من اختصاصات القاضي ،ولم تكن خطة منفردة، فالقاضي هو الذي يشرف على الأحباس ، وينظر فيها ٠

وقد نص النباهي على أن للقاضي النظر في الأحباس والوقوف والتفقد لأحوالها وأحوال الناظر فيها (١) ٠

وقد رأينا أن الأمير عبد الله قد احتاج إلى المال الموقف في المسجد الجامع بقرطبة ، نظرا لاتساع الفتنه في عهده ، ولكن القاضي النضر بن سلمه حال بينه وبين مال الأوقاف فكان ذلك سببا في عزله من قضاء الجماعه (٢) ، وفي ذلك دلاله على أن الأحباس كانت بيد القاضي الذي يولي شخصا أمينا من قبله للقيام بأمر الأحباس ،ويكون تحت اشرافه المباشر ٠

فقد كان محمد بن عبيد الله بن هاشم مولى المنذر بن عبد الرحمن ابن معاوية ناظرا في الاوقاف أيام كان اسلم بن عبد العزيز على القضاء وكانت وفاته في سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤م (٣) ٠

وكذلك كان أحمد بن عبد الرحيم بن كنانه اللخمي من أهل قرطبة ناظرا في الاوقاف أيام محمد بن اسحاق بن السليم على قضاء الجماعة وكانت وفاته في سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م (٤) ٠

هذه هي أهم التنظيمات القضائية التي أدخلها الأمويون في الأندلس على خطة القضاء وملحقاتها ٠

---

(١) النباهي ، المرقبة العليا ، ص ٥ ــ ٦ ٠
(٢) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص ١٨٩ ٠
(٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ،٢/ ٦٧٨ ، ترجمة رقم ١١٨٢ ٠
(٤) المصدر نفسه ، ١ / ١١٨ ، ترجمة رقم ١٨٥ ٠

مذهب القضاة :

لم يكن يتولى القضاء في الأندلس إلا من كان على مذهب الامام مالك في أغلب الأحيان. يقول المقري : " وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل بأصح الأقوال المالكية ، حتى إنهم كانوا لايولون حاكما إلا بشرط أن لايعدل في الحكم من مذهب ابن القاسم " (١) .

ويرى ابن حزم أن انتشار مذهب مالك بن أنس بالاندلس سببه يحي ابن يحي، الذي كان مكينا عند السلطان ، مقبول القول في القضاة، وكان لايلي قاض في بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره، ومن كان على مذهبه (٢) .

ومعظم القضاة الذين عرضنا لهم بالذكر، كانوا من فقهاء المالكية بالأندلس ،ومنهم من رحل الى المشرق للسماع من الامام مالك، أو للأخذ من تلاميذه .ولذلك كانت الأحكام القضائية تأتي وفق أحكام المذهب المالكي .

فالقاضي محمد بن بشير المعافري كان ممن لقى مالك بن أنس عند توجهه الى بيت الله الحرام ، وجالسه واقتبس منه (٣) ، واقتبس أيضا بمصر، ثم عاد الى الأندلس ليتولى القضاء بقرطبة (٤) .

أما عيسى بن دينار، الذي ولى قضاء طليطلة للحكم، والشورى بقرطبة ، فقد رحل، وسمع ابن القاسم وصحبه وعوّل عليه ، وانصرف الى الأندلس وكانت الفتيا تدور عليه (٥) .

وأما شيخ الفقهاء في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، يحي بن يحي، فقد سمع من زياد بن عبد الرحمن " موطأ مالك بن أنس " ، ورحل إلى

---

(١) نفح الطيب ، ٣ / ٢١٦ .

(٢) ابن حزم برواية المقري ، ٢ / ١٠ .

(٣) النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص ٤٨ .

(٤) عياض ، ترتيب المدارك ، ٢ / ٤٩٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ٣ / ١٦ .

المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنه ، فسمع من مالك بن أنس " الموطأ " غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها ، فأثبت روايته فيها عن زياد ، وعاد إلى الأندلس بعلم كثير ، فعادت فتيا الأندلس بعد عيسى ابن دينار إلى رأيه وقوله ، وكان يفتي برأي مالك بن أنس (١) .

وروى الفقيه عبد الملك بن حبيب بالأندلس عن صعصعة بن سلام ، والغازي بن قيس ، وزياد بن عبد الرحمن ، ورحل إلى المشرق ، وألف عدة مؤلفات ، منها الكتب المسماة بالواضحة في الفقه والسنن (٢) .

ولما كان معظم القضاة في هذا العصر من تلاميذ الإمام مالك بن أنس ، أو تلاميذ تلاميذه ، فقد كان من الطبيعي أن يتأثر القضاء في الأندلس بأحكام الفقه المالكي .

---

(١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ٢ / ٨٩٨ ، ترجمة رقم ١٥٥٤ .
(٢) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ٣ / ٣١ .

المبحث الثاني

خطتا البرد والمظالم ١٢٨ - ٣٦٦ هـ

خطتا الرد والمظالم فى الاندلس

أولا : خطـة الـرد :

خطة الرد من الخطط القضائية التى تميزت بها بلاد الاندلس من بلاد المشرق ، اذ أننا لانجد ذكرا لهذه الخطة فى النظام القضائى بالمشرق فهى فى الحقيقه خطة اندلسية بحته .

وعلى الرغم من أن المصادر الاندلسية التى آرخت للقضاء فى الاندلس قد افاضت فى الحديث عنه ، الا انها فى نفس الوقت لم تعطنا صورة واضحه من خطة الرد ، ولم تمدنا الا باشبارات متفرقة عنها .

وعلى الرغم من قلة معلوماتنا منها فسنحاول الربط بين ماتوفر منها حتى نستطيع الوصول الى كنه هذه الخطة .

الرد لغـة :

الرد لغة صرف الشيء ورجعه . والرد مصدر رددت الشئ ، ويقال أمر رد اذا كان مخالفا لما عليه السنه (١) .

الرد فى الاصطلاح :

يتبين لنا معنى الرد فى الاصطلاح من خلال ماذكره القاضى ابن سهل عن الخطط التى تجرى على ايدى اصحابها الاحكام القضائية وحددهم بست خطط فقال : " وللحكام الذين تجرى على أيديهم الاحكام ست خطط ، آولها القضاء وأجلها قضاء قاضى الجماعه ،والشرطة الكبرى ، والشرطة الوسطى ، والشرطة الصغرى ،وصاحب مظالم ،وصاحب رد ،وهو كصاحب شرطه ،ويسمى صاحب رد بما رد اليه من الاحكام ،وصاحب مدينه وصاحب سوق " (٢) .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الاول ، ص ١١٤٩ .

(٢) ابن سهل الاندلسى ، الاحكام الكبرى ، مخطوط ، ورقه ٢ ، النباهى ، المرقبة العليا ، ص ٥ .

ويقول ابن سهل أيضا : وانما كان يحكم صاحب الرد فيما استرابه القضاة وردوه عن انفسهم هكذا سمعته من بعض من أدركته " (١) .

وبناء على ماذكره ابن سهل فان مهمة صاحب الرد هي النظر في القضايا التي تنحى عنها القضاة وردوها عن أنفسهم . اما لماذا رد القضاة هذه القضايا فلم تقدم لنا المصادر التي بين أيدينا قضية ردها القضاة حتى نستطيع تكوين صورة واضحة عن هذه الخطة .

ويتضح مماذكره ابن سهل أن هذه الخطة لم تكن موجودة في عصره لانه قال أنه سمع ذلك من بعض من أدركه .

ولكن الذى أراه ان القضايا التى ترد ربما يتوقف فيها القضاه نتيجة عدم وضوح البينات والدلائل فيها ، فلذلك يرفعونها الى غيرهم للفصل فيها بعد استكمال البينات .

ويظهر أن المجتمع الاندلسي قد رأى لظروفه الخاصة ،أن القضايا التى ردها القضاة عن انفسهم ، قد كثرت الى درجة اقتضت استحداث منصب قضائي خاص ،عمله الوحيد هو تقبل هذه القضايا المردودة من القضاة والمحالة اليه والنظر فيها (٢) .

ولكن هل كانت لصاحب الرد سلطة الفصل في تلك القضايا التي يسترتيب فيها القضاة ، ويردونها عن انفسهم ام ان هناك سلطة اخرى ،هي التي لها سلطة الحكم النهائي " (٣) .

---

(١) ابن سهل الاندلسي ، الاحكام الكبرى ،ورقه ٢ ،النباهي ،المرقبة العليا ص ٥ .

(٢) ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي ، ص ٥٢٢ .

(٣) انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. مكى ، حاشية ١٥٤ ، ص

ويجيب د. محمد عبد الوهاب خلاف على هذا التساؤل بالرجوع الى النص الذي حدده ابن سهل فيمن يحق له اصدار الاحكام . فقد ذكر صاحب الرد ضمن أصحاب الخطط الست الذين لهم هذا الحق ، وحدد اختصاصاته بوضوح بأنه يحكم فيما استرابه القضاة وردوه عن انفسهم .(١)

وكان من مهام صاحب الرد أيضا ، نقض الاحكام القابلة للطعن التي حكم فيها غيره بعد أخذ رأي الامير في ذلك .(٢)

وكانت منزلة صاحب الرد أدنى من قاضي الجماعه ،ونستدل على ذلك من ترتيب جلوسه مع العمال والوزراء في المناسبات الرسمية والاحتفالات التي كان يقيمها الخليفه . فابن حيان حينما وصف احدى المناسبات الرسمية التي اقامها الخليفه الحكم المستنصر سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م ،وجلوس كل من الوزراء وأهل الخدمة مكانه ،قال : " ... وحضر هذا المجلس الحفيل قاضي الجماعه محمد بن اسحاق بن السليم ، والحكام أصحاب الشرطة :أحمد ابن نصر صاحب الشرطة والسوق وخالد بن هشام صاحب الشرطة ،وعبد الملك بن منذر صاحب الرد فقعدوا تحت الوزراء ... " .(٣)

والذي يستلفت الانتباه هو أن ابن حيان ذكر صاحب الرد ضمن الحكام أصحاب الشرطة في هذا النص ، وذكر ابن سهل ان صاحب الرد كصاحب شرطة فهل كان عمل صاحب الرد كعمل صاحب الشرطة ، ولكنه اضافة الى عمله كصاحب شرطة اعطي صلاحيات قضائية ترد اليه بعض القضايا التي اشكلت على القضاة للفصل فيها ؟

هذا ما أميل اليه وأرجحه في هذا الشأن ،وبين ايدينا بعض النصوص التي تدعم هذا الرأي .

---

(١) صاحب الرد والمظالم في الأندلس ، مقال منشور بمجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت ، العدد الرابع عشر ـ ١٣٩٨هـ ، ص ١٧١ .

(٢) محمد الشريف الرحموني ، نظام الشرطة في الاسلام الى اواخر القرن الرابع الهجري ، ص ١٥٥ .

(٣) المقتبس ، تحقيق د. الحجي ، ص ١٢٨ .

يقول ابن حيان : " ألفى الامير عبد الرحمن على الشرطة لابيه ، الحكم بن محمد بن كليب بن ثعلبه فأمضاه عليها ثم رقاه الى الوزارة ثم استعفى من الشرطة اذ كره النظر ،وولى مكانه الشرطة سعيد بن عياض القيسى ، وكان على الشرطة والرد حارث بن ابى سعد (١) " (٢) . وذكر ابن الفرضى أن حارث بن ابى سعد كان مفتيا فى أيام الامير الحكم بن هشام وابنه عبد الرحمن الاوسط وأنه ولى الشرطة الصغرى ، ولم يزل عليها الى ان توفى فى سنة ٢٢١هـ / ٨٣٥م (٣) . ولكنه لم يذكر لنا أنه ولى الرد ،وطالما أنه كان مفتيا فقد كان مؤهلا لولاية الرد .

اما الامير عبد الله بن محمد ٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ ، فقد ولى موسى ابن محمد (٤) بن زياد الجذامى الشرطة والرد ثم نقله الى الشرطة العليا (٥) .

وتولى يحى بن اسحاق الطبيب خطة الرد فى سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م للناصر لدين الله مع الشرطة الصغرى مكان محمد بن محمد بن ابى يزيد (٦) .

ومن الذين تولوا خطة الرد الناصر أيضا محمد بن تمليخ التميمى وكان مؤتمنا على تفريق الصدقات (٧) . وولاه الخليفه الحكم خطة الرد والشرطة وكانت له منزله من المستنصر بالله (٨) ،وكان عالما بالطب ،توفى سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م .

---

(١) حارث بن ابى سعد ،مولى الامير عبد الرحمن بن معاوية ،يكنى ابا عمرو واسم ابى سعد سابق . رحل فسمع من ابن القاسم ،وابن كنانه ،وغيرهما من المدنيين والمصريين . كان يفتى فى اخر أيام الامير الحكم بن هشام وأول أيام الامير عبد الرحمن بن الحكم ت سنة ٢٢١هـ ،أو ٢٢٢هـ . ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة ٢٢٤ ،ص ١٩٤ .

(٢) المقتبس ، تحقيق د. مكى ،ص ١٧٦ .

(٣) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة ٢٢٤ ،ص ١٩٤ .

(٤) موسى بن محمد بن زياد ،تولى قضاء الجماعه للامير عبد الله بعد انصراف ابن سلمه فى ولايته الاولى ،ثم استوزره . ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ترجمة ١٤٥٧ .

(٥) الخشنى ،قضاة قرطبة ،ص ٩٠ ، وعلى الرغم من أن الخشنى كتب كتابة شاملة عن خطة القضاء فى الاندلس ،الا اننا نجد لفظ الرد يرد لاول مره عنده فى هذا النص ،واكثر ماورد من خطة الرد نجده عند المؤرخ ابن حيان.

(٦) ابن حيان ، المقتبس ،ج ٥ ،ص ١٣٤.

(٧) ابن جلجل الاندلسى ، طبقات الاطباء والحكماء ،ص ١٠٨ .

(٨) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمه رقم ١٩٩٤ ،ج ٢ ، ص ٧٤ .

ومن خلال استقرائنا للنصوص السابقة نجد انها تشير بصورة واضحة الى أنه كان يضاف لصاحب الرد ، خطة الشرطة فى بعض الاحيان ، ممايتيح له حق الفصل في الاحكام ، وسرعة البت فيها . وأن عمله كعمل صاحب الشرطة .

ومن الذين تولوا خطة الرد للناصر لدين الله ،محمد بن محمد بن عبد الرحمن في سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م (١) .

ومن الذين تولوا خطة الرد يحى بن عبد الله بن يحى الليثى ، وكان قاضيا بجانة والبيره ، وولى احكام الرد ايام كان اخوه قاضيا بقرطبة ، وكان فقيها عالما ، وسمع منه الموطأ جماعه من الشيوخ وطبقات الناس ، كانت وفاته في سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م (٢) .

وكان يوكل الى صاحب الرد بعض الاعمال ، فقد عهد الحكم المستنصر الى محمد بن تمليخ التميمي الانف الذكر ، الاشراف على بنيان زيادة المسجد الجامع بقرطبة ،واسمه ظاهر في الزيادة على المحراب ، وكان يشرف على دار الضرب والاصانات (٣) .

وكان يعهد الى صاحب الرد بالخروج الى الكور لمطالعة احوال الرعايا ومعرفة مشكلاتهم ، ففي جمادى الاخرة من سنة ٣٦٢هـ /٩٧٢م " خرج صاحب الرد عبد الملك بن منذر بن سعيد الى الكور الغربية وهى شريش ولقنت وأشبيليه لمطالعة رعاياها ،وتعرف احوالهم والكشف عن سير احمالهم (٤) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٠٩ .
(٢) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة ١٥٩٥ ،ج ٢ ، ص ٩١٩ — ٩٢٠
(٣) ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص ١٠٨ ، صاعد الاندلسى ،أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد .(ت ٤٦٢هـ) كتاب طبقات الامم ،المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩١٢م ، ص ٨٠ .
(٤) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق د. الحجى ، ص ١٠٠ .

وكذلك كان صاحب الرد يتلقى الشكاوى من رعايا الكور على عمالهم فيخرج للتحقيق فى هذه الشكاوى والفصل فيها ففى سنة ٣٦٢هـ : " خرج صاحب الرد عبد الملك بن منذر الى مدينة الفرج ، ومعه الخازن أحمد بن محمد الكلبى ليتعرفا على حقيقة مارفعه أهلها على قائدها رشيق بن عبد الرحمن والانتصاف لهم منه (١) .

ومماسبق ذكره يمكن أن نخلص الى أن مهام صاحب الرد كانت تشتمل على :-

أ - النظر فى القضايا التى استراب فيها القضاه وردوها عن انفسهم لسبب من الاسباب ، والفصل فى هذه القضايا ، ولابد أن يكون صاحب الرد من الفقهاء المشهود لهم بالعلم والفقه (٢) .

ب - نقض الاحكام القابلة للطعن التى حكم فيها غيره بعد اخذ رأى الامير فى ذلك .

ج - الخروج الى الكور للتعرف على احوال الرعايا فيها والتحقيق فى بعض الشكاوى المرفوعه ضد ولاة هذه الكور .

د - الاشراف على بعض الاعمال الادارية التى يرى الخليفه تكليفه بها .

تلك كانت بعض الاعمال التى يتولاها صاحب الرد ، وقد ضنت علينا المصادر بمعلومات ضافية تتيح لنا قدرا من التوسع فى الحديث عن هذه الخطه ،ولكنها على ايه حال امدتنا ببعض الاشارات التى افادتنا فى التعرف على هذه الخطه ومهام صاحبها .

وفى خلو المصادر عن الحديث من خطة الرد دلالة على انها لم تكن خطة قضائية ثابته فى كل حين ، ولكن احتاج اليها التنظيم القضائى فى

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. الحجى ، ص ١٠٤ .
(٢) د. السيد ابو العزم داود ،القضاء والقضاة بالاندلس من الفتح الى نهاية عهد المرابطين ، ص ١٣٣ .

الاندلس فى وقت من الاوقات ثم تخلى عنها ، ولذلك أتفق مع الرأى القائل بأن امر الرد قد آل الى المظالم فيما بعد .(١)

ثانيا خطة المظالم :

النظر فى المظالم هو عبارة من قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين من التجاحد بالهيبة ، وكان من شروط متولى المظالم : أن يكون جليل القدر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع كثير الورع ،(٢) وهى خطة حدثت لفساد الناس ، وهى كل حكم يعجز عنه القاضى فينظر فيه من هو أقوى منه يدا .(٣)

وقد ذكر ابن سهل،صاحب المظالم/ضمن الحكام الست،الذين تجرى على أيديهم الأحكام فى الأندلس .(٤)

اختصاصات والى المظالم :

حدد الفقهاء اختصاصات والى المظالم بعشر اختصاصات هى :-(٥)

(١) النظر فى تعدى الولاة على الرعية ،وأخذهم بالعسف فى السيرة .

(٢) النظر فى جور العمال فيما يجبونه من الاموال .

(٣) تصفح احوال كتاب الدواوين لانهم امناء المسلمين على ثبوت اموالهم .

(٤) النظر فى تظلم المرتزقة من نقص ارزاقهم أو تأخرها عنهم .

(٥) رد الغصوب .

(٦) مشارفة الوقوف .

(٧) تنفيذ ماعجز القضاة عن انفاذه لعجزهم عن المحكوم عليه ،لتعززه وقوة يده وعلو قدره .

---

(١) انظر ليفي بروفنسال ،تاريخ اسبانيا الاسلامية ،ص ١٤٤؛

IMAMuddin, Muslim Spain. Page 54.

(٢) الماوردى ،الاحكام السلطانية ،ص ٧٧ ،المقريزى ، تقى الدين ابى العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٣) المقريزى ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٤) الاحكام الكبرى ،مخطوط ، ورقة ٢ .

(٥) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ٨٠ — ٨٣ .

(٨) النظر فيما عجز عنه الناظرون فى الحسبة فى المصالح العامه .

(٩) مراعاة العبادات الظاهره كالجمع والاعياد والحج والجهاد من تقصير فيها واخلال بشروطها .

(١٠) النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين .

ويستكمل مجلس نظر المظالم بحضور خمس جماعات :-(١)

(١) الحماه والاعوان لجذب القوى وتقويم الجرئ .

(٢) القضاة والحكام لاستعلام مايثبت عندهم من الحقوق ومعرفة مايجرى فى مجالسهم بين الخصوم .

(٣) الفقهاء ليرجع اليهم فيما أشكل .

(٤) الكتاب ليثبتوا ماجرى بين الخصوم وماتوجه لهم أو عليهم من الحقوق .

(٥) الشهود ليشهدهم على ماأوجبه من حق وامضاه من حكم .

وكان الخليفه عبد الملك بن مروان أول من أفرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين ،وذلك عندما تجاهر الناس بالظلم والتغالب .(٢)

ولم تكن هناك خطة مطردة للمظالم في الاندلس فى عصر الامارة اول الامر ، اذ لم تستدع الحاجه لها ، لان خطة القضاء كانت من اقوى الخطط فى الدوله ، وكان للقضاه شخصياتهم المتميزة ، واحكامهم النافذة على الامراء ، والوزراء ، وكبار رجالات الدولة .

وقد رأينا فيما سبق عند الحديث عن خطة القضاء ، كيف كانت احكام القضاء تنفذ على الجميع من الامير الى حارس السوق ، وكان القضاة يعتزلون عملهم اذا حيل بينهم وبين الحكم فى اى قضيه يدخل فيها طرفا أحد المتنفدين فى الدولة .

---

(١) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

وأستطيع القول انه فى ظل نظام قضائى قوى ، كنظام القضاء فـــى الاندلس خلال هذه الفترة ، تفقد ولاية المظالم الضرورة الملحة لها ،فقـد أغنى القضاة كثيرا عن ولاة المظالم .

وبالرغم من قوة النظام القضائى ،فان بعض امراء بني امية في الاندلس كانوا يجلسون للنظر في المظالم بأنفسهم امعانـــــــــــا فـــى انصاف المظلومين ونصرتهم ، ورد حقوقهم اليهم ، خوفا من بعض الثغـــرات التي لابد من سدها من قبل الامير شخصيا .

ففى عصر الامارة ، كان الامير عبد الرحمن بن معاوية ، يجلـــــس بنفسه للعامة ، وينظر فيما بينهم ، ويصل اليه الضعفاء مـــن النـــاس ليرفعوا اليه ظلامتهم دون مشقة (١) .

وكان المظلوم يتصدى للامير فى أي مكان ليبلغه ظلامته ،فقـــد روى صاحب أخبار مجموعه : أن هشام بن عبد الرحمن كان من اشد الناس قمعـــا للمتسلط من عماله وخدمه ، فقد تعرض لموكبه رجل متظلم من بعض عمالـــه فحال لجب الموكب عن سماعه ، وكان فى الموكب بعض من يشفق على العامـــل فبدر الى المشتكي وستره وبسط له الانصاف ، ثم كتب الى العامل بأمـــره فذهب فى استلطافه واستمالته حتى رضى ، فذكر لهشام تعرض المشتكـــــى وانصرافه عنه دون بلوغه اليه ، فأعظم ذلك واكبره ، فقيل له انه قـــد أنصف وفعل به ، فقال : ان النصفه للمظلوم لاتكون من الظالم دون تسليـــط الحق عليه ، وبعث فى المظلوم ، فقال : احلف على ماركب منك الا ان يكون اصاب منك حدا فى الله ، فجعل لايحلف على شئ الا اقاد منه ،فكانت تلـك الزجرة لعماله ابلغ من السوط والسيف (٢) .

وكان الامير هشام الرضا يجلس للمظالم فى مسجدين مشهورين يقعـــان امام قصر الامارة بقرطبة ،ابتغاء ثواب الله عزوجل (٣) .

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ، ١ / ٣٣٢ .

(٢) مجهول ،أخبار مجموعه ،ص١١٠، وانظر ابن عذارى ،البيان المغرب ،٢/٦٦

(٣) المقرى ، نفح الطيب ، ١ / ٤٦٤ .

اما الامير الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦هـ فقد " كان يطلع على الامور بنفسه ، ماقرب منها ومابعد ، وكان له نفر من ثقات اصحابه يطالعونه بأحوال الناس فيرد عنهم المظالم وينصف المظلوم " .(١)

وتصدى رجل لموكب الامير محمد بن عبد الرحمن متظلما من وزيره هاشم بن عبد العزيز ، مدعيا أنه اغتصبه ضيعته ، وكتب مظلمته فى كتاب، وأوصله إلى الامير محمد ، فلما قرأ كتابه واجه هاشما بما نسب اليه ، ولكنه انكر ذلك أول الأمر ، ثم رجع واعترف بخطئه وتعديه على حق الرجل ، فعفا منه الامير لاعترافه وامر بأن ينصف المظلوم .(٢)

أما الأمير عبد الله فقد كان يجلس للمظالم قبل صلاة الجمعة وبعدها فى ساباط ،ويشرف على اخبار الرعية ،ويسمع اقوال المتظلمين ، ولايخفي عليه شئ من امور الناس . وكان يقعد أيضا على بعض ابواب قصره فى ايام معلومة ، فترفع اليه الظلامات ، فتصل اليه الكتب على باب حديد قد صنع خاصا لذلك ، فلايتعذر على ضعيف ايصال بطاقة بيده ، ولا انهاء مظلمه على لسانه ، كما فتح بابا فى القصر سماه باب العدل ، وكان يجلس فيه للناس يوم الجمعه ليباشر أحوال الناس ، ولايجعل بينه وبين المظلوم سترا .(٣)

قال معاوية بن هشام الشبينسى : " كان الأمير عبد الله بن محمد أول من أظهر التواضع من خلفاء بنى أميه بالأندلس فاقتصد فى ملابسه واختصر مراكبه ،وفتح للعامه بابا محدثا بخارج قصره دانيا من مسكنه اقترب اليهم منه سماه باب العدل ينادبه متظلموهم ومستضعفوهم من قبله

---

(١) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ٦ / ٣٧٨ ، النويرى ، نهاية الارب ، ٢٣ / ٣٧٥ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ١٤٩ ومابعدها .

(٣) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، ٢ / ١٥٣ .

فيسرع الى اجابتهم ،ويأمر بأخذ رقاعهم ، فلا يختزل حاجتهم دونه ،ولاتحجب مصالحهم عنه ، ولايزال ينزع من اجل ذلك المظالم ويؤمن الخائف ، فعظم الانتفاع بهذا الباب جداوانتعشت الرعية بنهجه "(1) .

ومماسبق يتضح لنا مدى الاهتمام الكبير الذى كان يوليه امراء بني اميه بالاندلس للمظالم فكانوا يباشرونها بأنفسهم ،ويبادرون الى انصاف المظلومين متى وصل الى اسماعهم شكاواهم .

اما ولاة المظالم الذين ولوا من قبل الامراء الامويين في عصر الامارة فقد ذكرت أنه لم تكن هناك خطة مفردة للمظالم فى اول الامر . ولكننا نجد ذكرا لوالى المظالم لاول مره فى عصر الامارة فى عصر الامير عبد الرحمن الاوسط .

فقد ولى الامير عبد الرحمن الاوسط عيسى بن شهيد النظر فى المظالم وتنفيذ الاحكام على طبقات اهل المملكة (٢) . فهذه اول اشارة ترد فى عصر الامارة من تولية احد الامراء لشخص ولاية المظالم .

وحقيقه فان خطة المظالم لم تتبلور بعد فى عصر الامارة ، وقد ذكرت أن خطة القضاء كانت قوية مرهوبة الجانب ، وكان القاضي ينفذ احكامه حتي على الامير نفسه ،وكان الامراء على ثقه تامه فى قضاتهم فلما تستدع الحاجة الى صاحب مظالم ، كما كان الامراء أيضا يباشرونها بأنفسهم أحيانا .

اما فى عصر الخلافة فقد افرد الناصر هذه الخطة ،وجعلها خطة مستقله بذاتها وذلك فى سنة ٣٢٥هـ فقد ذكر ابن حيان فى هذه السنة

---

(١) ابن حيان ،المقتبس ، نشر ملشور ، ص ٣٧ .
(٢) المصدر نفسه ، تحقيق د. مكى ، ص ١٦٦ .

" وفيها ، وفي ربيع الاول منها ، نقل محمد بن قاسم بن طملس من خطـة العرض الى خطة المظالم ، أفرد بها ، وأجرى عليه الرزق لها ، فكـان اول من ارتزق بهذه الخطة ، وصيرها الناصر لدين الله من هذا الوقت خطة قائمة بذاتها ، وقد كان نظر في المظالم قبل جماعة أضيفت اليهم، منهم الوزير أحمد بن حدير ، والوزير عبد الله بن جهور ، فأفردت من هذا التاريخ ، وجل قدرها وعظمت المنفعه بها " (١) .

وهذا نص مهم نستقي منه دلالات عديدة ،منها أن المظالم كخطة لم تستقل الا في هذا التاريخ سنة ٣٢٥هـ ، فأصبح لها وال خاص يتولاهـا ولهذا الوالي رزق معلوم ومحدد ، وأنها قبل هذا الوقت كانت موجوده ولكنها لم تكن مفرده، اذ كانت تضاف الى اعمال بعض الوزراء ،أو يقوم بها الامير بنفسه .

ومن الذين تولوا النظر في المظالم للناصر ، ذو الوزارتين احمد بن عبد الملك ابن شهيد ، وقد عزله الناصر عن هذه الخطة نظرا لتقصيره في الاشراف على صاحب السكه ، وكان قد شرط عليه في جملة ما قلده الاشراف عليه في امور مملكته (٢) .

وتولى المظالم للخليفه الحكم المستنصر محمد بن اسحاق ابن ابراهيم بن السليم الذى رحل الى المشرق للسماع وطلب العلم ، ثم عاد الى الاندلس فأقبل على الزهد والعلم . توفي سنة ٣٦٧هـ (٣) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا . ص ٤١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٦٢ .

(٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس، ٧٤٩/٢، ترجمة ١٣١٧ ، عياض ترتيب المدارك ، ٤ / ٥٤١ – ٥٤٢ ، ابن فرحون المالكي ،الديباج المذهب ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

وكان صاحب المظالم يكلف بالخروج للنظر فى مظالم أهل بعض الكور فيذكر ابن حيان فى احداث سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م ، أن الوزير صاحب المظالم عبد الرحمن بن موسى بن حدير ، أرسل الى اشبيلية للوقوف على حقيقة الشكاوى التى رفعها أهل اشبيلية ضد واليهم المعزول ، والانتصاف منه لهم (١) .

تلك كانت خطة المظالم فى الاندلس ، وقد خلت المصادر الاندلسية المختصة بالقضاء فى الاندلس مثل الخشني والنباهى عن الاشارة الى هذه الخطة ، ولكنها أوردت فى نفس الوقت قضايا تدخل فى دائرة المظالم، وقد تولى النظر فيها القضاة . ومن الامثله على ذلك :

(١) من القضايا التى نظر فيها القاضي محمد بن بشير ،أن رجلا من أهل كورة جيان ، رفع اليه أن احد عمال الحكم ، اغتصب منه جاريه وصيرها الى الحكم ، فوقعت من قلبه كل موقع ، فأثبت الرجل امره عند القاضى ، وأتاه ببينه شهد على معرفة ماتظلم منه ، وبملكه الجاريه ، وبمعرفتهم بها ، فكان لابد من احضار الجارية ليشهد عليها ، فاستأذن القاضى على الحكم ، فلما دخل عليه قال له : انه لايتم عدل فى العامة دون اقامته فى الخاصة ، وحدثه بأمر الجارية وخيره بين ابرازها للبينه ليشهد عليها ، أو عزله . واصر القاضي على موقفه على الرغم من محاولة الامير اثناءه من ذلك ، وطلبه ان تبتاع الجارية من صاحبها بأثمن ما يمكن ـ ولما رأى الحكم اصراره اخرج الجارية وشهد الشهود على عينها وردت الى مالكها (٢) .

وهذه القضية تدلنا على عدالة القاضي ،ووقوفه مع الحق ودفع الظلم حتى ولو كان ذلك على الامير نفسه ، كما ان استجابة الامير لطلب القاضى

---

(١) ابن حيان المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ٨٦ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ / ٧٨ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٥ / ٢١٧ .

دلالة على اعظام الامويين لخطة القضاء ، وانصياعهم لاحكام الشريعة. وتدخل هذه القضية ضمن اختصاصات والى المظالم . وهى النظر فى تعدى الولاة على الرعية .(١)

(٢) ومن الاحكام التي اجراها القاضي ابن بشير أنه حكم على ابن فطيس الوزير في حق ثبت عنده ، دون أن يعرفه بالشهود عليه مماحدا بابن فطيس ان يشكوه الى الامير ويتظلم منه ، فكان رد ابن بشير: ان ابن فطيس ليس ممن يعرف بمن شهد عليه ، لانه ان لم يجد سبيلا الى تجريحهم لن يتورع عن اذاهم ، فيدع هؤلاء الشهادة هم ومن اختصى بهم ويضيع امر الناس .(٢) وهذه ايضا واحدة من القضايا التي اجراها القاضى على احد رجالات الدولة من ذوي النفوذ والسلطة .

وبذلك يمكننا القول أن خطة المظالم فى الاندلس ،كانت تسند الى القضاة فى كثير من الاحيان ،وهى بذلك تختلف عن ولاية المظالم فى المشرق ، اذ ان من مهام ناظر المظالم تنفيذ ماعجز منه القضاه عن انفاذه لعجزهم عن المحكوم عليه ،ومن مهامه أيضا رد الغصوب(٣) ولكن القضاة في الاندلس هم الذين ينظرون فى المظالم ويردون الغصوب ويلومون بعمل والى المظالم فى كثير من الاحيان ،وهناك أمثله كثيرة على ذلك .

ونلاحظ أن صاحب المظالم الذى من مهامه النظر فى تعدى الولاة على الرعية ، كان ينتدب للخروج فى مطالعة احوال بعض رعايا الكور والنظر فى شكاواهم وتظلماتهم من ولاتهم ، فان صاحب الرد كذلك كان يقوم بنفس الدور . وكان صاحب المظالم يكلف بالقيام ببعض الأعمال الادارية ،مثل الاشراف على عمل السكة ،كذلك كان صاحب الرد يكلف ببعض الأعمال الأدارية ومن ذلك نرى مدى التشابه بين بعض مهام الخطتين .

---

(١) الماوردى ،الاحكام السلطانية ،ص ٨٠ .
(٢) القاضى عياض ،ترتيب المدارك ،٢/٥٠٢ - ٥٠٤ .
(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ،ص ٨٠ .

المبحث الثالث

الحسبة فى الأندلس ١٣٨ - ٣٦٦ هـ / ٧٥٥ - ٩٧٦ م

خطـة الحسبـة فى الأندلـس

الحسبـه لغة : مصدرها الاحتساب ، تقول فعلته حسبة ، وأحتسب فيـه احتسابا . والاسم الحسبه بالكسر وهو الاجر (١) .

الحسبة فى الاصطلاح : الأمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، والنهى عن المنكر اذا ظهر فعله (٢) .

وخطة الحسبة من أعظم الخطط ، وليس بعد خطة القضاء ، اشـرف من خطة الحسبة ، لانها من الامور الدينية ، وتشترك مع خطة القضاء فـى فصول كثيرة (٣) . وهى جامعة بين نظر شرعى دينى ،وزجر سياسى سلطانى (٤) .

ولقد حث القرآن الكريم على الامر بالمعروف ، والنهى عن المنكـر فى كثير من آياته حيث قال تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " (٥) . وقـال " كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " (٦) .

كما حثت السنه أيضا على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ،فقد قال صلى الله عليه وسلم : " لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم " (٧) .

وهى واسطة بين احكام القضاء واحكام المظالم ،وهى موافقـه لاحكام القضاء من وجهين ،ومقصوره عنه من وجهين ،وزائدة عليه من وجهين (٨) .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
(٢) الماوردى ،الاحكام السلطانيه ،ص ٢٤٠ ، ابن خلدون ،المقدمه ، ص ٢٥٥ .
(٣) الجرسيفى : عمر بن عثمان بن العباس ،رسالة فى الحسبه (ضمن كتـاب ثلاث رسائل أندلسيه فى آداب الحسبه والمحتسب) تحقيق ليفى بروفنسال مطبعة المعهد الفرنسى للاثار الشرقية بالقاهره ـ ١٩٥٥م ، ص ١١٩ .
(٤) أحمد سعيد المجيليدى ، التيسير فى احكام التسعير ،تقديم وتحقيق موسى لقبال ،الشركة الوطنيه للنشر والتوزيع ـ الجزائر ،الطبعة الثانية ،١٩٨١م ص ٤٢ .
(٥) سورة آل عمران ، الايه (١٠٤) .
(٦) سورة آل عمران ، الاية (١١٠) .
(٧) اخرجه الامام احمد فى مسنده ، ٥ / ٢٩٠ .
(٨) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

فأما الوجهان فى موافقتها لاحكام القضاء : فأحدهما جواز الاستعداء اليه ، وسماعه دعوى المستعدى على المستعدى عليه فى حقوق الادميين،وليس هذا على عموم الدعاوى ، وانما يختص بثلاثة انواع من الدعوى : أحدها ان يكون فيما يتعلق ببخس وتطفيف فى كيل أو وزن . والثانى : مايتعلق بغش أو تدليس فى مبيع أو ثمن . والثالث : مايتعلق بمطل وتأخير لدين .

والوجه الثانى : له الزام المدعى عليه للخروج من الحق الذى عليه ، وليس هذا على العموم فى كل الحقوق ، وانما هو خاص فى الحقوق التى جاز له سماع الدعوى فيها .

وأما الوجهان فى قصورها عن القضاء : فأحدهما قصورها عن سماع عموم الدعاوى الخارجة عن ظواهر المنكرات . والوجه الثانى : انهما مقصورة على الحقوق المعترف بها .

وأما الوجهان في زيادتها على احكام القضاء فأحدهما : انه يجوز له ان يتعرض لتصفح مايأمر به من المعروف ، وينهى عنه من المنكر وان لم يحضره خصم مستعد . والثانى : أن للناظر فى الحسبه من سلاطة السلطنه واستطالة الحماة فيما يتعلق بالمنكرات ماليس للقضاة ،لان الحسبه موضوعه للرهبه .

وأما الشبه الجامع بينها وبين المظالم فمن وجهين : أحدهما ان موضوعهما مستقر على الرهبة المختصه بسلاطة السلطنه ، وقوة الصرامه ، والثانى جواز التعرض فيهما لاسباب المصالح ، والتطلع الى انكار العدوان الظاهر .

واما الفرق بينهما فمن وجهين : احدهما أن النظر فى المظالم موضوع لما عجز عنه القضاة ، والنظر فى الحسبه موضوع لما رفه عنه

القضاة . والثاني : يجوز لوالي المظالم أن يحكم ولايجوز لوالي الحسبة ان يحكم .(١)

مفهوم الحسبة في الاندلس :-

لقد عنى الاندلسيون كغيرهم بهذه الولاية ونظامها ، ودرجوا على أن يطلقوا عليها اسم احكام السوق ، ويطلقون على من ينصب فيها صاحب السوق .(٢)

اما اصطلاح الحسبه فهو متأخر لم تعرفه الاندلس ولا افريقيه في أول الامر ، وقد ظل يطلق عليها أحكام السوق حتى فترة متأخرة .(٣)

وهذه حقيقه نواجهها في كل النصوص الوارده عن هذه الخطة في الاندلس خلال فترة البحث ، اذ لانجد ذكرا للحسبه - الا فيما ندر - وانما نجد ذكرا لولاية السوق ، أو أحكام السوق كما سنرى وقد ورد لفظ الحسبه عند ابن حيان في عصر الامارة ، عندما تحدث عن عبد الله بن حسين ابن عاصم ، الذي قال عنه : أنه تعرف للامير محمد في اعمال رفيعه من ولاية الخزانه والشرطة والحسبه المعروفة عندنا بولاية السوق .(٤) فعلى الرغم من ورود لفظ الحسبه لدى ابن حيان الا انه قال انها معروفة لدى الاندلسيين بولاية السوق .

وصاحب السوق من الحكام الست الذين تجرى على ايديهم الاحكام كما حددهم ابن سهل .(٥)

---

(١) الماوردي، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٢) عبد الرحمن الفاسي ،خطة الحسبة من النواحي النظرية والتطبيقية ،مجلة المناهل الرباط - العدد ١٨ - ص ٤٢ .

(٣) يحى بن عمر ،احكام السوق ،تحقيق د.محمود علي مكي مقدمة المحقق، ص ٩٤.

(٤) المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ط بيروت ، ص ١٨٦ .

(٥) انظر ابن سهل ، الاحكام الكبرى ، مخطوط ، ورقة ٢ .

اما لماذا عرف صاحب الحسبه في الاندلس بصاحب السوق ؟ فيذكر ابن سهل معللا ذلك ان : " صاحب السوق كان يعرف بصاحب الحسبة لان اكثر نظره انما كان يقع في الاسواق من غش وخديعه ودين وتفقد مكيال وميزان وشبهه ، وقد سألت من لقيت عن صاحب السوق هل يجوز له ان يحكم في عيوب الدور وشبهها ، وأن يخاطب حكام البلاد في الاحكام فقال : ليس ذلك له الا أن يجعل اليه به تقديم " (١) .

ان عمل المحتسب لاينحصر في نطاق السوق فقط ، ولكن لان التركيز جرى على الاسواق ، وماترتكب فيها من مخالفات تتعلق بالبيع والشراء وغير ذلك ، فلذلك أطلق على المحتسب في الاندلس " صاحب السوق " وهي خاصية من خصائص الحسبه في الاندلس .

وأرى أن تسمية المحتسب بصاحب السوق في الاندلس فيه انتقاص لاختصاصات المحتسب ، لان واجبات المحتسب تتعدى حدود الاسواق بكثير .

وكما هو معلوم فان الحسبه في اصلها تقابل في النظام الاسلامي ، الواجب الديني على المؤمن ، وماعليه من امر بالمعروف ،ونهي عن المنكر وبما أن الرقابة على الاخلاق في دولة ذات نظام ،لايمكن أن تقتصر على مجمل المبادرات الفردية فقط ، فقد تحولت الحسبه لنظام قضائي خاص جعل واجبه الاول مراقبة كل شئ في سلوك المسلمين في التجمعات الحضرية وذلك في سلوكهم الفردي ، كما في علاقاتهم الجماعية وفق النظم الاسلامية واذا اخذنا مهام صاحب الحسبة على حرفيتها ، فانها كانت كبيرة لدرجة مبالغ فيها . ولكنها بدأت منذ عصر هشام الاول تنحصر شيئا فشيئا في ميدان المعاملات التجارية ، والقضاء الخاص بها (احكام السوق) والتي كانت تخضع لنفوذ قاضي قرطبه والاقاليم ، أو تضاف لصاحبها مع مهام الشرطة (٢) .

---

(١) ابن سهل ، الأحكام الكبرى ، ورقه ٢ ، النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس ، ص٥٠

(٢) ليفي بروفنسال ، أسبانيا الاسلامية ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

شروط متولي الحسبـــة :ـ

نظرا لاهمية والي الحسبه أو السوق فانه : ينبغي على ولي امـــر المسلمين أن يتحرى العدل ، وأن ينظر في اسواق رعيته ، ويوليها او ثـق من يعرف ببلده (١) .

فيجب ان يكون من يولي الحسبه ، فقيها في الدين ، قائما مع الحق نزيه النفس ، عالي الهمه ، ظاهر العدالة ، ذا اناة وحلم ، وتيقظ وفهم عارفا بجزئيات الامور وسياسات الجمهور ، لايستنفره طمع ولاتلحقه هـــوادة ولاتأخذه في الله لومة لائم ، مع مهابه من الادلال عليه وترهب الجانـــــي لديه (٢) .

ويقول ابن عبدون : " يجب ان يكون المحتسب ، رجلا عفيفا خيـــرا ورعا ، عالما ، غنيا ، نبيلا ، عارفا بالامور محنكا ، فطنا ، لايميـــل ولايرتشي فتسقط هيبته ، ويستخف به ، ولايعبأ به ، ويتوبخ معه المقـــدم له ، ولايستخدم في ذلك خساس الناس ، ولامن يريد أن يأكل اموال النـــاس بالباطل ... " (٣) .

ان خطة الحسبة من الخطط الهامه ذات العلاقة المباشرة بالنـــاس فصاحبها دائم الاحتكاك بهم ، ويخالطهم في اسواقهم واماكن تجمعاتهـــم ، ولذلك كان لابد من توافر صفات معينه لمن يقوم بهذا الامر كما حدد الفقهاء ذلك ، اذ ان موضوعه الامر بالمعروف ،والنهي عن المنكر ، فكان لابد له من أن يتمثل هذا الامر في نفسه أولا قبل أن يأمر الناس أو ينهاهم ، ولذلـك فقد ركز الاندلسيون على هذه الخطة ومن يتولاها تركيزا شديداً . يقول ابـن سعيد :

---

(١) يحي بن عمر ، احكام السوق ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ص ١٠٤ .
(٢) السقطي ، ابو عبد الله محمد بن ابي محمد المالقي ،في آداب الحسبـة تحقيق جي اس كولين وليفي بروفنسال ـ باريس (بدون تاريخ طبـــع) ص ٥ .
(٣) في آداب الحسبة ، ص ٢٠ .

" وأما خطة الاحتساب فانها عندهم موضوعه في اهل العلم والفطن ، وكأن صاحبها قاض " (١) .

خصائص الحسبة في الأندلس :

إن أهم خاصية من خصائص الحسبة في الأندلس ،أو ولاية السوق وفق المفهوم الأندلسي ، أنها تأثرت بالفقه المالكي تأثرا كبيرا ،فقد اعتمد الأندلسيون في كل مايعرض لهم في مسائل السوق على موطأ الامام مالك رحمه الله - وقد أدرك من لحق مالكا من تلاميذه الأندلسيين ، مدى مالارائه من قيمه وأهمية في التشريعات الخاصة بالمعاملات لديهم ،فكانوا يهتمون بسؤاله ، واستفتائه من مسائل خاصة ببيئتهم الاندلسية (٢) .

وقد أمدت الوحدة المذهبية الفقهية في الاندلس والمغرب الاقصى هذه الخطة الشرعية بالنماء ، اذ تآلف التدوين الفقهي في البلدين الى النهل من مشرب واحد . ثم صار التأليف التطبيقي على سنن اعراف واحدة واستحسانات متحدة . فتم لهذه الخطة في الجزيرة تبلور ووضوح في كتب التاريخ ، وأتيح لها الاستقرار والدوام (٣) .

ولقد كان التشريع في الاندلس يسير وفق احكام المذهب المالكي كما ذكرت في المبحث الخاص بمدى التزام الامويين بأحكام الشريعة الاسلامية، ولذا كان من الطبيعي ان تتأثر الحسبة ايضا بمذهب الامام مالك .

فقد أوجد الأمويون في الأندلس وظيفه مفتي السوق ،وهي خاصية ايضا من خصائص الحسبة في الأندلس ، فقد جاء في ترجمة أحمد بن هلال بن زيد

---

(١) ابن سعيد برواية المقري ، نفح الطيب ، ١ / ٢١٨ .
(٢) يحى بن عمر الاندلسي ،احكام السوق ، مقدمة المحقق ، ص ٩٥ .
(٣) عبد الرحمن الفاسي ، خطة الحسبة من النواحي النظرية والتطبيقية ص ٤٠ .

العطار المتوفى سنة ٣٦٤هـ ، أنه من أهل قرطبة يكنى ابا عمر ، وقد كان حافظا للشروط نبيلا فى الرأى على مذهب الامام مالك ، وكان مفتيا فى السوق بقرطبة (١) .

ومن خصائص الحسبة فى الأندلس أنها عنيت بقضية الأمن والنظام (٢) ، ولذلك كثيرا ماتجد أن صاحب السوق كان يضاف إليه ولاية الشرطة ، فأبراهيم ابن حسين بن عاصم بن كعب الذى سمع من أبيه وله رحلة سمع فيها ، كان متصرفا فى احكام الشرطة والسوق ايام الامير محمد ، وكانت وفاته سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩م (٣) .

أما حسين بن عاصم بن كعب بن محمد ، الذى يكنى أبا الوليد فلقد كانت له رحلة الى المشرق سمع فيها ، وولى السوق ايام الامير محمد ، وكان شديدا على اهلها فى القيم ، وكان يضرب ضربا مبرحا ينكر عليه ، توفى ٢٦٣هـ / ٨٧٦م (٤) .

ومن الذين تولوا الشرطة والسوق محمد بن الحارث بن ابى سعيد فى عصر عبد الرحمن الاوسط (٥) ، وأحمد بن نصر بن خالد المتوفى سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م (٦) واسماعيل بن بدر ابن اسماعيل المتوفى سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م (٧) .

كانت تلك هى أهم خصائص الحسبة فى الأندلس خلال فترة البحث .

---

(١) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ١٤٨ ، جا ،ص١٠١ .
القاضى عياض ، ترتيب المدارك ، ٤ / ٥٦٠ .
(٢) عبد الرحمن الفاسى ، مرجع سابق ، ص١٢٦ .
(٣) ابن الفرضى ،تاريخ علماء الاندلس ، ترجمة رقم (٣) ج ١ ، ص ٣٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ترجمة رقم ٣٤٩ ، ١ / ٢٠٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ترجمة رقم ١١٠٥ ، ٢ / ٦٣٧ .
(٦) المصدر نفسه ،ترجمة رقم ١٦٥ ، ١ / ١٠٧ .
(٧) المصدر نفسه ،ترجمة رقم ٢١٤ ، ١ / ١٣٣ .

ويتضح مماسبق أن ولاية السوق كانت تضاف اليها الشرطة فى بعض الاحيان لمنحه مزيدا من الصلاحيات ، كما أن معظم الذين ولوا السوق كانوا من الفقهاء الذين لهم المام واسع بالمذهب المالكى .

وكانت ولاية السوق والشرطة شيئا واحدا فى وقت من الأوقات ،ويرجع فصل ولاية السوق ، عن ولاية الشرطة ، الى الامير عبد الرحمن الاوسط ،فابن سعيد يقول أنه " هو الذى ميز ولاية السوق عن احكام الشرطة المسماة بولاية المدينة فأفردها ، وصير لواليها ثلاثين دينارا فى الشهر ،ولوالى المدينة مائة دينار " (١) .

ولم تقتصر مهمة والى السوق فى الاندلس ، على مراقبة الاسواق فقط ، بل تعدى ذلك الى منع المنكرات الظاهرة التى تحدث فى المجتمع . ومن ذلك ان العباس بن قرعوس بن عبيد الذى ولى السوق فى عصر الامير الحكم ، كان رجلا يضرب ضربا شديدا ، ويشتد على اهل الريب ، وقد ادب رسولا لاحد اعمام الامير ، وكان يحمل اليه شرابا ،فأمر بكسره واهراقه وضرب الرسول ضربا موجعا . كانت وفاته سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م (٢) .

وفى عصر الأمير محمد كان والى السوق ابراهيم بن حسين بن عاصم الذى وافقت المجاعة ولايته السوق ،وكثر فيها تطاول الفسدة والاشرار وكثرت الشكوى إلى الأمير محمد منهم وكان بعض الحكام يرى القطع والصلب وما أشبه ذلك ، لردع هؤلاء الفسدة والمتطاولين على حقوق الاخرين ،فعهد الامير محمد الى ابن عاصم بالتحفظ ، وأذن له فى تنفيذ الاحكام دون الرجوع اليه فكانت احكامه قاسية تصل الى حد القطع والصلب على اهل الريب (٣) .

---

(١) المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٦ .
(٢) ابن الفرضى ، مصدر سابق ، ترجمة ١٠٨٢ ، جـ ٢ ، ص ٦٢١ – ٦٢٢ .
(٣) الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ ، القاضى عياض ، ترتيب المدارك ٣ / ١٤٦ .

ومن الذين تولوا خطة السوق للامير محمد ، سليمان بن وانسوس الذي كان من أدباء الاشراف من اصحاب السلطان ، والناطقين لديه رفيع الدرجة ، البانين لبيوت الوجاهه ،واصله من البربر ، وله فيهم بيت شرف بالاندلس (١) .

وفي عصر الامير عبد الله تولى الحسبة سعيد بن السليم ،الذي كانت له منزلة خاصة من الامير عبد الله قبل أن يتولى الامارة ،فلما ولى الامارة ، ولاه خطة السوق ، فضبط أمر العامه ، وظهرت منه صرامة أكسبته مهابة (٢) . وقد أدب مولى للمطرف بن الامير عبد الله ،وقد جاءه هذا المولى في مجلس نظره بالسوق فأدناه منه ،وأكرمه ، وطلب منه حاجة امتنع سعيد عن ردها ، وعرفه بوجه امتناعها ، واعتذر له ،ولكن المولى لم يقتنع بذلك ، وتجاوز الى أن سب صاحب السوق ، فما كان منه الا ان امر اشراطه برده ، وضربه مائتي سوط وأرسله الى السجن ،وخاطب الامير عبد الله في شأنه ، فأجابه مستصوبا فعله ، ومستحسنا له ، وكان ذلك مدعاة لان يرتقي سلم الوزارة ومن ثم الحجابة (٣) .

ومن الذين تولوا خطة السوق للامير عبد الله ،الفقيه أيوب بن سليمان (٤) .

وتولى هذه الخطة للناصر عدد من الاشخاص ، عرف كل واحد منهم بوالي السوق ،أو صاحب خطة السوق (٥) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ١٩٠ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور آنطونية ، ص ٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥ .

(٤) ابن حيان ،المقتبس ،نشر ملشور ، ص٥٣ . وهو أيوب بن سليمان ابن هاشم بن صالح المعافري . من أهل قرطبة ، وأصله من جيان . يكنى: ابا صالح . كان اماما في رأي مالك واصحابه ، متقدما في الشورى توفي سنة ٣٠٢هـ . ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة ٢٦٥،ج ١ ص ١٦٢ .

(٥) انظر ابن حيان المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ٩٧ ، ١٠٢ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ١٦٦ – ١٦٧ ، ١٩١ .

ويتضح لنا من خلال النصوص الآنفة الذكر ،أن خطة الحسبة فىالاندلس كان يطلق عليها خطة السوق أو ولاية السوق ، ولم يطلق لفظ المحتسب خلال هذه الفترة على أي وال من الولاة الذين تولوها واستمر الوضع كذلك طيلة الفترة التي نتناولها بالبحث ، ولم يطرأ تغيير يذكر على هذه الخطة ، الا أنه استحدثت خطة اخرى فى عصر الخلافة سميت بخطة تغيير المنكر ،فقد ذكر ابن حيان فى أحداث سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧م أن الخليفة عبد الرحمن الناصر عزل حسين بن احمد بن عاصم عن خطة السوق ،وقدمه الى خطة تغيير المنكر (١) .

وخطة تغيير المنكر من الخطط التى تطالعنا لاول مرة فى عهد الناصر ،ويبدو أن الحاجة قد دعت اليها ، ولم يعد صاحب السوق وحده يكفى لردع المخالفين ، فاستحدثت هذه الخطة ، فاصبح للحسبة خطتين تعملان فى آن واحد ، خطة للسوق وبقيت كما هى باختصاصاتها ،وخطة تغيير المنكر لازالة المنكرات الاخرى خارج نطاق الاسواق .

وفى عهد الحكم المستنصر ، ضمت ولاية الشرطة الى السوق أيضا فكان أحمد بن نصر هو صاحب الشرطة والسوق (٢) ، الذى كلف مع صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان ،من قبل الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٦٠هـ بنقل دار البريد التى بغربى قصر قرطبه وفى صدر سوقها العظمى الى دار الزوامل التى بالمصارة طرف قرطبة (٣) .

وامر الخليفة الحكم المستنصر فى هذه السنه أيضا صاحب الشرطة والسوق احمد بن نصر " بتوسيع المحجه العظمى بسوق قرطبة لضيقها عن

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ب . شالميتا ، ص ٤٢٨ .

(٢) هو أحمد بن نصر بن خالد ، من اهل قرطبة ، يكنى ابا عمر ، وأصله من طليطلة . سمع من اسلم بن عبد العزيز ، ومحمد بن عمر بن لبابه وقاسم بن اصبغ وغيرهم . ولد سنة ٢٢٨هـ ،وكانت وفاته سنة ٣٧٠هـ ،ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ،ترجمة رقم ١٦٥ .

(٣) ابن حيان ،المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ٦٦ .

مخترق الناس وازدحامهم فيها ، وهد الحوانيت المتحيفه لعرضها ،المضيقه لسبيلها ، كيما يفسح الطريق ولايضيق بالواردين والصادرين نظرا منه لكافة المسلمين واحتيالا بمصالحهم ، فأتم ذلك على ماحدله " (١) .

وكلف صاحب الشرطة والسوق أيضا بالنظر فى شكاوى بعض اهل الكور على عمالهم ففى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م " خرج صاحب الشرطة والسوق قاضى كورة جيان لامتحان مارفع بعض اهلها على العارض عبد الرحمن بن جمهور عاملهم " (٢)

وكان الخليفة الحكم يكلفه بتوزيع صدقاته على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل " (٣) .

وهكذا نرى أنه فى عهد المستنصر أضيفت الشرطة الى صاحب السوق وأعطى صلاحيات ادارية ، مثل الاشراف على نقل دار البريد من صدر السوق الى طرف العاصمة قرطبة ،ويبدو أن وجودها فى صدر السوق قد اضر بالناس وكلف أيضا بتوسيع الطريق الرئيسى بسوق قرطبة ، لازدحامها بالناس وهد ماحولها من الحوانيت اضافة الى تكليفه بالنظر فى بعض شكاوى أهل الكور من قبل ولاتهم ، الى توزيع الصدقات على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل .

دور المحتسب فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية :

أولا : دوره فى الحياة الاجتماعية :

اسند الى المحتسب " صاحب السوق " دور كبير فى تنظيم ومراقبة الحياة الاجتماعية والاقتصادية ،للمجتمع الاندلسى ،الذى كان يعج بمختلف طبقات الناس من مسلمين ، وأهل ذمة ، فكان لابد من وجود مؤسسة رقابية

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ،ص ٧١ – ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

قوية تعمل على مراقبة الاسواق ؛ وماترتكب فيها من مخالفات ،وتراقب السلوك العام للمجتمع ، وتعمل على تقويم ما اعوج منه .

ففى مجال الحياة الاجتماعية ؛ كان على المحتسب أن يمنع الناس عن الجلوس على الطرقات والاحداث فيها ، ويمنع عن طرح الازبال والجيف وما أشبهها فى الطرقات لاقرارها بالديار ولان الاوساخ تنجس ولاسيما عند نزول المطر ، ويمنع حمال الحطب من المرور بأحمالهم فى المحجات والطرق الضيقة ، ويكلفون بالنزول فى الرحاب الواسعة (١) .

وعليه أن يمنع الصباغين ومن فى معناهم عن نشر الثياب المصبوغة المبلوله على الطرق لانها تؤذى المارة بتغيير ثيابهم ،وينهون عن اتخاذ افرانهم على الطرق لايذائها المجتازين بالدخان ، ويكلف من فتح سربا وأخرج مافيه أن ينقله الى خارج البلد ،ويسوى موضع السرب ويعدل الطريق وينظفه من الاذى ، لئلا يضر بذلك المار عليها (٢) . " ويؤمر الفخارون ومن فى معناهم بازالة مايضعونه من حوائجهم فى الطرق خيفة ان تفسد عليهم لتضييقهم الطريق بها فتكون داعية للشر والخصومه " (٣) .

وعلى المحتسب أن يتفقد المعنيين بأمر الاكل والشرب من حيث نظافة اكلهم وشربهم الذى يبيعونه للناس ، وعليه التأكد من نظافة ملابسهم ، ولايخلطون صنفا رديئا من الاكل بصنف طيب " (٤) .

وعلى متولى الحسبه ان يمنع الذبح فى السوق الا فى القصارى ويخرج الدماء والاوساخ خارج السوق . ولاتذبح البهائم الا بسكين طويل

---

(١) ابن عبد الرؤوف ،أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف ،فى اداب الحسبه (ضمن كتاب ثلاث رسائل اندلسية فى أداب الحسبه والمحتسب) ص ١١٠ .
وانظر الجرسيفى ،رسالة فى الحسبة ، ص ٢٢ .

(٢) ابن عبد الرؤوف ، فى أداب الحسبة ، ص ١١٠ — ١١١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٦ ، الجرسيفى ، رسالة فى الحسبة ، ص ١٢١ .

ويجب ان لاتذبح بهيمة صالحة للحرث ويراقب ذلك كله أمين ثقة لايرتشى ويخرج الى موضع الذبح كل يوم (١) .

وعلى المحتسب أن يراقب أهل الذمه ويمنعهم من الاشراف على المسلمين فى منازلهم ، والتكشيف عليهم ، ويمنعهم من اظهار الخمر والخنزير فى اسواق المسلمين (٢) .

والذى نلاحظه أن الحسبه ركزت فى المجال الاجتماعى على الاهتمام بأمر الشوارع والطرقات ،وعدم الجلوس فيها لايذاء المارة بها ، كما ركزت على الاهتمام بنظافتها والعناية بها وعدم طرح الاوساخ فيهـا او نشر مايؤذى المارة فيها أو سد الطرق بوضع بعض الحوائج فيها ،لتعوق المارة ،واهتمت بالناحية الصحية للمجتمع وذلك من خلال مراقبة باتعى الاطعمه والمشروبات ، والتاكيد على نظافتها ونظافة اماكنها والاشخاص الذين يتولون بيعها .

وركزت الحسبة فى الجانب الاجتماعى أيضا على اهل الذمة الذين كانوا يشكلون طبقة كبرى من طبقات المجتمع الاندلسى .

وهذه الامور كلها كانت تتعلق بالمجتمع الاندلسى عبر فتراته المختلفة دون استثناء فكان على والى السوق " أو الحسبة فيما بعد ان يهتم بمراعاة ومراقبة هذه الجوانب .

والواقع اننا فى اثناء استعراضنا " لخطة السوق " فى الاندلس خلال الفترة ١٣٨ – ٣٦٦هـ / ٧٥٥ – ٩٧٦م ،لم تقابلنا قضايا نظرها المحتسب أو صاحب السوق ،الا فى حالات قليلة ، حتى نستطيع استخلاص دوره فى الحياه الاجتماعية والاقتصادية بصورة وافية ،فالنصوص تشير كثيرا الى ولاة السوق

---

(١) ابن عبدون ، فى اداب القضاء والحسبة ، ص ٤٤ .
(٢) الجرسيفى ، مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

وما اتصفوا به من حزم في عقاب المخالفين ،ولكن ماتوعية هذه المخالفات ؟ الشوهد على ذلك قليله . ولحسن الحظ فان الفقيه المشاور ابو الاصبغ عيسى بن سهل (ت ٤٨٦هـ) أمدنا في مخطوطة الاحكام الكبرى ببعض المسائل العملية التي كان يقوم بها المحتسب ،والتي تدخل ضمن فترتنا ،وتعطينا صورة حية لبعض الوقائع التي جرت في هذه الفترة . وكانت هذه الوقائع عباره من بعض المسائل التي كان يرفعها المحتسب الى اهل الفقه والفتوى لمعرفة مايمكن اتخاذه حيال المشكلة التي تواجهه . ومن هذه المسائل :

الاحتساب في مرور العجل والنصارى على المقابر :

"فهمنا وفقك الله ، ماذكره القائم بالحسبه من مرور العجل على المقابر بمقبرة متعة وسلوك العجم بجنائزهم على مقابرنا ،وماسأل من النظر في ذلك ، فالذي نرى أن يتقدم الى العجالين ان لايسلكوا بعجلهم على المقابر ، وأن يكون مسلكهم بغربيها في الفناء المتسع الذى لاقبور به ، وينهى العجم عن المرور على مقابرنا لوطئهم قبور المسلمين ومشيهم عليها ، وقد ينهى المسلمون من المشي عليها ، فكيف بأنجاس كفار ،ولهم متسع بشرقي المقبرة مع الدور أو في الازقة الخارجة الى الخندق بجوفي المقبرة . قال بذلك : محمد بن لبابه ،وقال ايوب بن سليمان وليكن هذا المنع في جميع المقابر"(1).

رفع القائم بأمر الحسبه بأن العجالين يمرون بعجلهم على مقابر المسلمين ، وكذلك العجم من أهل الذمه يسرون بمقابر المسلمين ويطؤونها بأقدامهم . وهذه المسألة تتعلق بحرمة المقابر لدى المسلمين وعدم وطء الناس لها من المسلمين وغير المسلمين . فجاء الرأى بان يمنع العجالون من المرور بعجلهم على المقابر ،وان يكون مسلكهم بغربي المقبرة حيث يوجد فناء متسع لمرورهم ،كما ينهى العجم من المرور بجنائزهم فوق مقابر المسلمين ، ولهم في ذلك متسع بشرقي المقبرة .

(1) ابن سهل ، مصدر سابق ، ص ٣٤٠ .

الاحتساب على النواتية في المراسي والمراكب :

وهذه مسألة من المسائل التي استغل فيها بعض ضعاف النفوس من أصحاب المراكب حاجة الناس لعبور النهر ، فرفع المحتسب امرهم الى القاضي الذي استشار أصحاب الشورى والفتوى فأشاروا الى القاضي بمنع هذا الفعل .

"رفع اليك - رضي الله عنك - أن قوما من النواتية استعدوا مراكبا لاجارة الناس ، على نهر قرطبة في مرسى بالمش وغيرها من المراسي وانهم اقاموا لانفسهم في جملة المراكب ، حالة لايؤمن ان تكون سببا لهلاك الناس ، ولايجد الناس بدا لاجارة النهر الى ضياعهم ومنازلهم وذلك انهم جعلوها دولا لتوقف المراكب ، وتفرد مركب واحد للاجارة فتحمل حتى تكاد تتكفى ، الا أن الله تعالى يدفع وصاروا يركبون غررا .

وكشفتنا من الذي يجب عليك النظر به ، في هذا وانت بما جعل الله اليك حائط للعامة ، وناظر لهم في مصالحهم .

وقد قال مالك رحمه الله ، للسلطان أن ينظر للناس فيمايصلحهم في دينهم ودنياهم . وهذا من أوجب مايجب فيه نظرك ، فامنع - رضي الله عنك - من ذلك منعا شديدا حتى تباح المراكب وينقطع بذلك مايخاف على المسلمين من ركوب الغرر".(١)

لقد استغل هؤلاء النواتية حاجة الناس لمراكبهم في عبور نهر قرطبة ، للذهاب الى منازلهم وضياعهم في الجانب الاخر من النهر،فكانوا يقدمون مركبا واحدا فقط حتى يمتلىء بالناس ويكاد ينقلب بهم مع وجود المراكب الاخرى ، فما كان من المحتسب الا أن اصدر امرا بمنعهم منعا شديدا من تكرار هذا العمل ،وأبيحت المراكب للناس ،وانقطع بذلك الخوف على المسلمين ، وأصبحوا في مأمن عند اجارتهم النهر .

(١) ابن سهل ، الاحكام الكبرى ، ص ٢٤٠ .

الاحتساب على ابن السليم فيما اقتطعه من المحجة وضمه الى جنته بمنية المغيرة وأجوبة الفقهاء في ذلك :

" فهمنا وفقك الله الشهادات الواقعة على سعيد بن محمد بن السليم (١) فيما اقتطعه من محجة المسلمين ، وضمه ذلك الى جناته الملاصقة لمحجة قرطبة بمنية المغيرة . فرأينا شهادات تامة منعقدة توجب خراب ذلك ورد المقتطع من المحجة اليها على حسب ماكانت عليه بعد مضى البينة التى شهدت في ذلك الى الموضع ، وحيازتها بمايقطع فى ذلك بالشهادة انه اخذه من المحجه ، وبعد أن يعذر اليه فى مدفع ان كان عنده فيمن قبلت شهادته فى ذلك . قال بذلك احمد بن يحى بن ابن عيسى . وقال هذا قضاء قضاه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وقد روى ابن كنانه عن مالك ابن أنس ـ رضى الله عنه ـ هدم عمر بن الخطاب على أبى سفيان أسسا كان تزيده فى طريق المسلمين فسارع ابو سفيان الى هدمه (٢) " .

وهذه مسأله تتعلق بالمصلحة العامة للمسلمين ، فقد اقتطع ابن السليم ، جزءا من الطريق العام واضافه الى جناته ، فرفع امره الى القاضي بواسطة المحتسب وكانت الشهادات كلها مؤكده لاقتطاعه محجة المسلمين ، فجاء الرأى بأن يرد ابن السليم الجزء المقتطع الى المحجة واحتسب عليه فى ذلك .

تلك كانت بعض الوقائع العملية التى احتفظ لنا بها ابن سهل فى نوازله ، وقد اعطتنا صورة واقعية لعمل المحتسب فيما يتعلق بالناحية الاجتماعية لدى المسلمين ، فكان المحتسب يقوم بمنع بعض المظاهر الضارة بالمجتمع مثل المرور فوق مقابر المسلمين ، ومنع اصحاب المراكب ان يحملوها فوق طاقتها ، ومنع التعدى على حقوق الناس فى الطرق العامه .

---

(١) لم أعثر على ترجمة له .
(٢) ابن سهل ، الأحكام الكبرى ، ص ٢٤٣ .

واحتفظ لنا الونشريسي ببعض المسائل الاخرى والتي نستشف منها أن على المحتسب ان يحافظ على اسلام صغار المسلمين من الامهات النصرانيات فقد كانت تقع بعض المشاكل بسبب زواج المسلمين من نصرانيات •

ومن هذه المسائل مارفعه المحتسب إلى القاضي،الذي رفعه بدوره إلى الفقيه أبو ابراهيم،من أن نصرانية رفع الى القاضي،أن اباها كان مسلماً،فتوفي وتركها في حجر أمها النصرانية ، وقد مضى على ذلك عشرون عاما ، وتزوجت من نصراني وولدت منه • ولما عقلت زعمت أن اباها كان نصرانيا،ثم أسلم وهي تعقل دينها ،وقد ظلت على نصرانيتها في حياة أبيها ، ولكن الشهود من الجيران يقولون أن اباها كان نصرانيا وأسلم ، وهي دون البلوغ.وجرى اختلاف في هذه المسألة ، فكان رأي الفقيه أبو ابراهيم أنه لابد للنصرانية من بينة تثبت جميع ما ادعته، وإلا حملت محمل بنات المسلمين إذا ارتددن عن الاسلام •(١)

هذه واحدة من المشاكل التي كان يعاني منها المجتمع الأندلسي ، الذي يوجد فيه عدد كبير من النصارى ، وكان المسلمون يتزوجون بالنصرانيات، ويتوفى الاب المسلم ، ويترك في حجر الأم النصرانية عددا من أبنائه • فكان على المحتسب آن يراقب هذه الناحية في المجتمع •

وقد أجاب الفقيه أبو ابراهيم،الذي كان مشاورا في عهد الناصر (٢) ، بأنه اذا لم تثبت النصرانية ما ادعته من أن اباها أسلم/وهي تعقل دينها ، عوملت معاملة المرتدات من الاسلام •

---

(١) انظر الونشريشي ، المعيار المعرب ، جـ ٢ ، ص ٣٤٧ — ٣٤٨ •
(٢) المقرى ، نفح الطيب ، ١ / ٣٧٦ •

ثانيا : دوره فى الحياة الاقتصادية :-

واما من الناحية الاقتصادية فقد كان على المحتسب دور كبير فى تنظيم حياة المجتمع الاقتصادية ، ومراقبة الاسواق وتنظيمها ، وحسبنا أن المحتسب فى الاندلس كان يطلق عليه صاحب السوق لان مكانه السوق حيث كان يجلس وينظر فى المشاكل المتعلقة بالاسواق . وكانت الاسواق مليئة بأرباب الصنائع ، والمهن المختلفة وشتى انواع الباعه .

فكان على المحتسب أن يقدم من ثقات أهل الاسواق ،ووجوه ارباب الصنائع من الذين عرفوا بالثقة والنصح والمعرفة ليكون مسئولا عن اهل صنعته مطلعا على خفى اسرارهم وخبيث سرائرهم ، حتى لايختفى من امورهم كثير ولاقليل .(١)

وهذا امر ضرورى ، لان المحتسب غير ملم بدقائق ارباب الصنائع فكان لابد من تقديم شخص أمين ثقة ليكون مسئولا عنهم وملما بصنعتهم . ويستطيع أن يكشف للمحتسب بعض الخفايا التى تغيب عنه ، كالاساليب الملتوية التى يلجأ اليها بعض الصناع فى الغش فيكشف هذا الزيف للمحتسب الذى يقوم بدوره بمعاقبة الشخص الذى ارتكب الخطأ .

وينبغى للمحتسب ان يتفقد امورهم ويمنعهم من مطل الناس لحوائجهم لما فى ذلك من تعطيل الناس عن اشغالهم واضرارهم بهم .(٢) وذلك لان كثيرا من ارباب الصنائع يمطلون الناس حوائجهم ، ويمطلونهم من اعمالهم بكثرة خلفهم لوعدهم ، فكان على المحتسب ان يمنع هذه الظاهرة بين ارباب الصنائع .

---

(١) السقطى المالقى ، آداب الحسبة ، ص ٩ ، ابن عبدون ،فى اداب الحسبة ص ٤٣ .

(٢) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٩٢ .

ومن الامور الضرورية التى ينبغى على المحتسب مراعاتها ومراقبتها في الاسواق الموازين والمكاييل المتعامل بها فى الاسواق فينبغى عليه ضبطها والاشراف عليها بصورة تامه ٠

فالموازين ينبغى أن يكون لها أصل يرجع اليه فيها ، ويعتمد عليه فى صحتها ، وتعديل صنوجها ، ويكون عند من يوثق به بتعديل الموازين على العامه والخاصة ٠ ويأمر المحتسب بأن تكون الصنوج من حديد ،ويمنع من زوائد الرصاص عليها ، فانها ربما زالت ، فأمكنت الدلسة من ذلك (١) ٠

أما كفات الموازين فينبغى أن تكون من حديد أو نحاس فانها اسلم من الزيادة والنقصان ، وان لم تكن كذلك ، فمن العود ،وهي افضل من كفات الحجارة ، لانها تلتصق بها الاشياء اللزجه فى حال الوزن فتثقل (٢) ٠

اما الاكيال فيجب على المحتسب ان يتعاهدها بالمقادير ، ويصحح كيلها ، ويطبع على جوانبها طبعا موصلا بأعلاها لئلا يزاد فيها أو ينقص منها ، وتوضع عند المحتسب فى سجل اسماء اصحابها ، فمتى عثر على كيل غير مضروب أو غير مطبوع ، أو مطبوع وليس فى سجله عوقب عليه (٣) ٠

ويقول السقطى أنه على المحتسب أن يسم الاكيال والموازين وصنج أرباب الموازين بميسم معلوم عنده ، وكذلك قفاف الوزن ، ويأمر عملة الخبز أن يصنع كل واحد منهم طابعا ينقش فيه اسمه ويطبع على خبزه ليتميز خبز كل واحد بطابعه وتلزم الحجة به على صاحبه (٤) ٠

---

(١) ابن عبد الرؤوف ، فى آداب الحسبة والمحتسب ، ص١٠٦ ٠

(٢) ابن عبد الرؤوف ، فى آداب الحسبة ، ص ١٠٧ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٨ ٠

(٤) السقطي المالقى ، آداب الحسبة ، ص ١٠ ٠

لقد انصب الاهتمام بدرجة كبيرة على الموازين والمكاييل ويبدو أن الغش والتطفيف كان متفشيا ، ولذلك جرى التركيز على الموازين وصنجها وكفاتها ، وكيف تكون ؟ ومن أى مادة تصنع كفاتها وصنجها ،وكذلك المكاييل وكيفية تصحيحها بالطبع على جوانبها ، ممايدل على الاهتمام الكبير الذى توليه مؤسسة الحسبة ، أو " ولاية السوق " لهذا الجانب حتى لاتتضرر العامه وتهدر حقوقها من جراء الغش والتدليس الذى يمارسه كثير من التجار الذين لاتهمهم سوى مصلحتهم الشخصية .

ويجب على والي الحسبة الا يهمل أحوال الباعة ، أو يوكل امرهم لشخص لاترضى حالته ، بل يجب عليه أن يتفقد أحوال حاشيته وبطانته ،نظرا لتسرع الباعة الى الفساد ،وارتكابهم للنهى والعناد .(١)

وكان على المحتسب الاهتمام بأمر الخبز وأوزانه ،ومعرفة كمية الطعام المختزنه فى البلد لوقت الحاجة والضرورة – لاسيما وأن الاندلس كانت عرضه لعدد من المجاعات وعليه معرفة الاستهلاك اليومى للبلد من الطعام ، والكميات الداخله اليه يوميا ، وكذلك كميات الدقيق المتوافرة لديه ،والمستهلكه يوميا ، وذلك حتى يتمكن من عمل موازنة فى الأسعار بالزيادة أو النقصان حسب الكميات المتوفره لديه .(٢)

لقد كانت ولاية السوق فى الأندلس مسئولية كبرى فى عنق متوليها وكان صاحبها بمثابة وزير للتجارة عليه متابعة كل مايتعلق بحياة المجتمع المعيشية ،ويعمل على راحة الأمة وتأمين المتطلبات اللازمه لها.

كما كان على المحتسب مراقبة كافة أرباب الصنائع ،والمهن من الصيادله والعطارين ،والقطانين ،والزجاجين ،وبائعى اللحوم والالبان وغيرهم من الباعة .(٣)

---

(١) الجرسيفى ، رسالة فى الحسبة ، ص١٢٥ .

(٢) انظر السقطى ، أداب الحسبة ، ص ١١ .

(٣) انظر السقطى ،أداب الحسبة ،ص ٩٤ ، ١٥١ – ١٥٢ ، ٩٧ ، ابن عبد الرؤوف ،فى اداب الحسبة والمحتسب ، ص ٩٢ – ٩٣ .

وكانت عادة المحتسب فى الاندلس " أن يمشى بنفسه راكبا على الاسواق وأعوانه معه ، وميزانه الذى يزن به الخبز فى يد أحد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم ، وكذلك للثمن ، وفى ذلك من المصلحه ان يرسل المبتاع الصبى الصغير ،او الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق فى معرفة الاوزان ، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ، ولايجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ماحد له المحتسب فى الورقة ، ولايكاد تخفى خيانته ، فان المحتسب يدس عليه صبيا ، أو جارية يبتاع أحدهما منه ، ثم يختبر المحتسب الوزن ، فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل مما يلقى ، وان كثر ذلك منه ، ولم يتب بعد الضرب والتجريس نفى من البلد " (١) .

نخلص الى أن المحتسب أو صاحب السوق قد شملت اختصاصاته كافة أوجه النشاط البشرى الاقتصادى الذى كان يمارسه الاندلسيون فى ذلك الوقت فى نطاق الاسواق ، من ضبط للموازين والمكاييل منعا للتطفيف من ضعاف النفوس ، ثم مراقبة أرباب الصنائع على مختلف مشاربهم ومنافعهم ، فكانت هناك رقابة محكمه على كل مهنة أو صنعة ، كما شملت اختصاصاته أيضا الاهتمام بتأمين الغذاء للمجتمع ،ومراقبة المخزون والمنصرف منه .

اما فى الجانب الاجتماعى فقد شملت اختصاصاته مراقبة العديد من الانشطة الاجتماعية ، ومنع كل مظهر يضر بأفراد المجتمع أو مؤسساته ، ومراقبة سلوك الناس وضبطهم وتوجيههم نحو الفضائل وابعادهم عن الرذائل وازالة كافة المنكرات من واجهة المجتمع الاسلامى .

---

(١) ابن سعيد برواية المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

لقد كانت خطة الحسبة أو (ولاية السوق) خطة رقابية هامة من خطط الحكومة الاموية بالاندلس ، وأدت دورا بارزا ومؤثرا في المجتمع الاسلامي ، وساهمت في بسط الامن والرخاء والطمأنينه متضافرة مع غيرها من الخطط الاخرى كالشرطة . وكانت أكثر النظم الاندلسية ثباتا واستقرارا حتى بعد سقوط الاندلس في ايدى النصارى . يقول بروفنسال : " واحسن دليل على اهمية المحتسب من الناحية العملية في الاندلس امر يستنتج من أن الملوك المسيحيين كانوا كلما استردوا من المسلمين اقليما أبقوا فيه المحتسب . ومن الطريف أن نجد هذه الولاية الاسلامية في اساسها تنتقل من الاراضي الاسلامية الى الناحية الاخرى من شبه الجزيرة الايبيرية وأن نجد لفظ محتسب يدخل في اللغة القشتالية فيصير (الموتاس) ليدل على الوالي المكلف بضبط الموازين والمكاييل " .(١)

---

(١) ليفي بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة في ادب الاندلس وتاريخها المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥١م ، ص ٨٨ .

(الفصـــــــل الرابـــع)

النظام المالـــي فـــي الأندلـس ١٣٨ ـ ٣٦٦ هـ

ويشتمل هذا الفصل على مبحثيــــن :

ـ المبحث الأول : موارد بيت المال في الاندلس ١٣٨ـ ٣٦٦هـ

ـ المبحث الثاني : مصارف بيت المال

المبحث الاول

موارد بيت المال :

لايختلف النظام المالي في الأندلس من النظام المالي في المشرق الاسلامي لأن كلا منهما مستمد من الشريعة الاسلامية ،فموارد الدولة الاسلامية ومصارفها منها ماهو منصوص عليه في الكتاب والسنة ،ومنها ماترك تقديره لاجتهاد ولاة أمور المسلمين .

والأندلس بلد غني بثرواته الزراعية والحيوانية والمعدنية والصناعية ، وقد أثرت هذه الثروات خزانة الدولة الاسلامية بالأموال ولذلك أرى قبل أن أتحدث من موارد بيت المال في الأندلس ، ضرورة الحديث من الحياة الاقتصادية خلال هذه الفترة ، ومن ثم نتناول موارد بيت المال.

الحياة الاقتصادية في الأندلس :

شملت الحياة الاقتصادية في الأندلس ضروبا عديدة من الأنشطة ، تمثلت في الزراعة وتربية الحيوان ،والتعدين ، والصناعة ، والتجارة .

(أ) الزراعة وتربية الحيوان :

الأندلس بلد زراعي بالدرجة الأولى نظرا لتوفر مقومات الزراعة ، من أراض خصبة ، ومصادر مياه ، وملاءمة مناخ (1) .

وتزودنا المصادر الجغرافية الأندلسية بسيل كبير من المنتجات الزراعية ، التي تنتجها كور وبقاع الأندلس المختلفة ولذلك سأكتفي ببعض الاشارات الواردة في بعض الكور أو المدن لمعرفة هذه المنتجات الزراعية .

تنتج بلاد الأندلس كثيرا من أنواع الحبوب والفواكة ،وأهم هذه المنتجات الزراعية القمح ويزرع أجود أنواعه بطليطلة (٢) ، والشعير

---

(١) انظر المقرى ، نفح الطيب ، ١/٢٠٥ .

(٢) ابن غالب الأندلسي ، فرحة الأنفس ، ص ٢٢٨ ، أبو عبيد البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٨٧ .

الذي يزرع بجيان وبياسة (١)، والزيتون الذي يزرع بمعظم نواحي الأندلس واختصت كورة قبرة بكثرة انتاجه (٢)، والقطن الذي تميزت كورة اشبيلية بانتاجه (٣).

واختصت كورة جيان بانتاج الحرير، واشتهرت بذلك حتى كان يقال لها جيان الحرير، كما اختصت بياسة بانتاج الكروم، ومالقة بالزعفران (٤).

ويحدثنا الادريسي عن مدينة جيان فيقول عنها : ومدينة جيان مدينة حسنة كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ويحيط بها مايزيد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير وبمدينة جيان بساتين وجنات ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب (٥).

ويقول الحميري عن اشبيلية : " ويطل على اشبيلية جبل الشرف، وهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة، فراسخ في فراسخ طولا وعرضا لاتكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه، وزيته أطيب الزيوت ومن هناك يتجهز به الى الآفاق برا وبحرا وكل ما استودع أرض اشبيلية وغرس فيها نما وزكا وجل (٦) ".

كما تكثر الثروة الخشبية بالأندلس وذلك لتوافر الغابات (٧) وأما الفواكه بأنواعها المختلفة مثل التفاح والرمان السفري وقصب السكر وغير ذلك من أنواع الفواكه فتنتجها معظم كور الأندلس (٨).

---

(١) الادريسي، صفة المغرب، ص ٢٠٣، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٠.

(٢) ابن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس، ص ٢٨٨، ٢٩٢، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٧، ٤٥، ٥٢، المقري، نفح الطيب، ١٥٨/١.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٩٦، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٩٢، — الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١.

(٤) المقري، نفح الطيب، ٢١٧/٣، ٢١٨، ٢١٩.

(٥) صفة المغرب، ص ٢٠٢.

(٦) الروض المعطار، ص ٥٩.

(٧) الادريسي، صفة المغرب، ص ١٩٥، الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ١١٥، ١٩٨.

(٨) انظر ابن غالب، فرحة الانفس، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩١، العذري، نصوص عن الاندلس، ص ١٨، ٩٦، الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص ٤٥، ٤٧، ٩٧، ١٠٦، ١٠١.

والمسلمون هم الذين نقلوا الى بلاد الأندلس من آسيا زراعة الأرز والحنطة وقصب السكر والرمان والقطن والموز والكراز والبرتقال والليمون والسفرجل والخوخ والنخيل والتين والزنجبيل وصناعة الحرير (١) .

كذلك فقد أحال المسلمون مساحات واسعة من الأرض ـ وخاصة حول قرطبة وغرناطة وبلنسية ـ الى جنات تحفها حدائق الخضر وغياض الزيتون وبساتين الفاكهة ، كما استحالت جزيرة ميورقة التي فتحها العرب في القرن الثامن بفضل علمهم بالزراعة وعنايتهم بها فردوسا مليئا بالفاكهة والأزهار تشرف عليها أشجار النخيل التي سميت الجزيرة باسمها فيمابعد (٢) .

وأقام المسلمون بالأندلس زراعتهم لأراضيهم وضياعهم على أساس من القوانين الزراعية التي اختصت بها دون غيرها من البلاد ،وعلى أساس نظام جيد للري ، من شق للترع والقنوات ، وبناء للنواعير والسواقي التي نقلها عنهم نصارى أسبانيا الشمالية (٣) .

لقد كانت الزراعة تشكل عنصرا هاما من عناصر النشاط الاقتصادي في الأندلس ، نظرا لتوفر مقومات الزراعة في البلاد ،كما أن المسلمين طوروا كثيرا من أساليب الزراعة بعد فتحهم البلاد واستقرارهم فيها وأدخلوا معهم زراعة كثير من المحصولات الزراعية والفواكه التي لم تكن تعرفها البلاد من قبل .

أما الثروات الحيوانية ؛ فتكثر الأغنام والأبقار بجبل الشارات الذي يقع الى الشمال من طليطلة ،ويتجهز به الجلابون الى سائر البلاد ولايوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولا (٤) .

---

(١) ول ديورانت ،قصة الحضارة ،مجلد (١٣ ـ ١٤) ص ٢٩٤ ،حيدر بامات، مجالى الاسلام ،ترجمة عادل زعيتر ،طبع القاهرة ١٩٥٦م ، ص ١٠٧ .

(٢) ول ديورانت ،المرجع السابق ، مجلد (١٣ ـ ١٤) ص ٢٩٤ .

(٣) د.رجب محمد عبد الحليم ،العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية ، ص ٤٦٧ ،وانظر حيدر بامات ،مجالى الاسلام ،ص ١٠٧ .

(٤) الادريسي ، صفة المغرب ، ص ١٨٨ .

وتكثر الأغنام والمواشي أيضا بحصن منت ميور الواقع على مصب نهر منديق المتصل بمدينة قلمرية (١) .

ويحدثنا ابن غالب الأندلسي عن كورة الجزيرة الخضراء فيقول " ومرساها أيسر المراسي للحيوان ، وأقربها من العدوة ، ولها البحيرة وهي أرض زرع وضرع ونتاج " (٢) . أما الحميري فيقول عن جزيرة قادس " بها مزارع كثيرة الريع وأكثر مواشيها المعز " (٣) .

ويصف العذري بلنسية فيقول : أن لها خطة فسيحة وهي بلدة منيعة جمعت البر والبحر والزرع والضرع (٤) .

وشاطبة " لها بساتين جميلة وأرضون فسيحة ولها الزرع والضرع والثمرة " (٥) والزرع والضرع هنا معناه توافر الثروات الحيوانية بهذه الكور .

(ب) الثروة المعدنية :

تزخر أرض الأندلس بالكثير من أنواع المعادن والأحجار الكريمة يقول القزويني : " وبها معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد في كل ناحية ، ومعدن الزئبق والكبريت الأحمر والأصفر .. ومن الأحجار الياقوت والبلور والجزع واللازورد والمغناطيس والشادنج " (٦) .

وبمدينة ألبيرة : " معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والصفر ومعدن التوتيا ،ومقطع الرخام ،وتحمل هذه الأشياء منها الى سائر الأندلس " (٧) .

---

(١) الادريسي ، المصدر السابق ،ص ١٨٣ .
(٢) فرحة الأنفس ، ص ٢٩٤ .
(٣) الحميري ،صفة جزيرة الأندلس ،ص ١٤٤ .
(٤) نصوص عن الأندلس ،ص ١٨ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٩ — ٢٠ .
(٦) القزويني ،زكريا بن محمد بن محمود ،آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر — بيروت ،(بدون تاريخ طبع) ص ٥٠٣ .
(٧) المصدر نفسه ،ص ٥٠٢ ، وانظر : ابن الخطيب ،الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد بن عبد الله عنان ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ،ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

وقال أبو عبيد البكري : " ويوجد اللؤلؤ بناحية مدينة برشلونة الا أنه جامد اللون ، والمرجان يخرج من بحر الأندلس ، وقد خرج منه في ساحل البيرة في أقل من شهر نحو ثمانين قنطارا ومعدن الذهب بنهر لاردة يجمع بها منه الكثير ، ويجمع أيضا فى ساحل الأشبونة ،ومعادن الفضة بالأندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال حمة بجانة وباقليم كرتيش من عمل الرطبة معدن فضة جليل وبأكشونبة معدن القصدير لانظير له يشبه الفضة ،... ومعدن الكبريت الأحمر بالأندلس ومعادن الكبريت الأصفر كثير ومعادن الشبوب والحديد والنحاس والرصاص بالأندلس أكثر من أن تحصى " (١) .

وقال المقري : " وتشتمل كورة المرية على معدن الحديد والرخام " (٢) وذكر الادريسي وجود معادن الفضة والحديد والرخام حول بعض المناطق القريبة من حصن المدور ،وبجبال طليطلة معادن الحديد والنحاس (٣)

ويقول ول ديورانت : " وأغنت مناجم أسبانيا المسلمين بالذهب والفضة والقصدير والنحاس والحديد والرصاص والشب والكبريت والزئبق وكان المرجان يستخرج من البحر على طول سواحل أسبانيا ، كما كان اللؤلؤ يصطاد قرب سواحل الطلونية ، وكان الياقوت يستخرج من مناجم حول باجة ، ومالقة " (٤) .

مما سبق يتضح لنا مدى غنى الأندلس بثرواته المعدنية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والقصدير والرصاص والكبريت والرخام والأحجار الكريمة وتوافر هذه الثروات في كثير من مناطق الأندلس .

وتشكل هذه الثروات المعدنية رافدا من الروافد الهامة بعد الزراعة في اثراء بيت المال كما سنرى وخاصة في مجال سك العملة .

(جـ) الصناعة والتجارة :

ساعد توافر الثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية على تقدم

---

(١) أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧) جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك . تحقيق د. عبد الرحمن الحجى ،دار الارشاد ، بيروت ،الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨م ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .
(٢) نفح الطيب ،١٦٢/١ .
(٣) صفة المغرب ،ص ١٨٨ ،٢٠٧ .
(٤) قصة الحضارة ، مجلد (١٣ ـ ١٤) ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

الصناعة في الأندلس بصورة كبيرة .

فقد ساعد توافر القطن والحرير على صناعة النسيج اذ اشتهرت مدينة المرية بنسج طرز الحرير والحلل النفيسة والديباج الفاخر وغيره من أنواع الثياب (١).

واشتهرت مالقة ومرسية والمرية بالوشي المذهب والبسط (٢) وازدهرت صناعة المراكب والسفن نتيجة لتوافر الثروة الخشبية (٣).

وازدهرت الصناعات المعدنية ازدهارا كبيرا ، فهناك صناعة آلات النحاس والحديد بالمرية (٤) ، واشتهرت طليطلة بصناعة السيوف ،وقرطبة بالدروع ، وازدهرت كذلك الصناعات اليدوية مثل صناعة الجلود (٥).

وكان من الطبيعي أن تزدهر التجارة في ظل هذا الازدهار الصناعي ، وطبيعي أن يتجه الأندلسيون بمنتوجاتهم ومصنوعاتهم الى الأسواق الخارجية في الشرق والغرب . يقول ابن حوقل " وبالأندلس غير طراز يرد الى مصر متاعه ،وربما حمل منه شيء الى أقاصي خراسان وغيرها" (٦)

وكانت مدينة المرية هي باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق (٧)، حيث تقصدها المراكب البحرية من الاسكندرية والشام ، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ،ولا أتجر منهم في الصناعات وأنواع التجارات (٨)، ومن مدينة شاطبة يتجهز التجار بالأمتعة الى جميع بلاد المغرب (٩).

وتصدر الأندلس منتجات المناجم ومعامل الأسلحة ومصانع الحرير والجلود والسكر الى جميع أفريقية والشرق (١٠).

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ،ص ١٨٤ ، المقرى ،نفح الطيب ، ١٦٣/١.
(٢) المقرى ،نفح ، ٢٠١/١ .
(٣) ابن غالب ،فرحة الأنفس ،ص ٢٨٣ ،الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ،ص ١١٥ .
(٤) الادريسى ، صفة المغرب ،ص ١٩٧ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ،ص ١٨٤.
(٥) ول ديورانت ،قصة الحضارة ،مجلد (١٣ — ١٤) ص ٢٩٥ .
(٦) صورة الارض ،ص ١٠٥ .
(٧) ابن غالب ،فرحة الانفس ،ص ٢٨٣ .
(٨) الادريسى ،صفة المغرب ،ص ١٩٧ .
(٩) العذرى ،ترصيع الاخبار ،ص ٢٠ .
(١٠) حيدر بامات ،مجالى الاسلام ،ص ١٠٦ .

وأخذت العلاقات الاقتصادية تنمو مع الزمن نموا ملحوظا ،فكانت الأساطيل التجارية في موانئ الأندلس ، اشبيلية ومالقة ودانية وبلنسية والمرية تعمل بين كل مدن البحر الأبيض المتوسط ،وتحمل على ظهرها البضائع المصدرة ، زراعية من ثمار الأرض الأسبانية ، أو صناعية من نتاج المعامل في المدن الأسبانية المختلفة ، مثل الأغطية والجياد ، والخزف المذهب ، والفراء ، والمجوهرات المرصعة والجلود المنقوشة ، والسلاح والورق السميك .(1)

تلك هي أوجه النشاط الاقتصادي في الأندلس بفروعه المختلفة ، ولقد ارتبطت موارد بيت المال في الأندلس بهذه الأوجه الاقتصادية ، من زراعة وتربية حيوان وتعدين وصناعة وتجارة ارتباطا مباشرا ، لأن لكل مورد منها ضريبة خاصة تؤدى الى بيت المال .

موارد بيت المال :

تتكون موارد بيت المال في الأندلس ، من الجزية والخراج وأخماس الغنائم ، والعشور والصدقات والأموال المرسومة على المراكب الصادرة والواردة ، ودخل دار السكة ، والرسوم على بيوع الأسواق ، وميراث من لاوراث له .(2)

هذه هي أهم موارد بيت المال في الأندلس ، وسنتناول هذه الموارد بشيء من التفصيل .

(1) الجزية :

من موارد بيت المال التي وجبت بالكتاب وترك تحديدها ومصارفها لولي الأمر، الجزية فقد نص القرآن الكريم على وجوب أخذ الجزية

---

(1) ليفي بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا ، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي ،دار المعارف ـ مصر ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م ،ص ٧٥ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص ١٠٤ ، محمد عبد الله عنان ، العرب في أسبانيا ، مطبعة السعادة بمصر ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٢٤م ،ص ٢٠١ .

من أهل الكتاب. قال تعالى : " قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (١) .

والجزية موضوعة على الرؤس ، واسمها مشتق من الجزاء ، اما جزاء للكفار على كفرهم لأخذها منهم صغارا ، أو جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقا (٢) .

وهي لاتجب الا على الرجال الأحرار العقلاء ، ولاتجب على امرأة ولاصبى ولامجنون ولاعبد لأنهم أتباع وذراري (٣) .

واختلف الفقهاء في قدر الجزية ، فصنفها أبو حنيفة ثلاثة أصناف : أغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما ، وأوساط يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما ، وفقراء يؤخذ منهم اثناعشر درهما ، وقال مالك لايدر أقلها ولا أكثرها وهى موكولة لاجتهاد الولاة في الطرفين وذهب الشافعى الى أنها مقدرة على الأقل بدينار لايجوز الاقتصار على أقل منه ، والأكثر غير مقدرة عنده يرجع فيه الى اجتهاد الولاة (٤) .

واختلف من الامام أحمد في قدرها على ثلاث روايات :-

أحداها : أنها مقدرة الأقل والأكثر ، فيؤخذ من الفقير اثنا عشر درهما ومن المتوسط أربعة وعشرون ومن الموس ثمانية وأربعون .

ثانيا : أنها غير مقدرة الأقل والأكثر وهى الى اجتهاد الامام في الزيادة والنقصان .

وثالثها : أنها مقدرة الأقل غير مقدرة الأكثر (٥) .

وتمثل الجزية في الأندلس موردا هاما من موارد بيت المال ، ذلك لأن موسى بن نصير عند فتحه لبلاد الاندلس ضرب الجزية على النصارى

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٢٩) .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ ، أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ص ١٥٣ .

(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .

(٥) أبو يعلى الفراء الحنبلى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٥ .

الذين بقوا على دينهم يقول محمد بن مزين : " وأما سائر النصارى الذين كانوا في المعاقل المنيعة ، والجبال الشامخة ، فأقرهم موسى بن نصير على أموالهم ودينهم بأداء الجزية " (١) .

فكان على أهل الذمة في الأندلس الالتزام بدفع ضريبة الأعناق السنوية ، وهي ثمانية وأربعون درهما على الغني ، وأربعة وعشرون درهما على متوسط الحال ، واثنا عشر درهما على العمال والصناع ، وكانت تدفع على اثني عشر قسطا ففي أواخر كل شهر قمري كان يسدد قسط وقد أعفى من دفعها النساء والكهنة والضعفاء والأطفال والعبيد وذوو العاهات كما كانت تسقط عمن يسلم (٢) .

(٢) الخـــــراج :-

الخراج من أهم الموارد المالية لخزانة الدولة الاسلامية في الأندلس ،والخراج في اللغة معناه الكراء أو الغلة ، وهو ماوضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى منها ، وهو موقوف على اجتهاد الأئمة قال تعالى : " أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير " * وفي قوله أم تسألهم خرجا وجهان : أحدهما أجرا والثاني نفعا ، وفي قوله فخراج ربك خير وجهان : أحدهما فرزق ربك خير في الدنيا ، والثاني فأجر ربك في الآخرة خير منه ، والفرق بين الخرج والخراج ، أن الخرج من الرقاب ، والخراج من الأرض (٣) .

ويوضع الخراج على الأراضي التى أخذها المسلمون عنوة من المشركين ، وتركها الأمام في أيديهم على أن يؤدوا الخراج كمافعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى أرض السواد ، أو على الاراضى التى صالحوا

(١) محمد بن مزين للرسالة الشريفية الى الأقطار الأندلسية بذيل كتاب تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية تحقيق عبد الله أنيس الطباع ،دار النشر للجامعيين ، ص ٢٠٥ ،الغساني ،محمد بن عبد الوهاب ،أبو عبد الله ت (١١١٩هـ) رحلة الوزير في افتكاك الأسير ،تحقيق الفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو ،ص ١١٢ .
(٢) أنيس زكريا النولي ،الدولة الأموية في قرطبة ،طبع في المطبعة العصرية ، بغداد ،١٩٢٦م ،ص ٣٩ .
* سورة المؤمنون ، الآية (٧٢) .
(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٦ .

عليها وصاروا ذمة فهي أرض خراج .(1)

وهناك فرق بين الأرض الخراجية والارض العشرية ،فالأرض الخراجية هي ما أخذها المسلمون عنوة أو صلحا من المشركين .

أما الأرض العشرية فكل أرض أسلم أهلها عليها ،وهي من أرض العرب أو أرض العجم فهي لهم ، وهي أرض عشر كالمدينة واليمن، وكذلك كل من لاتقبل منه الجزية ولايقبل منه الا الاسلام أو القتل من عبدة الأوثان من العرب ، فأرضهم أرض عشر ان ظهر عليها الامام .(2)

الخراج في الأندلس :-

ثار جدل بين فقهاء ومؤرخي الأندلس حول صحة تقسيم وتخميس أرض الأندلس بعد الفتح الاسلامي ، وهل عوملت الأرض المفتوحة وفق أحكام الشرع الاسلامي أم لم تعامل ؟

ذهب ابن مزين الى أنه عندما فتح المسلمون الأندلس قسمها موسى بن نصير البكري التابعي بين (الجنود) الذين دخلوها كما قسم بينهم سبيها ومتاعها وسائر مغانمها وآخرج من أرضها ورباعها الخمس ، واختار من خيار السبي وصغاره عددا كبيرا بعثهم الى الوليد بن عبد الملك ، وأبقى عددا من هؤلاء السبي والرقيق على خمس الأرضين ليعمروها ليثلث مال المسلمين ، وهم أهل البسائط فعرفوا بالأخماس وأولادهم بنو الأخماس .(3)

ويذكر ابن مزين أيضا : أنه لم يبق بالأندلس بلدة دخلها المسلمون بأسيافهم وأصبحت ملكا لهم الا قسم موسى بن نصير بينهم

---

(1) أبو يوسف ; يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري البغدادي (ت ١٨٢هـ) ، الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ص ٦٩ ،الماوردي ،الاحكام السلطانية ،ص ١٤٧ ،أبويعلى ،الاحكام السلطانية ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(2) أبو يوسف ، الخراج ،ص ٦٩ .

(3) الغساني ،رحلة الوزير ،ص ١١٢ ،الرسالة الشريفية ،ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

أراضيها الا ثلاثة مناطق هي شنترين واللنبرية [في المغرب] وشية" في المشرق،وأن سائر البلاد ضمت وقسمت بمحضر التابعين الذين كانوا مع موسى بن نصير (١) .

وروى عن أحمد بن محمد الرازي،وهي رواية أخرى في صحة تخميس الأندلس ، قال عبد الملك بن حبيب يرفعه الى بعض التابعين الداخلين الى الأندلس ، قال : " كان الخلفاء من بني أمية اذا وردت عليهم الجبايات استقدموا مع جباية كل موضع عشرة رجال من وجوه رجالها وخيارهم فلايدخل بيت المال من الجباية دينار ولادرهم آخذ الابطه وأنه فضل أعطيات أهل البلد من العيال والذرية ، قال فأتى وفد أفريقية بخراجها في آخر أيام سليمان ،قال : فلما أمروا أن يحلفوا حلف ثمانية ونكل رجلان وهما : اسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم ، والسمح بن مالك الخولاني ، فأعجب عمر بن عبد العزيز بفعلهما ، فلما ولى الخلافة ضمهما الى نفسه فاختبر منهما دينا وخيرا فولى اسماعيل بن عبيد الله أفريقية ، وولى السمح بن مالك الأندلس وأمره أن يخمس مابقى من أرضها وعقارها ، ويخرج منها خمس الله تعالى ويقر القرى بأيدي أربابها " (٢) .

يتضح مماسبق أن ابن مزين يؤكد على صحة تقسيم الأندلس وفق أحكام الشرع الاسلامي ،وبحضور بعض التابعين الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير ،وترك موسى جزءا من السبي والرقيق لفلاحة هذه الارض وعمارتها وأرسل جزءا منهم الى الخليفة والرواية الاخرى عن الرازي عن عبد الملك بن حبيب تؤكد صحة تقسيم وتخميس أرض الأندلس فالرازي بلاشك هو أقدم مؤرخي الأندلس وعبد الملك بن حبيب هو عالم الأندلس كماقال محمد بن عمر بن لبابة (٣) .

ويورد الغساني رواية أخرى فيقول أن ابن نصير قسم وخمس بعض البلاد وأعجلته حركته منها وانه سأل أمير المؤمنين الوليد من استيفاء

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١١٢ ، ١١٣ ،الرسالة الشريفية ،ص ٢٠٥ .

(٢) الغساني ،رحلة الوزير ،ص ١١٥ – ١١٦ ،الرسالة الشريفية ،ص ٢١٠ .

(٣) ابن الفرضي ،تاريخ علماء الاندلس ،جـ١ ،ص ٤٦١ ،ترجمة رقم ٨٤ .

ذلك فلماولاها امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك الخولاني أمره أن يخمس مابقي منها ففعل ذلك (١) .

ويفهم من هذه الرواية والرواية السابقة من عبد الملك ابن حبيب ان موسى بن نصير لم يتمكن من اكمال تقحيم وتخميس كل أرض الاندلس ولما ولى السمح بن مالك الاندلس في عهد عمر بن عبد العزيز استكمل مابقي من ذلك .

ويذكر صاحب أخبار مجموعة : أنه لما ولى السمح بن مالك الاندلس في عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ،أمره أن يخمس أرضها ويخرج منها ماكان عنوة ،خمسا لله من أرضها وعقارها ويقر القرى في أيدى غنامها ، فقدم السمح بن مالك سنة ١٠٠ هـ ووضع يدا في السؤال عن العنوة يميزه عن الصلح (٢) .

وذكر ابن خلدون أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعث السمح بن مالك الخولاني سنة ١٠٠هـ الى الأندلس وأمره أن يخمس أرض الاندلس فخمسها (٣) .

وذكر ابن القوطية أن عمر بن عبد العزيز وجه جابرا مولاه الى السمح بن مالك ليخمس أرض الأندلس ، ولكن حينما بلغته وفاة عمر رضى الله عنه رفع يده من التخميس (٤) .

أما ابن حزم فيرى أن الاندلس لم تقسم ولم تخمس ويؤكد على رأيه بقوله : " هذا مالم نزل نسمعه سماع استفاضة توجب العلم الضروري أن الأندلس لم تخمس وتقسم كمافعل رسول الله فيما افتتح ولا استطيبت أنفس المستفتحين وأقرت لجميع المسلمين ،كمافعل عمر رضى الله عنه فيمافتح ،لكن نفذ الحكم فيها بأن لكل يد ما أخذت ، ووقعت

---

(١) رحلة الوزير ، ص ١١٤ ، الرسالة الشريفية ، ص ٢٠٧ .

(٢) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ،ص ٣٠ ،المقرى ،نفح ،جـ ٣،ص١٥

(٣) ابن خلدون ،العبر ،٢٥٧/٤ .

(٤) تاريخ افتتاح الأندلس ،ص ٣٨ .

فيها غلبة بعد غلبة ، ثم دخل البربر والأفارقة فغلبوا على كثير من القرى دون قسمة ، ثم دخل الشاميون في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري فأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلديين عما كان بأيديهم " (١) .

ويذهب الى هذا الرأي أيضا أبوجعفر بن نصر الداودي فيقول : " وأما أرض الأندلس فقد طعن فيها بعض الناس ، وزعم أنها أو أكثرها فتحت عنوة وأنها لم تخمس ولم تقسم غير أن كل قوم وثبوا على طائفة منها بغير اقطاع من الامام ، ولم تترك لمن يأتي من المسلمين فاذا كان الأمر على هذا فالواجب على من بيده شيء من ذلك أن يتبرأ منه فيكون في مصالح المسلمين وله أن يؤدي كراء ذلك الى المساكين ويستعملها اذا لم يكن ممن يجري في ذلك على وجهه " (٢) .

إن الروايات في هذا الشأن تبدو متضاربة ومتناقضة الى حد كبير ،وهي مسألة بالغة الخطورة.فروايات ابن مزين،تؤكد أن موسى ابن نصير،قد قسم وخمس أرض الأندلس ، ورواية ابن حزم والداودي تنفيان ذلك.

وحقيقة يحار المرء أمام هذه الروايات المتضاربة.ولكني أرى أنه لايمكن للدولة الاسلامية أن تدع أمرا كهذا دون حسمه ،والخلافة الاسلامية غايتها العدالة ، والفتح الاسلامي يهدف الى نشر قيم الاسلام وتعاليمه السمحة،ولايرمي الى ظلم الناس،واذا حدث تجاوز في الفتح من قبل الفاتحين،فكيف تترك الخلافة هذه الأرض دون أن تعاملها وفق أحكام الشرع الاسلامي .

ولذلك أستطيع القول أن الدولة الاسلامية ممثلة في الذين فتحوا الأندلس،وعلى رأسهم موسى بن نصير،قد شرعوا في تخميس الأندلس عند

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ٣ ،رسالة التلخيص لوجوه التخليص ،تحقيق د. احسان عباس ،ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ص ١٧٥ ، الطبعة الاولى ١٩٨١م .

(٢) أحمد بن نصر الداودي ،ت ٤٠٢هـ ،الأموال ،مخطوط ،ص ١٧ ،مصور بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي جامعة أم القرى برقم ٤٤ عن مخطوطة الاسكريال .

الفتح كما أشارت الى ذلك رواية ابن مزين ، وابن حبيب ، وابن خلدون ولكن موسى لم يتمكن من اتمام عملية التقسيم والتخميس لاستمرار عمليات الفتح وتلاحق الأحداث ، ولقصر المدة التي قضاها بالأندلس ، ثم استدعى من قبل الخلافة ،فغادر موسى الأندلس دون أن يكمل تخميسها ولما جاء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى الخلافة ، وجه اليه السمح بن مالك باستكمال مابدأه موسى وتمييز أرض الصلح من أرض العنوة .

ويبدو أن هناك ثمة تجاوزات قد حدثت من قبل بعض الفاتحين فلانستطيع أن نبرأ الناس من الخطأ ، أما أن ننفي مسألة تخميس أرض الأندلس كلية كما ذهب الى ذلك ابن حزم والداودى فهذا أمر غير مسلم به وأرجح ماذهب اليه ابن مزين الذى أكد على رأيه مرة أخرى بقوله : " ولم تزل أموال الأخماس بالأندلس معلومة معمورة لبيت مال المسلمين مدة الأمراء فيها ،ثم في دولة الأئمة من بني أمية فعمر بأصحابهم أيضا الى أن ثار الرؤساء في كل وجه وكثرت الفتن .. " (١) .

(٣) الفىء والغنيمة :-

الفىء هو " كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ،ولا بايجاف خيل ولاركاب ، فهو كمال الهدنة ،والجزية ،وأعشار متاجرهم. أو كان واصلا بسبب من جهتهم،كمال الخراج " (٢) .

وأما الغنيمة فهي ما أخذت من المشركين قهرا ، ومصرف خمس الفىء والغنيمة واحد (٣) قال جل شانه : " واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن الله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين " (٤) .

والغنيمة ليست من حقوق بيت المال ،لأنها مستحقة للغانمين الذين تعينوا بحضور الموقعة،لايختلف مصرفها برأى الامام ولا اجتهاده في

(١) ابن مزين ، الرسالة الشريفية ،ص ٢٠٨ .
(٢) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٢٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .
(٤) سورة الأنفال ،الآية (٤١) .

منعهم ، فلم تصر من حقوق بيت المال الا في الأرضين .(١)

وينقسم خمس الفئ والغنيمة الى ثلاثة أقسام : " قسم منه يكون من حقوق بيت المال وهو سهم الرسول صلى الله عليه وسلم - المصروف في المصالح العامة ، الموقوف مصرفه على رأي الامام واجتهاده وقسم منه لايكون من حقوق بيت المال ، وهو سهم ذوي القربى ، لأنه مستحق لجماعتهم فتعين مالكوه ، وخرج من حقوق بيت المال بخروجه عن اجتهاد الامام وقسم منه يكون بيت المال فيه حافظا له على أهله ، وهو سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل ، ان وجدوا دفع اليهم ،وان فقدوا أحرز لهم " .(٢)

وكانت الأخماس تشكل موردا كبيرا من موارد بيت المال في الأندلس ، لأن المسلمين في حركة جهاد دائمة مع أعدائهم النصارى.وكانت هذه الأخماس من الكثرة والضخامة بحيث لايحصيها ديوان كما ذكر المقري .(٣)

ففي سنة ١٧٧ هـ / ٧٩٣م ، عندما أغزى الامير هشام ،عبد الملك ابن عبد الواحد بن مغيث الى أربونة ، واستطاع فتحها ، وكان فتحا عظيما ، بلغ خمس السبي الى خمسة وأربعين ألفا من الذهب العين .(٤)

وبلغ الفئ في احدى الغزوات الى جليقية في عصر الأمير هشام تسعة وثلاثين ألفا(٥) وفي سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م غنم المسلمون مركبين من مراكب المجوس ، في بعض كور باجة ، وأخذوها بما فيها من ذهب وفضة وسبي ،وعدة ، كما غنموا مركبين آخرين بساحل شذونة فيهما أموال عظيمة .(٦)

---

(١) أبو يعلى الحنبلي ،الأحكام السلطانية ،ص ٢٥١ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
(٣) أزهار الرياض ، ٢٧١/٢ نفح الطيب ، ٣٧٩/١ .
(٤) ابن عذاري ،البيان المغرب ، ٦٤/٢ .
(٥) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٣٧٥/٢ . ورد الرقم دون تفصيل وأرجح أن يكون ذلك بالدنانير .
(٦) ابن عذاري ،البيان المغرب ،٩٦/٢ - ٩٧ .

وفي سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م ، كانت حصيلة المسلمين من فتحهم لبعض حصون النصارى ، ألف سبية[1] وافتتح المسلمون حصن أوريولة[2] في سنة ٢٩٧ هـ/ ٩٠٩م ، وأصابوا ثلاثمائة سبية من المشركين ، وكان مبلغ الفيء في هذه الغزاة ثلاثة عشر ألفا[3] .

وكانت حصيلة الجيش الاسلامي في احدى معاركه مع الجلالقة في سنة ٣٣٠ هـ /٩٤١م في عصر الناصر خمسة عشر ألفا من البقر والغنم اضافة الى السبي[4] .

وفي سنة ٣٤٧ هـ/ ٩٥٨م غزا المسلمون جليقية وكان فتحا عظيما استاق فيها المسلمون الماشية والكراع مافات الاحصاء[5] .

لقد كانت حركة الجهاد الاسلامي حركة مستمرة في الأندلس ضد النصارى المحيطين بالبلاد ، وكانت الغنائم التي يغنمها الجيش الاسلامي في المعارك التي ينتصر فيها كبيرة جدا ، وكثيرا ماترد هذه الغنائم في المصادر دون أن تحدد مقاديرها وتشير فقط الى انتصار الجيش الاسلامي وغنمه ، ولكنها على كل حال كانت تشكل موردا هاما من الموارد المالية للدولة في الأندلس ، سواء وردت مفصلة أم لم تفصل .

(٤) دخل دار السكة :

ظلت الأندلس دون سكة خاصة بها منذ أن فتحها المسلمون ، اذ كانوا يتعاملون بمايجلب اليهم من دراهم أهل المشرق ودنانيرهم ، فكان المال قليلا لديهم ، عديما عندهم ، ومعولهم على أثمان غلة أرضهم من القمح والشعير والكتان والزيت والحرير وسائر الحبوب والمعادن التي كانوا يتعاملون بها مع أهل العدوة في التجارة[6] .

---

(١) المصدر نفسه ،١٤١/٢ .
(٢) سبقت ترجمتها في ص .
(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ،١٤٦/٢ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ٤٨٤ .
(٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٢١/٢ .
(٦) ابن سماك العاملي ، الزهرات المنثورة ، ص ١٣١ .

وظل الأندلسيون كذلك مايقرب من مائة وخمس وعشرين سنة دون سكة الى أن جاء الى الحكم الأمير عبد الرحمن الأوسط فضربت الدنانير والدراهم على اسمه ، الا أنها لم تكثر في مدة ولايته ، ولم تغلب على دراهم أهل العدوة (١) .

ولكن بعض المؤرخين مثل د. حسين مؤنس يذكر بأن موسى بن نصير لم يكد يستقر في طليطلة ،حتى سارع بضرب عملة ذهبية إسلامية ،ليدفع منها رواتب الجند الذين كانوا معه ، ورجح أن ضرب موسى للعملة كان بتخويل من الخليفة له .وكان تعامل المسلمين في أسبانيا في خلال هذه الفترة القصيرة بالعملة التى ضربها موسى بالمغرب قبل ذلك سنة ٩٠ هـ.وذكر د. حسين مؤنس أن تاريخ سك العملة الذهبية الأندلسية الجديدة كان سنة ٩٧ هـ (٢) .

ولكن الفترة التي قضاها موسى بن نصير في الأندلس كانت قصيرة جداً ،حيث دخل في رجب سنة ٩٣هـ ،واستدعى من قبل الخلافة ،وخرج من الأندلس في ذي الحجة سنة ٩٥هـ.والأرجح أن موسى لم يتمكن في خلال هذه الفترة القصيرة من ضرب عملة ذهبية اسلامية أندلسية ،إذ أنه خرج من الأندلس ، ولم تتم عملية الفتح بصورة كلية ، ولم تستقر الأوضاع بعد حتى يتفرغ لضرب عملة ، ثم إن تاريخ ضرب العملة وهو سنة ٩٧هـ ، كان موسى بن نصير خلالها خارج الأندلس ، إذ وصل إلى مقر الخلافة في سنة ٩٦هـ.ولذلك لا أتفق مع الدكتور مؤنس فيما ذهب اليه .

ويبدو أن ماذهب اليه ابن سماك العاملي ،وابن سعيد ،هو الأرجح في هذا الشأن.فالعملة لم تسك في الأندلس بصورة رسمية إلا في عصر الأوسط ، وذلك على الرغم من توافر معادن الذهب والفضة بالأندلس ،وعلى الرغم من أن الأوسط ضرب العملة في الأندلس باسمه ، إلا أن دراهم أهل العدوة كانت هي الغالبة على الدراهم الأندلسية .

---

(١) ابن سماك العاملي ،المصدر السابق، ص ١٢١-١٢٢ ،وانظر ابن سعيد ،المغرب ١/١٤٦ .

(٢) فجر الاندلس ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

وعلى مايبدو فان الأمراء الذين آتوا من بعد الأمير عبـــد الرحمن الأوسط لم يولوا هذا الجانب الاهتمام الكافي وظلوا كذلك الــى أن جاء الى الحكم عبد الرحمن الناصر ، فأمر في سنة ٣١٦ هـ " باتخـــاذ دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب العين من الدنانير والدراهـــم ، فاتخذت هناك على رسمه ، وولى خطتها أحمد بن محمد بن حدير يـــوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان منها ، فقام الضرب فيها مــن لدن هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة " (١) .

وقال أحمد بن محمد الرازي : " فيها اتخذ الناصر لدين اللــه دار السكة لعياره ، وقد كان الضرب للنقد معطلا قبله بدهر ، فعظمت بــه منفعة الناس واكتملت خصال دولته وكان أول وال على دار السكة احمد بن محمد بن موس بن حدير ، ثم يحى بن يونس القبرى سنة عشرين وثلاثمائـــة ثم محمد بن فطيس سنة احدى وعشرين ، ثم سعيد بن جساس سنة اثنين وعشرين ثم عبد الله اخوه سنة سبع وعشرين ثم أعاد اليها سعيدا ... " (٢).

وفي سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م عهد الناصر الى ابنه وولي عهده الحكـــم المستنصر ادارة دار الضرب وآلاتها اضافة الى أمر الجباية والخزانـــة والخزان ، وقلده الاشراف على ذلك كله ، والوقوف على وجوهه ومعانيـــه وعلاته ودواعيه ، فأحسن النظر في ذلك وأداره بكفاءة عالية (٣) .

وفي سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م عزل الناصر سعيد بن جساس من خطتى الوزارة والسكة معا ، وسخط عليه وحبسه مهانا لأنه اطلع على غشه في السكـــة وعملها ، وقلد السكة عند عزل ابن جساس قاسم بن خالد ، وحدله العيـــار الجيد الذى ينسب اليه على مر الأيام ، فأحسن قاسم أمر السكة حتى نسبت اليه (الدراهم القاسمية) ، وحسن فيها أثره وحاز الرضا والثناء مـن قبل الخليفة (٤) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ٢٤٤ .
(٢) المصدر نفســـه ، ص ٢٤٣ .
(٣) المصدر نفســـه ،ص ٤٧٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨٦ – ٤٨٧ .

ان السياسة المالية دعامة أساسية من دعائم الدولة لاتقل شأنا عن تعبئة الجيوش ضد نصارى الشمال ، أو مقاومة الشاكرين فلاغرابة أن نجد الناصر لدين الله يباشر موضوع السكة بنفسه ويشتد في عقاب كل من يحاول التلاعب بالعملة " (١) .

ولما ابتنى الناصر مدينة الزهراء الجديدة نقل اليها دار السكة عند سكناه بها ، وعطل دار السكة بقرطبة ، وأغلق بابها ، واتخذ دار الضرب عوضها بالزهراء (٢)، وقلد أمرها الى عبد الرحمن بن يحيى بن ادريس الأصم (٣) .

لقد شهدت السكة في عصر الناصر ازدهارا ونموا كبيرا ، وكان الخليفة يوليها اهتمامه وعنايته ، ويختار لها خيار موظفيه الذين كانوا يخضعون لمحاسبة عسيرة اذا قصر أحدهم في عمله ، ودلالة على اهتمامه بأمر السكة، فقد ولاها ولي عهده فترة من الزمن .

وتشكل السكة موردا من موارد بيت المال في عصر الناصر .وبلغ دخلها مبلغا كبيرا جدا، مما أصاب ابن حوقل، الرحالة الذي زار الأندلس في سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م بالاعجاب والدهشة ، وسجل انطباعه عن ذلك بقوله :

" ومما أدل بالقليل منه على كثيره وغزيره ، أن سكة دار ضربه على الدنانير والدراهم ،ضمانها في كل سنة مائتا ألف دينار ،ويكون عن صرف سبعة عشر بدينار، ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف درهم (٤) " .

(٥) العشور :

ومن موارد بيت المال في الأندلس أيضا العشور .والعشور هي ماتفرضه الدولة على أموال التجارة الخارجة من البلاد الاسلامية، أو القادمة اليها، أو التي ينتقل بها التجار في داخل الدولة

---

(١) د. الحبيب الجنحاني ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لابن حيان ، مجلة المناهل ، العدد ٢٩ ، ص ٣٥٢ .

(٢) ابن حيان ،المقتبس ، ص ٢٤٤ .

(٣) ابن عذارى ،البيان المغرب ، ٢/ ٢١٥ .

(٤) صورة الأرض ، ص ١٠٤ .

الاسلامية[1] .

والعاشر من ينصبه الامام على الطريق ليجبى العشور وليأمنوا به من اللصوص[2] . وهناك فرق بين العشور والعشر ،فالعشور ضريبة تجارية تفرض على المنقولات ، والعشر هو الزكاة المفروضة على الخراج من الأرض، وهى ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع[3] .

وأول من وضع العشور في الاسلام ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أبو يوسف : " كتب أبو موسى الأشعرى الى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – " أن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر " قال فكتب اليه عمر " خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما ، وليس فيما دون المائتين شئ ، فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم ، ومازاد فبحسابه "[4] .

وقال أيضا أن قوما من أهل منبج – من أهل دار الحرب – وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه " دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا " قال : فشاور عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فأشاروا عليه به ، فكانوا أول من عشر من أهل الحرب "[5] .

قال أبو يوسف : " فان عمر بن الخطاب وضع العشور فلا بأس بأخذها اذا لم يتعد فيها على الناس ، ويؤخذ بأكثر مما يجب عليهم وكل ما أخذ من المسلمين من العشور فسبيله سبيل الصدقة وسبيل مايؤخذ من أهل الذمة جميعا وأهل الحرب سبيل الخراج "[6] .

وتمثل العشور موردا من موارد الخزانة العامة للدولة في

---

(١) د. يوسف محمد عبد المقصود ،الموارد المالية في الدولة الاسلامية ، القاهرة – ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ،ص ٢٩١ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٩١ .
(٣) د. عبد العزيز العلى النعيم ،نظام الضرائب في الاسلام ،بيروت – لبنان ، ١٩٧٥م ،ص ٢٨٠ .
(٤) ابو يوسف ، الخراج ،ص ١٣٥ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٣٥ .
(٦) الخراج ،ص ١٣٤ .

الأندلس كما ذكر ابن حوقل (١) .

ولقد تحدثت في مقدمة حديثي عن الموارد الاقتصادية للأندلس من الحركة التجارية التي كانت سائدة في البلاد ، وحركة الصادرات والواردات من والى الموانئ الأندلسية فكانت هذه الحركة تخضع بالطبع لضريبة العشور وتدر دخلا لابأس به للدولة .

(٦) مصادر مالية أخرى :-

وهناك مصادر مالية أخرى مثل الأموال التى تفرض على المراكب الصادرة عن الموانئ الأندلسية والواردة اليها ، والرسوم على بيوع الأسواق (٢) .

ومن الضرائب الطارئة التي كانت تفرض ضريبة العشود والبعوث لتجهيز الجيوش الغازية ، وقد ألغاها الأمير محمد بن عبد الرحمن عن أهل قرطبة ووكلهم الى اختيار أنفسهم في الطواعية للجهاد من غير بعث (٣) .

وكذلك ضريبة المغارم ، وقد أسقط الخليفة الحكم المستنصر سدس جميع مغرم الحشد الأرف حلوله على جميع الرعايا بكور الأندلس شكرا لله تعالى ، فنفذت عهوده الى القواد والعمال بكور الأندلس ، على أن يكون هذا السدس المسقط شائعا ومعروفا بين جميع الرعايا في كور الأندلس (٤) .

ومن الضرائب الأخرى ، الضريبة التي كانت تؤخذ على زيت الزيتون بقرطبة ، ولكن ولى العهد هشام بن الحكم أصدر أمرا باسقاطها في صفر من سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م فسر الناس بذلك سرورا عظيما (٥) .

---

(١) صورة الأرض ،ص ١٠٤ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٠٣ .
(٣) ابن عذارى ، البيان ،٢/١٠٩
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٠٧ .
(٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/٢٥٩ .

(٧) ميراث من لاوارث لـــــه :

ومن موارد بيت المال ميراث من لاوارث له. وتؤول ملكيتها الـــى بيت المال وتشكل موردا من الموارد المالية كماذكر ابن حوقل ، وقـــــد أنشأت الدولة خطة خاصة سميت بخطة المواريث للاهتمام بهذا الأمر (١).

(٨) الصدقات (الزكــــاة) :

الزكاة فريضة شرعية تمثل الركن الثالث من أركان الاسلام ، وقد نصت عليها كثير من آيات القرآن الكريم ، كما نصت عليها السنة المطهـرة قال تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعيــــــن" (٢) وقال تعالى :" خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهـــــم ان صلاتك سكن لهم " . الآية (٣).

وأما السنة قال النبي صلى الله عليه وسلم حينما بعث بمعـــاذ ابن جبل الى اليمن قال له : " فأعلمهم أن عليهم صدقة أموالهم فــــــان أقروا بذلك فخذ منهم واتق كرائم أموالهم " وفي رواية فأعلمهم أن اللـــه قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم " (٤).

وتجب الزكاة في الأموال المرصدة للنماء (٥) " والأموال المزكـــــاة ضربان ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة مالايمكن اخفاؤهاكالزرع والثمار والمواشي والباطنة ماأمكن اخفاؤهامن الذهب والفضة وعروض التجارة ، وليـــــــس لولي الصدقات نظر في زكاة المال الباطن ، وأربابه أحق باخراج زكاتـــه منه الا أن يبذلها أرباب الأموال طوعا فيقبلها منهم " (٦).

والأموال المزكاة أربعة : المواشي : وهي الابل والبقر والغنـــم سميت ماشية لرعيها وهي ماشية وأول نصاب الابل خمس وفيها شاة جذعـــــة

(١) أنظر ص ٣٠٤ من هذا البحث .
(٢) سورة البقرة ،الآية (٤٣) .
(٣) سورة التوبة ،الآية (١٠٣) .
(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، الأموال ،تحقيق محمد خليل هراس ، دار الفكر ، ١٣٩٥هـ ، ص ٤٩٣، ١٠٨٤ .
(٥) الماوردي ،الاحكام السلطانية ،ص ١١٣ ،أبو يعلى ،الاحكام السلطانيـــة ص ١١٥ .
(٦) نفس المصدرين ،ص ١١٣، ١١٥ .

من الضأن أو ثنية من الماعز ، والجذع من الغنم ماله ستة أشهر ، والثنى منها ما استكمل ستة الى سبعة (١) ·

وأول نصاب البقر ثلاثون وفيها تبيع ، وهو ما استكمل ستة أشهر وقدر على اتباع أمه ، وأما الغنم فأول نصابها أربعون وفيها جذعة أو ثنية من المعز (٢) ·

ولاتؤخذ الصدقة من الابل والبقر والغنم حتى يحول عليها الحول ، فاذا حال عليها الحول أخذ منها ، ويحتسب في العدد الصغير والكبير (٣).

والقسم الثاني من الأموال المزكاة : ثمار النخل والكروم ومافي معناهما ممايكال ويدخر كاللوز والفستق ويشترط في زكاتها بدو صلاحها واستطابه اكلها ، وأن يبلغ خمسة أوسق ، والوسق ستون صاعا (٤) ·

والقسم الثالث من الأموال المزكاة : الزروع : مثل البر والأرز والشعير والذرة واللوبيا والحمص والعدس والدخن والقطن وتجب الزكاة فيه بعد دياسه وتصفيته اذا بلغ الصنف منه خمسة أوسق (٥) ·

ومقدار زكاة الزروع والثمار العشر فيماسقت السماء والعيون والانهار ونصف العشر فيماسقى بالدوالي والنواضح (٦)·

والقسم الرابع من الأموال المزكاة : الذهب والفضة ، وهي من الأموال الباطنة وزكاتها ربع العشر،ونصاب الفضة مائتى درهم.والذهب عشرون مثقالا (٧) ·

أما المعادن،فهي من الأموال الظاهرة،واختلف الفقهاء فيما تجب الزكاة فيها.فأوجبها أبو حنيفة في كل ماينطبع من فضة وذهب وصفر

---

(١) الماوردى ،ص ١١٤ ، أبو يعلى ،ص ١١٦ ·
(٢) الماوردي ،ص ١١٥ ،أبو يعلى ، ص ١١٧ ·
(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٧٨ ·
(٤) أبو يعلى ، الاحكام السلطانية ، ص ١١٩ — ١٢٠ ·
(٥) الماوردى ، الاحكام السلطانية ،ص ١١٨ — ١١٩ ·
(٦) أبو عبيد القاسم بن سلام ،الأموال ، ص ٥٧٨ ، ٥٧٩ ·
(٧) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١١٩ ·

ونحاس ، وأسقطها عمالا ينطبع من مائع وحجر ، وأوجبها أبو يوسف فيمايستعمل منها حليا كالجواهر وعلى مذهب الشافعي تجب في معادن الفضة والذهب خاصة اذا بلغ المأخوذ منها بعد السبك النصاب (١) .

وهناك قسم آخر من الاموال المزكاة وهي عروض التجارة : قال أبوعبيد : " أجمع المسلمون على أن زكاة أموال التجار فرض واجب (٢) . وقال : " انما وجبت الزكاة في العروض والرقيق وغيرها اذا كانت للتجارة وسقطت منها اذا كانت لغيرها ، لأن الرقيق والعروض انما عفى عنها في السنة اذا كانت للاستمتاع والانتفاع بها ولهذا أسقط المسلمون الزكاة من البقر والابل العوامل وأما أموال التجار فانما هي للنماء وطلب الفضل فهي في هذه الحالة تشبه سائمة المواشي التي يطلب نسلها وزيادتها ، فوجبت فيها الزكاة لذلك " (٣) .

وعروض التجارة هي كل مايعد للبيع والشراء بقصد الربح فمن ملك منها شيئا وبلغت قيمته نصابا من النقود في آخر الحول ، وجب عليه اخراج زكاته ، وهو ربع عشر قيمته (٤) .

مصارف الزكاة :

عدد القرآن الكريم أوجه صرف الزكاة حيث قال تعالى " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " (٥) .

وعلى هذا فقد تحددت مصارف الزكاة وفق نص القرآن،ولايستطيع بيت المال أن ينفق مال الزكاة في غير هذه الوجوه.فهو مال يؤخذ من

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٢٠ .

(٢) أبو عبيد ، الاموال ، ص ٥٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢٥ ، رقم ١٠٢٤ .

(٤) د. يوسف القرضاوي ،فقة الزكاة ،مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/١٩٨١م،جـ١،ص ٣١٤ .

(٥) سورة التوبة ، الآية (٦٠) .

الغني ويرد الى الفقير ودور بيت المال فيه هو تنظيم جبايته عن طريق "العاملين عليها " .

وليست لدينا تفصيلات واضحة عن جباية الزكاة في الأندلس ،ولكن ثمة دليل على أن الدولة الأموية في الأندلس كانت مهتمة اهتماما كبيرا بهذا الركن الهام من أركان الاسلام .

فقد كان هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ثاني أمراء بني أمية بالأندلس من الذين اهتموا بهذه الفريضة في وقت مبكر من نشأة الدولة فأخرج متصدقا لأخذ الزكاة على ضوء الكتاب والسنة (١) .

ومعنى ذلك أن هناك تنظيما قد تم لعملية جباية الزكاة وهناك شخص مسئول عن ذلك هو المتصدق .

وجاء في كتاب الخليفة الحكم المستنصر الذى وجهه الى زعيم قبيلة كتامة أبي العيش بن أيوب ، توجيها له بأن يأخذ الزكاة من الحبوب والثمرات الموجودة بأرضهم وصدقات مواشيهم على حدودها وشرائعها غير مقصر عنها ولامتجاوز لها (٢) .

---

(١) النويرى ،نهاية الأرب في فنون الادب ،ج ٢٣ ،ص ٣٥٨ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق د. الحجي ،ص ١١٢ وتكملة كتاب الخليفة الحكم : " وذلك من الذهب والفضة ربع العشر اذا كان المال حاصلا بيد المزكى وغير خارج عنه في دين أو تجارة ، وليس فيما دون عشرين مثقالا زكاة ، ولافيما دون مائتى درهم زكاة والزكاة كلها في كل عام مرة ، وزكاة الابل في كل خمس شاة وليس فيمادون هذا زكاة الى أن تبلغ الى عشر ففيها شاتان ، فاذا انتهت الى خمس عشرة ففيهما ثلاث شياه ، واذا انتهت الى عشرين ففيها أربع شياه الى أربع وعشرين ،فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض ، فان لم توجد فابن لبون ذكر الى خمس وثلاثين ، فاذا كانت ستا وثلاثين ففيها ابنة لبون الى خمس وأربعين ،فاذا كانت ستا وأربعين ففيها حقة الى ستين ،فاذا كانت احدى وستين ففيها جذعة الى خمس وسبعين ، فاذا كانت ستا وسبعين ففيها ابنتا لبون الى تسعين ،فاذا كانت احدى وتسعين ففيها حقتان ، فاذا كانت مائة وعشرين فمازاد ففي كل اربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة وفي كل أربعين من الغنم شاة وليس فيما دون هذا العدد صدقة ،الى مائة وعشرين ، فاذا زادت شاة فشاتان الى مائتين ، واذا زادت على هذا العدد ففي كل مائة شاة واذا بلغت البقر ثلاثين ففيها تبيع ذكر وليس فيما دون هذا العدد زكاة الى أن تبلغ أربعين ففيها مسنة ، فاذا زادت على ذلك ففي كل ثلاثين تبيع وفي كل اربعين مسنة ولايجمع بين مفترق ولايفرق بين مجتمع خشية الصدقة ، وذلك أن يكون لثلاثة رجال مائة وعشرون شاة لكل واحد منهم أربعون تلزمه عنها شاة واحدة ،وأن يكون لرجلين مائتا شاة وشاة يجب عليهما فيها ثلاث شياه فاذا اظلهم المصدق فرقاها فلم يكن على كل واحد منها الاشاة والمأخوذ في الصدقة الثنى والجذع ولاتؤخذ الربي وهى التي وضعت ولا الاكولة ولافحل الغنم

هذا الكتاب وثيقة هامة ونادرة في هذا الشأن ، ولم تطالعنا المصادر خلال هذه الفترة ١٣٨ – ٣٦٦هـ بكتاب مثله وهو في الحقيقة يعطينا تصورا كاملا وواضحا للزكاة وأنواع الأموال التي تؤخذ منها الزكاة ومتى تؤخذ والنصاب ومقداره .

ونلاحظ مدى التطابق الذى جاء في هذا الكتاب مع ماذكرناه في مقدمة حديثنا عن الزكاة وماذكره الفقهاء في كتب الأحكام السلطانية والخراج والأموال .

ونستخلص من هذا الكتاب أن جباية الزكاة لم تنقطع طيلة هذه الفترة لأن الخليفة الحكم المستنصر يمثل ختام الفترة التي نتحدث عنها وان المتصدق الذي بدأ عمله منذ عهد الأمير هشام الأول ١٧٢ – ١٨٠ هـ قد استمر والى عهد الحكم المستنصر اذ وردت اشارة الى المصدق في هذا الكتاب .

= وأن تؤخذ الزكاة من جميع الحبوب المدخرة ،وليس فيما دون خمسة أوسق زكاة ،والوسق ستون صاعا والصاع أربعة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم ، فان زاد العدد على هذا كانت الزكاة فيه العشر اذا سقته السماء والعيون وان كان بعلا أو سقى بالنواضح ففيه نصف العشر ، ولازكاة في تين ولاجوز ولالوز ولا فيالفواكه كلها رطبها ويابسها وتخرج زكاة النخيل والأعناب وتخرج زكاة الزيتون من زيته اذا عصر ولازكاة على أهل الذمة رجالهم ونساءهم ولافي شيء من أموالهم ولامواشيهم انما عليهم أداء الجزية ، وان ضربوا من بلد الى بلد فعليهم العشر بعد أن يبيعوا وعليه أن يعدل في قبض الزكاة وتوزيعها على الثمانية أصناف الذين سماهم الله ، فان لم يجد في بلاده عادت حصص المفقودين منهم الى أولياء الحق الذين يجاهدون الكفار والملحدين ...... " .

ابن حيان ، المقتبس ، ص ١١٢ – ١١٣ .

الادارة المالية المركزية والاقليميـــة :-

يعد منصب متولي الخراج في الأندلس ، ومقره العاصمة قرطبـــة من أهم المناصب في الدولة ، فهو يمثل الادارة المالية المركزية يقـول ابن سعيد : " وصاحب الأشغال الخراجية في الأندلس ، أعظم من الوزيـــر وأكثر اتباعا وأصحابا وأجدى منفعة فاليه تميل الأعناق ونحوه تمد الأكـف والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار ومع هذا ان تأثلت حالته ،واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصودر ، وهذا راجع الى تقلب الأحوال وكيفيـــة السلطـــان " (١).

ويعرف صاحب الخراج في الأندلس بالخازن أو صاحب المخزن وكـــان الحاجب سفيان بن عبد ربه أول من استخزن بالأندلس اذ تولى الخزانـــة الكبرى أيام الأمير الحكم بن هشام ، وهو أول من حمل هذا الاسم وشاركـه في ذلك مرتيل المعروف بابن عفان كما ذكر ابن حيان (٢).

والخزانة من أهم خطط الدولة في عصر أمراء بني أمية ، ويتضـح من هذا النص أن ظهور هذه الخطة قد بدأ في أيام الحكم بن هشام ، ثـــم أخذت قواعدها تستقر ، ومعالمها تتحدد في عهد عبد الرحمن الاوسط .

وكانت وظيفة الخزانة أشبه ماتكون بالعمل الذى يتولاه الآن - وزراء المالية ولم يكن يعهد بهذا المنصب الى شخص واحد ، بل في كثيـــر من الأحيان ، يعهد به الى مجموعة من الرجال يرأسهم الخازن الأكبر (٣).

وكان مقر الخزانة العامة أو (بيت المال) داخل قصر الأمـارة بقرطبة وهو الذى يشتمل على الواردات العامة للدولة (٤).

وهناك بيت آخر للمال في الأندلس ، وهو الذى يشتمل على ثروة

---

(١) المقـري ، نفح الطيب ، ٢١٧/١ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكى ، ص ١٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ (الحواشى) ، وانظر المقتبس ،تحقيق الحجي ص ٣٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٢٩ ،وابن عذارى ،البيان المغرب ، ١٩٧/٢ .

(٤) د. التهامي الراجي الهاشمي ،نظم وادارة بني أمية من خلال المقتبس لابن حيان ، مجلة المناهل - الرباط - العدد ٢٩ ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٨٣ .

الأوقاف ومال الغيبة ويشرف القاضي ووكلائه عليه اشرافا مباشرا (١) وهو ملحق بالمسجد الجامع بقرطبة مقاما على أربع سواري (٢) .

أما الأموال الخاصة بالخليفة ، فقد كانت تحت اشراف " بيت مال الخاصة " (٣) وهناك موظف خاص لادارة أراضي الخليفة يسمى بصاحب الضياع (٤) .

وكان يعاون الخازن في ادارته مجموعة من جهابذة الكتاب ومدققي الحساب لمراجعة صحة الحسابات ،وتصحيح مواضع الخطأ فيها (٥) .

وأهم هؤلاء الكتاب الذين يعاونونه هو كاتب الزمام (الجهبذة) وكان يختار من بين عظماء الناس ووجهائهم (٦) .

ويوجد بالمقابل لصاحب الخراج أو الخازن ادارات فرعية في الكور والقرى والأقاليم تتولى أمر الجباية ، ويعرف الشخص الذي يتولى هذا العمل بالأمين (٧) ومهمته جباية الضرائب المختلفة ، واختزال نفقات الموظفين والاعمال العامة ورواتب الجند ، وارسال الباقي ويسمى " الفائض " أو المستفاض الى الادارة العامة بقرطبة ، وكان يتبع الأمين عدد كبير من الجباة والحساب والمشرفين وهم أشبه بالمفتشين الماليين (٨) كمايعاونهم في الجباية أشياخ أهل الذمة المعاهدين ، وهم الذين يجبون الخراج من الذميين ، اضافة الى رؤساء الأجناد الشاميين (٩) .

لقد كانت الادارة المالية الاقليمية هي المورد الرئيسي الذي

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ،ج٢ ،ص ٢٣٠ ،دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثامن ، ص ٥٢١ – ٥٢٢ ،د. التهامي الراجي الهاشمي ، نظم وادارة بني أمية ، المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .
(٢) المقري ، نصوص من الأندلس ، ص ١٢٤ .
(٣) IMAMUDDIN, Muslim Spain, P. 60.
(٤) ابن عذاري،البيان المغرب ، ١٩٩/٢ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. مكي ، طبعة بيروت ،ص ١٣٦ .
(٦) المقري ، نفح الطيب ،٢١٧/١ .
(٧) ابن الابار ، الحلة السيراء ،ج١ ،ص ٢٤٠ – ٢٤١ .
(٨) المصدر نفسه ،ص ٢٤١ ،هامش رقم (١) .
(٩) هشام أبو رميلة ،نظم الحكم في الأندلس في عصر الخلافة ،ص ٢٣٢ .

يمون الادارة المالية المركزية في قرطبة بالاموال اللازمة ،ويتجلى لنا ذلك من خلال أرقام الجباية التي كانت تجبى سنويا من بعض الأقاليم وترسل الى الخزانة العامة .

مقادير الجباية السنوية الواردة للخزانة العامة بقرطبة :

لاتوجد لدينا قوائم تفصيلية في الأندلس من مقادير الجباية السنوية الواردة للخزانة العامة كماهو الحال في بعض القوائم التفصيلية المشرقية عن دخل بيت المال السنوى في الدولة العباسية كقائمة الجهشياري أو ابن خلدون على سبيل المثال* ولكننا نجد شذرات متفرقة عن مقادير جباية بعض الكور أو المدن في عصر أمير من الامراء وأحيانا نجد مقدار الجباية السنوية جملة دون تفصيل .

ذكر المقرى : أن مبلغ خراج الأندلس الذى كان يؤدى الى أمراء بنى أمية قديما ثلاثمائة ألف دينار ، وأنه كان على كل مدينة من المدن مال معلوم يؤدى الى الخزانة (١) .

ولكن المقرى لم يحدد لنا في أى وقت كان مبلغ الجباية ثلاثمائة ألف دينار.ولكنه أشار الى أن ذلك كان قديما يؤدى الى أمراء بني أمية .

وأرجح أن هذا المبلغ كان في الفترة الأولى للأمويين بالأندلس. عصر الداخل وابنه هشام على وجه الخصوص،لأن مقادير الجباية كما سنرى في العصور التالية لهشام كانت أعلى من هذا المبلغ بكثير .

وأمدتنا المصادر ببعض أرقام الجباية السنوية في عصر الأمير الحكم بن هشام في بعض الكور والمدن .

---

* الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص ٢٨١ ،ومابعدها ، ابن خلدون المقدمة ، ص ١٧٩ ومابعدها .

(١) نفح الطيب ١٤٦/١ .

لقد بلغ مقدار الجباية من اشبيلية خمسة وثلاثين ألف ومائة دينار (١) وينبغي ملاحظة أن اشبيلية تحيط بها بعض الأقاليم والكور التابعة لها والتي يشملها هذا المبلغ من الجباية (٢) .

أما كورة شذونة وهي من الكور المجندة فقد انتهت جبايتها في عصر الحكم بن هشام الى خمسين ألفا وستمائة دينار (٣) وبلغت جباية كورة مورور احدى وعشرين ألف دينار (٤) وبلغت جباية كورة لبلة خمسة عشر ألفا وستمائة (٥) .

أما قرطبة وأقاليمها وكورها فقد ذكر أبوعبيد البكري جبايتها في عصر الحكم بن هشام فقال " وبقرطبة أقاليم كثيرة وكور وكانت جباية هذه الأقاليم في أيام الحكم بن هشام ، الحشد وناض الطبل ،وناض البيزرة للعام مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، ومن وظيفة* القمح مديا** أربعة آلاف وستمائة مدي وأربعون مديا ، ومن الشعير سبعة وأربعون ألف مدي " (٦) .

ومن هذا النص يتضح لنا أن الجباية اما كانت نقدا بالدنانير أو عينية بالمدى .

وجبى من كورة البيرة في أيام الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن مائة وتسعة آلاف وستمائة وثلاثة دنانير وألفا رطل حرير ، وألفا رطل

---

(١) أبو عبيد البكري ،جغرافية الاندلس ،ص ١١٥ — ١١٦ ،العذري ،نصوص عن الاندلس ، ص ١٠٩ المقري ،نفح ،١٥٨/١ ،وحدد العذري المبلغ بخمسة وثلاثين الف وتسعة وتسعون دينارا ،وخمسة دراهم ونلاحظ مدى دقة العذري في ذكر النص .

(٢) العذري ،نصوص عن الاندلس ،ص ١٠٩ ،المقري ،نفح ،١٥٨ ،والاقاليم التابعة لاشبيلية كما ذكرها العذري هي : اقليم المدينة ،اقليم آلية ،اقليم السهل ،اقليم للبو ،اقليم البصل ،اقليم طالقة ،اقليم الشرف ،اقليم الوادي ،اقليم طشانة ،اقليم الفحص ،اقليم قطشانة ،اقليم المنتجير ص ١٠٩ .

(٣) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ،ص ١٠١ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ١٨٨ .

(٥) المصدر نفسه ،ص ١٦٩ .

* الناض والوظيفة : كانت الضرائب على المنقولات في الاندلس تجبي نقدا أو عينا فاذا بيعت نقدا سميت الناض واذا بيعت عينا سميت وظيفا وكان الناض في الاندلس يعتبر ضريبة خاصة بالجيش ولهذا سميت احيانا بالناض للحشد والطبل ضريبة شخصية كان الناس يؤدونها عينا وتعتبر معونة مالية للدولة في مقابل الاعفاء من الخدمة العسكرية .
أنظر : د. حسين مؤنس فجر الاندلس ص ٥٨٠ ،هامش ٢ ،٣٠٢ ،وانظر :
IMAMUDDIN , Muslim spain , page 68.

** المدى القرطبي زنته ثمانية قناطير انظر ابن غالب فرحة الانفس ص ٣٠١ .

(٦) جغرافية الاندلس ،ص ١٠٥ .

عطر ، ومن قلة المعادن اثنان وأربعون ألفا ، ومن قلة أرحية ألف دينار ، وألف ومائتا قسط زيت (١) .

وبلغت جباية كورة الجزيرة ثمانية عشر ألفا وثمانمائة وثلاثة وسبعين دينارا وستة دراهم (٢) .

ويلاحظ من مقادير الجباية التي أوردناها في عصر الحكم ابن هشام لبعض الكور التي اسعفتنا المصادر بذكرها ، أن الكور المجندة اشبيلية - ألبيرة - شذونة - الجزيرة إضافة إلى أقاليم قرطبة ، كانت هذه الكور تمد الخزانة العامة بمبالغ كبيرة جدا .

وعلى ضوء الأرقام السابق ذكرها ، يمكننا عمل جدول لمعرفة الدخل الكلي لخزانة الدولة في عصر الامير الحكم بن هشام بصورة تقريبية ، على الرغم من نقص أرقام جباية الكثير من الكور .

	الكورة	مقدار الجباية بالدنانير	ملاحظات
١	اشبيلية	٠٣٥ر١٠٠	
٢	شذونة	٠٥٠ر٦٠٠	
٣	مورور	٠٢١ر٠٠٠	
٤	لبلة	٠١٥ر٦٠٠	
٥	قرطبة وأقاليمها	١٢٠ر٠٠٠	من النقد فقط
٦	ألبيرة	١٠٩ر٦٠٣	من النقد فقط
٧	الجزيرة	٠١٨ر٨٧٣	
جملة الجباية		٣٧٠ر٢٧٦ دينارا	

ويتضح لنا من الجدول أن دخل الدولة كان كبيرا في هذا الوقت المبكر من عصر الأمارة على الرغم من عدم الاستقرار الذي شهده عصر الحكم ، وعلى الرغم من عدم احتواء القائمة لأرقام كثير من جبايات الكور الأخرى .

(١) العذري ، ترصيع الاخبار ، ص ٩٣ .

(٢) العذري ، ترصيع الاخبار مخطوط ، ص ٤ ، تحقيق الاهواني ، ص ١٢٠ ، الحميري صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٢٠ ، ولم تحدد هذه المصادر في أي عصر كان مبلغ الجباية في كورة الجزيرة ثمانية عشر ألفا .

وانتهت مقادير الجباية في عصر عبد الرحمن الأوسط الى مليون دينار في السنة (١) وكانت قبل ذلك لاتزيد على ستمائة ألف دينار (٢) .

وهذا مبلغ كبير للغاية يدلنا على مدى الثراء الذى وصلت اليه الدولة في عصر عبد الرحمن الأوسط ، كما أنه يدلنا على مدى الاستقرار للأوضاع الداخلية وانتظام الجباية بشكل كبير .

ولانجد ذكرا لمقادير الجباية في عصر الأمارة بعد عصر الأوسط ، ولكن هناك مقادير للجباية وردت مجملة دون تحديد لها هل هي في عصر الأمارة أو الخلافة وكأن الجباية كانت ثابتة على مدى هذه الفترة .

لقد ذكر مؤلف مجهول أن باقليم (أى مريم) من أقاليم قرطبة أثنا عشر حصنا وستة عشر برجا ومائة وثلاثة عشرة قرية عليها جملة من الوظائف المخزنية في كل سنة مائة وثلاثة آلاف وثلاثة وعشرين دينارا (٣) .

وأورد العذرى قائمة بعدد أقاليم قرطبة ،وذكر أن بقرطبة خمسة عشر اقليما ، غير أنه لم يذكر سوى اثنى عشر اقليما، وعدد مقادير الجباية فيها. وهذه الأقاليم هي :-

اقليم المدور :

عدد قراه في المغارم (٤) تسعون قرية منها في العشور ثلث (..) *

القمح : ٨٥ مديا و ٤ أقفزة .

الشعير : ١٥١ مديا و٨ أقفزة .

الناض : ٣٩٨٠ مثقالا

الطبل للعام : ٤١٤٠ دينارا .

الصدقة والبيزرة : ٤١٢ دينار و ٤ دراهم .

---

(١) ابن سعيد المغرب ، ٤٦/١ ،المقرى ،نفح ،١٥٨/١ .

(٢) المقرى ،نفح ،١٥٨/١ .

(٣) مجهول ، وصف جديد لقرطبة ،تحقيق د. حسين مؤنس ،ص ١٨١ .

(٤) جمع مغرم والمغرم تسمية عامة تطلق على الضرائب غير الشرعية د. حسين مؤنس ،فجر الاندلس ،ص ٥٨٠ ،هامش رقم (١) .

* هناك نقص في النص الذى أورده العذرى .

اقليم اللصب :

القرى في الوظائف سبعة وثمانون ... منها في العشور ستة وخمسون .

القمح : ١٤٢ مدى .

الشعير : ١١١ مدى .

الطبل للعام : ٢٧٠٠ دينار و ٤ دراهم .

الناض للحشد : ٤٧٧٢ مثقالا .

الصدقة والبيزرة : ٢٠٣ دنانير و ٤ دراهم .

اقليم لوره :

القرى أربعة وستون قرية منها للعشور ..

القمح : ١٧٣ مديا و ١٠ أقفزة .

الشعير : ٣٠٠ مدى .

الناض للحشد : ٢٤٧٢ مثقالا .

اقليم الصدف :

القرى ثمانية وعشرون قرية منها للعشور ....

القمح : ٨٩ مديا و ١١ اقفيزا .

الشعير : ١٩٣ مديا .

الناض : ٤٧٥ مثقالا ، الصدقة .

الطبل للعام ٥٥ .. و $\frac{٢}{٧}$

اقليم بنى مسرة :

القرى سبع عشرة قرية .

القمح : ١١٧ مديا .

الشعير : ٢٧٤ مدى وثلاثة اقفزة .

اقليم منيانة :

القرى ست وعشرون قرية .

القمـــح : ١٢١ مديـــا .

الشعيـــر : مائتان وثمانية وعشرون مديا وستة اقفزة .

الناض للحشد : ٧٠٠ مثقال .

اقليم كرتـــش :

القرى ستون قرية ، منها للعشور ثلاثون قرية .

القمـــح : ٢٢٠ مدى .

الشعيـــر : ١١٦ مديـــا و ٦ اقفزة .

الناض للحشد : ٧٣٠ مثقالا .

الطبل العام : ١٧٨٢ دينارا و ٤ دراهم .

الصدقة البيزرة : ٤٩ دينارا و٤ دراهم .

اقليم القتـــــال :

القرى ثمان وأربعون قريـــــــة .

القمـــح : ١٢١ مديـــا

الشعيـــر : ١١٨ مـــدى و ١٠ آقفـــزة .

الناض للحشد :ثمانمائة دينـــــار .

اقليم الهرهـــــــان :

القـــرى ثلاث وسبعون قريـــة .

القمـــح : ١٢١ مديـــا و٧ اقفـــزة .

الشعيـــر : ٢٦٦ مديـــا و ٧ آقفـــزة .

الناض للحشد : (٨٠٠) وثمانية وستون مثقالا .

الطبـــــل : ٤٤٨٩ دينارا .

الصدقـة البيزرة : ١٤٨ دينارا و ٤ دراهم .

اقليم وابه الملاحـــــة :

القرى اربعة وثمانون قريـــــة .

القمــــح : ٦١٤ مديـا و ٥ أقفــزة .

الشعيـــر : ٧٢٠ مديا و ٦ أقفــزة .

الناض للحشد : سبعمائة واثنان وسبعون مثقالا .

الصدقة الطبل للعام : ١٢١ ٠٠٠ درهم و $\frac{٥}{٧}$

اقليم وابه الشعــراء :

القرى اربع وتسعون قريــة .

القمــــح : ٨٣٠ مديــا

الشعيـــر : ١٠٥١ مديـاو ١١ قفيزا .

النـاض للحشد: ٩٩٨ مثـقـالا .

اقليم أولبة السهــلــة :

القرى مائة واثنان قريــة .

القمــــح : ٧٠٠ مدى و ٤ أقفــزة .

الشعيـــر : ١٢٢٢ مديـا

النـاض للحشد: ٧٢٣٨ مثقـالا .

الصدقـــة : ١٨٤٠٠٠ دينارا و $\frac{٣}{٧}$

البيــزرة : ٥١١ دينــارا .(١)

ومن هذا البيان يتضح أن الأقاليم كانت محددة تحديدا دقيقـا بماعلى كل منها أن تؤديه من الجبايات،وهذا التحديد لايذكر ماعلى كل قرية ان تؤديه بل يذكر جملة ماينبغي أن يؤديه كل إقليم في مجموعـة من اصناف الضرائب،فكل إقليم يضم عددا من القرى ،وهناك قرى تدفـع العشور،وهي بطبيعة الحال قرى الحبوب والزراعات ، وقرى تؤدى جبايـات بحسب طبيعة انتاجها،وهي نواحي الثمار والأشجار والزيتون والغابـات والمعادن ومااليها .(٢)

(١) العذري ،نصوص عن الاندلس ، ص ١٢٤ - ١٢٧ ويبدو ان الثلاثة اقاليـم الاخرى قد سقط ذكرها في نهاية الحديث عن قرطبة لأن هناك طمـا فـي النهاية كما ذكر المحقق .

(٢) د. حسين مؤنس ،فجر الأندلس، ٥٨٣، ٥٨٤ .

ويتضح لنا أيضا من هذا البيان مدى ضخامة الجباية النقدية والعينية التي كانت تسهم بها أقاليم قرطبة للخزانة العامة للدولة .

ولكن مقادير الجباية كانت تقل بدرجة كبيرة في أثناء الفتن والثورات ، ويحدث أن يمتنع كثير من الناس عن أداء الخراج ، كما هو الحال في عصر الأمير عبد الله (١) .

كما تقل مقادير الجباية في سنوات القحط والجفاف التي ضربت الأندلس مرارا ففي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م ،في عصر عبد الرحمن الاوسط عم القحط الأندلس ، واحترقت الكروم ، وكثر الجراد ، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة (٢) وكذلك حدثت مجاعة في سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م في عصر الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكان أثرها شديدا على الناس (٣) وفي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م حدثت مجاعة في عصر الأمير عبد الرحمن بن محمد ، واشتد الغلاء وبلغت الحاجة والفاقة بالناس مبلغا عظيما (٤) .

وكان من الطبيعي أن تقل الجباية في مثل هذه الظروف فكانت الدولة تبذل ما عندها من اجل اغاثة المنكوبين والمتضررين (٥) .

ولجأ الأمير محمد بن عبد الرحمن في بعض السنين المجحفة الى اسقاط ثلث العشور من أهل قرطبة (٦) .

وبلغت الجباية أعلى معدل لها منذ نشأة الدولة الأموية في الأندلس ، في عصر عبد الرحمن الناصر فقد بلغ مقدارها من الكور والقرى خمسة ملايين وأربعمائة وثمانين ألف دينار ، ومن السوق والمستخلص سبعمائة وخمسة وستين ألف دينار (٧) .

---

(١) انظر النويري ،نهاية الأرب ،ج ٢٢ ،ص ٣٩٥ — ٣٩٦ ،مجهول ،اخبار مجموعة ،ص ١٣٣ .
(٢) ابن حيان المقتبس ،تحقيق د. محمود علي مكى ،طبعة بيروت ،ص ١ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٣٤٣ .
(٤) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق ب — شالميتا ،ص ١٠٩ — ١١٠ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٠٩ — ١١٠ .
(٦) ابن حيان المقتبس ،طبعة بيروت ،ص ٢٧٤ .
(٧) ابن عذاري ،البيان المغرب ،٢/٢٣١ — ٢٣٢ ،المقرى ،أزهار الرياض ،٢/٢٧١ ،نفح الطيب ،٢/٥٢٥ ،ابن الكردبوس ،تاريخ الاندلس ،ص ٥٩ ،ابن ابي دينار ،المونس ، ص ٤٥ ،محمد لبيب البتنوني ، رحلة الأندلس ص ٥٣ " ولم يشر كل من ابن الكردبوس وابن أبي دينار الى مقدار السوق والمستخلص " .

والمستخلص عبارة عن الأموال التي تجبى من الأرض السلطانية (١)

وذكر مؤلف مجهول : أن قرطبة وأحوازها قد انتهت جبايتها في أيام الخلفاء الناصر لدين الله والحكم المستنصر وهشام وحاجبه المنصور الى ثلاثة ملايين دينار . (٢)

وذكر ابن حوقل:أن أحد الثقات الذين لهم علاقة بالادارة المالية، حدثه بأن مقدار مافي بيت المال من الأموال في عصر الناصر،قريبا من عشرين مليون دينار ، وذلك في سنة ٣٤٠هـ ،دون مافي خزائنه من الأموال من المتاع والحلي المصوغ وآلة المركب . (٣)

وتضاعفت مقادير الجباية السنوية بشكل كبير في عصر الحكم المستنصر ، اذ بلغت ثمانية ملايين دينار حاشا الاطعمة . (٤)

لقد شهد عصر الخليفة الناصر وابنه الحكم المستنصر ازدهارا ونموا ماليا كبيرا وذلك لاستقرار الأوضاع الداخلية في البلاد ، فانتظمت الجباية السنوية وزخر بيت المال بهذه المقادير الكبيرة من الأموال .

وهكذا نرى أن هذه الموارد المالية بمختلف أنواعها قد أثرت خزانة الدولة في الأندلس بالأموال ثراء كبيرا ، ولم يحدث للدولة عجز مالي خلال هذه الفترة،ماعدا فترة الأمير عبد الله ، وقد ساعد هذا الثراء الدولة في تنفيذ كثير من المشروعات العمرانية،كبناء المساجد،والمدن والمرافق العامة الأخرى ، كما ساعد على إعداد الجيش الاسلامي وتسليحه ووضعه في حالة استعداد دائم للجهاد الاسلامي،الى غير ذلك من النفقات الأخرى،التي سنتناولها في المبحث القادم الخاص بمصارف بيت المال .

---

(١) IMAMUDDIN, Muslim Spain, P. 60.

(٢) وصف جديد لقرطبة ، ص ١٧١ .

(٣) صورة الأرض ، ص ١٠٧ .

(٤) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ١٢١ .

(المبحث الثاني)

مصارف بيت المال

المبحث الثاني

مصارف بيت المال :ـ

تحدثت في المبحث السابق عن مدى الثراء الذى تمتعت به الخزانة العامة للدولة في الأندلس من مواردها المالية المختلفة، وما امتازت به الأندلس من ثروات اقتصادية ضخمة. وسأتناول في هذا المبحث، أوجه الصرف لهذه الأموال كما أوردتها المصادر .

لقد ساعدت هذه الموارد المالية الضخمة الدولة على تنفيذ كثير من المشروعات العمرانية الضخمة، إضافة إلى الاعداد العسكري المستمر لرجالها ، وغير ذلك من الأمور التي تتطلبها الدولة فبرزت الأندلس بوجه حضاري مشرق .

كانت الدولة في عصر الأمارة تقسم أموال الجباية الى أثلاث: ثلث للجند ، وثلث ينفق في النوائب والأمور العامة ، وثلث مدخر لحادثات الأيام (١) . وفي عصر الخلافة كان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مدخر (٢) .

وعليه فقد كانت مصارف الدولة تشتمل على :ـ

(أ) النفقات العسكرية .

(ب) المنشآت العمرانية .

(جـ) أرزاق عمال الدولة ونفقات أخرى .

وجزء يوضع في خزينة الدولة كاحتياطى لوقت الأزمات .

النفقات العسكرية :ـ ***(أ) نفقات الجند .***

كان من الطبيعي أن يأتي الانفاق العسكري في الأندلس في مقدمة نفقات الدولة لطبيعة الأندلس الجهادية .

وإذا كان دخل الدولة قد بلغ مليون دينار سنويا في عصر الأمارة ، (عصر عبد الرحمن الأوسط) وبلغ خمسة ملايين وأربعمائة

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٢٨٨/٤ ، المقرى ، نفح ، الطيب ، ١٤٦/١ .
(٢) المقرى ، أزهار الرياض ، ٢٧١/٢ ، نفح الطيب ، ٥٢٥/٢ .

وثمانية آلاف دينار ، في عصر الناصر ، وكان ينفق من هذه الأموال الثلث على الجند ، فان ذلك يعكس لنا مدى ضخامة الأموال التي كانت تصرف على الجند من مؤونة وسلاح ودواب وأرزاق للجند ، اضافة الى انشاء الاساطيل البحرية التي بلغت حوالي ثلاثمائة مركب في عصر عبد الرحمن الأوسط (١) .

وكانت الثورات الداخلية التي تحدثنا عنها في مبحثي الامارة والخلافة تكلف الدولة كثيرا من الأموال والجنود لدرجة أن الأموال قد قلت في عصر الأمير عبد الله لكثرة الثورات والانفاق على القضاء عليها من قبل الدولة (٢) وكذلك سنرى مدى ضخامة الأعمال العسكرية الجهادية التي قامت بها الدولة ضد النصارى المحيطين بها والتي كلفت الدولة بلاشك أموالا طائلة جدا .

واذا كان ثلث موارد الدولة المالية يذهب في الانفاق العسكري فان هذا الأمر يبدو معقولا الى درجة كبيرة .

(ب) بناء الأسوار والقلاع والحصون :

وتدخل ضمن النفقات العسكرية بناء المدن العسكرية، والحصون والقلاع والاسوار، فقد بنى الأمير عبد الرحمن الداخل سورا حول مدينة قرطبة في سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧م ، تحصينا لها من أي غزو خارجي (٣) .

وبنى الأمير عبد الرحمن الأوسط سورا حول مدينة اشبيلية تحصينا لها من المجوس الذين أغاروا على المدينة في سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م فأسسها بالحجارة (٤) .

وبنى الأمير محمد بن عبد الرحمن حصن استيرش لغلال مدينة سالم وبنى لأهل ثغر طليطلة حصن طلمنكة وحصن مجريط وحصن بنه فراطة (٥) .

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، ٤٩/١ .

(٢) انظر ابن خلدون ، العبر ، ٢٨٨/٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٤ ،ص ٥٦٧ ، المقري ،نفح الطيب ، ٥٤٦/١ .

(٤) ابن سعيد ، المغرب ، ٤٥/١ ، ٤٩ ، الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ص ٢٠ .

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ١٣٢ .

وبنى عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م ، قلعة خليفة بثغر طليطلة ، وحصنها وأنزل بها الرجال والعدة والذخائر ، كما بنيت مدينة مكتان الخراب بثغر الجوف في هذه السنة أيضا وحصنت من الجهات السهلة . (١)

(جـ) بناء المدن العسكرية :

وفي سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م أعاد الناصر بناء مدينة سالم بالثغر الأوسط الشرقي ، وكانت معطلة وتواجه بلدة قشتيلة النصرانية ، وأمر الناصر قوا د الثغر بالاجتماع لبنائها فنفذ الامر وبنيت أحسن بناء ، وصارت شجا في حلوق الكافرين . (٢)

ومن المدن العسكرية الهامة التي بنيت في عصر الناصر مدينة المرية ، وذلك لأن المجوس لما قدموا المرية وتطوفوا بساحل الأندلس والعدوة ، فاتخذها العرب مرأى وابتنت بها محارس ، وكان بناؤها في سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م ، وعليها سور حصين منيع بناه الناصر . (٣)

(د) تأليف القلوب :

ويدخل ضمن الاتفاق العسكرى أيضا تلك الأموال التي تبذل على أهل العدوة من البربر الذين سعت الدولة في عصر الخلافة الى عزلهم عن اتباع المذهب الشيعي ،وجعلهم موالين للدولة الأموية بالأندلس ،فكان زعماؤهم يأتون الى قرطبة يقدمون الولاء والطاعة للخليفة ، ويلتزمون بمحاربة المذهب الشيعي بالمغرب وكذلك كانت الدولة ترسل بعض الاشخاص للاتفاق على زعماء القبائل بالعدوة .

ففي سنة ٣٤٣ هـ/ ٩٥٤م خرج القائد حميد بن يصل المكناس الذي كان مستأمنا لدى الناصر بالجيش الذى ضمه اليه الى بلاد المغرب ومعه القرشي السليماني الذى كان اميرا على مدينتي تنس وأرشقول ومابينهما من أرض أفريقية فأخرجه عنها قواد الشيعي ، فخرجا من بين يدي الناصر بعد أن خلع عليهما الخلع الفاخرة ودفع لحميد سبعة عشر ألف دينار

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق . شالميتا ص ٤٥٦

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨٣ .

للنفقة على الجند ومعه سبعة أحمال من الكسوة[(١)] .

وفي هذه السنة أيضا وصل الى الناصر وفد أزدواجة من البربر الذين انحاشوا الى الطاعة فكساهم الناصر ووطلهم[(٢)] .

وفي سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م خرج قاسم بن عبد الرحمن الى حميد ابن يصل قائد الناصر بالغرب محملا بأحد عشر حملا من المال وأحمال العدة تقوية على الذب عن الدولة المروانية بالغرب[(٣)] .

وفي عصر الحكم المستنصر استمرت سياسة تأليف قلوب القبائل البربرية والوفود القادمة من العدوة واغداقهم بالأموال الجمة والكسى لكسبهم الى جانب الدولة الأموية ونبذ اتباع الدعوة الشيعية .

ففي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م فارق جعفر بن على المعروف بابن الاندلسى عامل المسيلة ومايليها من بلاد المغرب لامامة معد بن اسماعيل الشيعي ومعه اخاه يحى ، وتقربا الى الحكم المستنصر وخلعا الدعوة الشيعية وتوصلا الى الحكم المستنصر بقرطبة فأكرم وفادتهما وأمر لكل واحد منهما بألف دينار في الشهر وسبعون مديا من القمح لنفقاتهما في الشهر توسعة عليهما واغداقا في الافضال عليهما ، وأجرى على بنى خزر من الدنانير والقمح والعلوفة مايفيض ولايغيض[(٤)] .

وفي ذي الحجة سنة ٣٦١هـ/٩٧١م بعث الحكم بأحمال الأموال والكسى الى الوزير القائد بالعدوة محمد بن قاسم بن طملس للنفقات على الحروب المشبوبة هناك وكان عددها خمسة وعشرين حملا وتوالت الاحمال الى العدوة في كل حين[(٥)] .

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢١٩/٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢١٩/٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٢١/٢ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

وفي سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م بعث الحكم الى الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن بالعدوة بعشرة آلاف دينار لصلات الخارجين اليه من وجوه القبائل المنحرفين من المخذول حسن بن قنون ، يوزعها لهم حسب مقاديرهم استئلافا لهم واستصفاء لبصائرهم (١) .

وفي العام نفسه بعث الى الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن بصلات وكسى وسلاح لتوزيعها الى بعض أعالى رجال الحسنيين وغيرهم من وجوه البرابرة بلغت جملتها خمسة عشر ألفا وخمسمائة دينار تـوزع عليهم بحسب مقاديرهم (٢) .

ولما وفد على المستنصر عدد من أمراء البربر من العدوة، (رمضان سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م) عهد الى الوزراء بالقعود في بيتهم،وذلك لمشاهدة توزيع الصلات والكسى عليهم،والتى أمر بها لهم ، فدعى بزعيم البربر أبى العيش بن أيوب بن بلال رئيس كتامة ، فدفعت اليه عدة خرائط من المال وأعداد من صنوف الخلع الرفيعة وكذلك خلع على ابنه خلعا رفيعة فخرجا وبين أيديهما خرائط المال ، ثم دعى ببقية الرؤساء أولا فأولا فأسلمت اليهم صلاتهم وخلعهم (٣) .

وفي صدر شوال من عام ٣٦٢هـ / ٩٧٢م بعث الحكم بثقته محمد بن عبد الله ابن أبى عامر الى العدوة بأحمال مال وحلى وخلع لتوزيعها على المتمالين من أكابر البرابر (٤) .

وهكذا نرى أن الدولة الأموية في صراعها مع الفاطميين بالمغرب قد انفقت كثيرا من الأموال النقدية والعينية ، التى وزعت على زعماء القبائل البربرية وغيرها بالمغرب ، استئلافا لهم ، وابعادا لهم من الولاء للمذهب الشيعي وقد كانت سياسة الاستئلاف هذه سياسة ناجحة أكسبت الدولة كثيرا من العناصر التي كانت موالية للفاطميين بالعدوة .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

(ب) المنشـــآت العمرانيـــة : (أ) **المساجد** :

اهتمت الدولة الأموية بالأندلس بانشاء المساجد اهتماما كبيرا منذ أن تأسست فقد ذكر المقرى أن مساجد قرطبة بلغت في أيام عبد الرحمن الداخل أربعمائة وتسعين مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا (١) .

المسجد الجامع بقرطبـــة :ـ

من أهم المنشآت العمرانية التي أنفق عليها الأمويون الأندلسيون أموالا طائلة ، المسجد الجامع بقرطبة الذى لايزال قائما حتى اليوم يحكى للأجيال عظمة الدولة الاسلامية في الأندلس أيام مجدها .

فقد ذكر ابن عذارى : أنه لما دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس وسكن قرطبة نظر في أمر المسجد الجامع وتوسيعه واتقان بنائه فأحضر أعاجم قرطبة وسألهم بيع الجزء المتبقى من كنيستهم الملاصقة للمسجد ، وأوسع لهم البذل فيه وفاء بالعهد الذى صولحوا عليه ، وكان المسلمون قد شاطروهم كنيستهم عند فتح الأندلس ، وأباح لهم الداخل بناء كنائسهم التى كانت هدمت عليهم وقت الفتح بخارج قرطبة ، فخرجوا عن هذا الشطر ، فشرع عبد الرحمن بن معاوية في هدم الكنيسة وبناء المسجد في سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م ، واكتمل بناؤه في سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م وكان جملة ما أنفقه عليه ثمانين ألف دينار (٢) ، ويروى أنه اشترى موقع الكنيسة بمائة ألف دينار (٣) .

ولما جاء الى الحكم ، هشام بن عبد الرحمن زاد أيضا في المسجد الجامع وجدده ، وأنفق على زيادته من خمس فىء أربونة (٤) ولقد ذكرت في المبحث السابق أن خمس فىء أربونة بلغ خمسة وأربعين ألفا وذلك في سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م كما زاد الأمير هشام مئذنة بلغ ارتفاعها أربعين ذراعا الى موضع الآذان وأضاف بآخر المسجد سقائف لصلاة النساء اضافة الى الميضأة (٥) .

---

(١) نفح الطيب ، ٥٤٠/١ .
(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٢٩/٢ ، المقرى ، نفح ، ٥٦٠/١ – ٥٦١ .
(٣) المقرى ، نفح ، ٥٤٦/١ .
(٤) المقرى ، نفح ، ٥٦١/١ .
(٥) ابن عذارى ، البيان ، ٢٢٩/٢ .

وظل المسجد بهيئته الى عصر عبد الرحمن بن الحكم الذى زاد فيه زيادة كبيرة ، ثم أصبح كل أمير يأتي الى الحكم يزيد في توسعة المسجد ، فلقد أنفق الناصر في الزيادة على المسجد وتوسعته سبعة أمداد وكيلين ونصف من الدراهم القاسمية (١).

أما الحكم المستنصر فقد أنفق على توسعة المسجد مائتين وواحد وستين ألفا وخمسمائة وسبعة وثلاثين دينارا ودرهم ونصف (٢) أما المنبر فقد بلغت تكلفته خمسة وثلاثين ألفا وسبعمائة وخمسة دنانير وكان تمامه في خمسة أعوام (٣).

وكان انفاق الحكم المستنصر على هذه التوسعة كلها من الأخماس (٤) أما رواتب الأئمة والخطباء والمؤذنين والقائمين على أمر المسجد على اختلاف منازلهم فقد بلغت جملتها ثمانمائة دينار في الشهر (٥).

مساجد أخرى :-

من المساجد الأخرى التي بنيت ابان العصر الأموى ، المسجد الجامع باشبيلية ولقد بنى في عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٦) ،ومسجد جيان وبنى أيضا في عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم على يد عامله عليها ميسرة ، والمسجد الجامع بالبيرة وهو من تأسيس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم وبنى على يد عامله عبد الله بن عبد الله في ذي القعدة سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤م (٧).

ومسجد بطليوس الذى بناه عبد الرحمن بن مروان الجليقي باذن من الأمير عبد الله (٨).

---

(١) ابن عذارى ،البيان ،٢/ ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) المصدرنفسه ٢/ ٢٤١ ،٢/ ٢٤١ ،المقرى ،نفح الطيب ،١/ ٥٦٢ ،ابن غالب الأندلسي ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٩ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/ ٢٥٠ .

(٤) المقرى ،نفح ، ١/ ٥٤٧ .

(٥) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٩ .

(٦) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٢٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

(٨) الحميرى ،صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٦ .

وكذلك مسجد الزهراء الذى بنى في عصر عبد الرحمن الناصر وكان يعمل فيه حين شرع في بنائه من حذاق الفعلة ألف شخص كل يوم منهم ثلاثمائة بناء ومائتا نجار وخمسمائة من الأجراء من سائر الصنائع وقد كمل بنيانه في ثمانية وأربعين يوما (١) .

أما جامع طرطوشة فقد بنى في عصر الناصر في سنة ٣٤٥هـ (٢) وطبقا لماذكره ابن حوقل فان جميع الكور والمدن الأندلسية بها مساجد حسنة تقام فيها الصلوات الخمس وليس بجميع مدنها مسجد خراب (٣) .

لقد اهتم الأمويون أيما اهتمام ببناء المساجد وعمارتها والنفقة عليها بسخاء من بيت مال المسلمين ، وقد شهد هذا العصر حركة انشاء واسعة للمساجد في كل المدن والكور الأندلسية ولانكاد نجد مدينة ليس بها مسجد ، وقد ذكر مؤلف مجهول أن بخارج قرطبة وحدها ثلاثة آلاف قرية في كل منها منبر يخطب عليه فقيه مشاور (٤) .

وهذا الرقم على الرغم من المبالغة فيه الا أنه يقف دليلا على مدى الاهتمام الكبير بانشاء المساجد وعمارتها خلال هذه الفترة .

(٢) بناء المدن :-

وجه الأمويون عنايتهم أيضا الى بناء عدد من المدن الجديدة مثل مدينة مرسية التى بنيت في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذت دارا للعمال وقرارا للقواد والذى تولى بنيانها هو جابر بن لبيد في سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥م (٥) ومدينة تطيلة التى اختطت في عصر الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (٦) .

---

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ص ١٠٠ .

(٢) المقرى ، أزهار الرياض ، ٢/٢٦٥ ، نفح ، ١/٥٦٤ .

(٣) صورة الأرض ، ص ١١١ .

(٤) وصف جديد لقرطبة الاسلامية ، ص ١٧٠ .

(٥) العذري ، ترصيع الأخبار ، مخطوط ، ص ٧ .

(٦) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٣ .

ويذكر ابن عذارى أن الحكم المستنصر أنفذ في سنة ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م أحمد بن نصر لبنيان مدينة بثغر طليطلة وتشييدها وتوثيق أمورها وجعل بين يديه أحمال أموال .(١)

أما أهم مدينة بنيت في هذا العصر وكلفت خزانة الدولة أموالا طائلة فهي مدينة الزهراء التي ابتدأ الناصر بنيانها في سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦م ، وتقع على سفح جبل أملس يعرف بجبل بطلش وخط فيها الأسواق ، وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمتنزهات ، واجتلب اليها العامة بالرغبة ، وأمر مناديه بالنداء في جميع أنحاء الأندلس ألا من أراد أن يبني دارا ، أو أن يتخذ مسكنا بجوار السلطان فله من المعونة أربعمائة درهم ، فتسارع الناس الى العمارة بها .(٢)

قال ابن حيان : " ألفيت بخط ابن دحون الفقيه ، قال مسلمة ابن عبد الملك العريف المهندس : بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بنيان الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وكان مبلغ ماينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدل ستة آلاف صخرة سوى الصخر المصرف في التبليط ، فانه لم يدخل في هذا العدد ، وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل وقيل أكثر ، منها أربعمائة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دواب الأكرياء الراتبة للخدمة ألف بغل لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر ، يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجيار والجص في كل ثالث من الأيام ألف ومائة حمل "(٣)

وكان يتصرف في عمارتها كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل منهم من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة .(٤)

وجلب الناصر الرخام اليها من قرطاجنة أفريقية ومن تونس،

---

(١) البيان المغرب ، ٢٣٦/٢ .
(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٠٧ .
(٣) ابن حيان برواية المقري ، أزهار الرياض ، ٢٦٩/٢ ، نفح ٥٦٧/١٠ — ٥٦٨ ، ابن غالب الأندلسي ، فرحة الأنفس ، ص ٣٠٠ .
(٤) المقري ، نفح ، ٥٢٦/١ .

وكان الناصر يصل الأمناء الذين جلبوه على كل رخامة ثلاثة دنانير وعلى كل سارية ثمانية دنانير سجلماسية ، وكان فيها من السواري أربعة آلاف وثلاثمائة وثلاثة عشر سارية ، المجلوبة منها من أفريقية ألف وثلاثة عشر سارية .(١)

وقدرت النفقة في الزهراء كل عام بثلاثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدأها .(٢)

والواقع أن بناء مدينة الزهراء قد كلف خزانة الدولة مبلغا كبيرا من المال ، حتى أن بعض المؤرخين ذكروا أن الناصر كان ينفق ثلث الجباية على بناء مدينة الزهراء .(٣)

وأشار بعض المؤرخين الى جملة الانفاق بالأمداد فقد ذكر ابن الكردبوس أن جملة ما أنفقه الناصر على بنائها بلغ خمسة وثمانين مدا من الدراهم القاسمية .(٤)

وذكر ابن غالب أن مبلغ النفقة من الدراهم القاسمية بالكيل القرطبي ثمانون مديا وستة أقفزة اضافة الى بعض الأكيال والمدى القرطبي زنته ثمانية قناطير والستة أقفزة هي نصف مدى زنته أربعة قناطير.(٥)

وبالاضافة الى ماتقدم ذكره من نفقات قامت الدولة بصرفها على المنشآت السالف ذكرها فقد كانت تصرف أيضا على بعض المنشآت الاخرى كشقها للقنوات والترع للري والاصلاح الزراعي وتعمير الاراضي(٦) كما قامت بانشاء قنطرة قرطبة في عصر الأمير هشام الذي أشرف على بنائها بنفسه وأنفق فيها أموالا عظيمة ، ولما بلغه أن الناس قالوا انه انما بناها ليعبر عليها للصيد والنزهة أقسم أن لايجوز عليها الا لغزو في سبيل الله أو مصلحة .(٧)

---

(١) ابن غالب ،فرحة الانفس ،ص ٣٠٠ ، ابن عذاري ،البيان ٢٣١/٢، ابن الخطيب ،اعمال الاعلام ،ص ٣٨ .
(٢) المقري ،نفح ،٥٦٨/١ ، ابن العماد الحنبلي ،شذرات الذهب ،جـ٣ ،ص ٤ .
(٣) ابن غالب ،فرحة الانفس ،ص ٣٠١ .
(٤) تاريخ الاندلس ،ص ٥٩ .
(٥) فرحة الأنفس ،ص ٣٠١ .
(٦) سيد أمير علي ،مختصر تاريخ العرب ،نقله الى العربية عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ،بيروت ـ لبنان الطبعة الرابعة ١٩٨١م ص ٤٦٩ـ ٤٧٠ .
(٧) ابن الخطيب ،أعمال الأعلام ،ص ١٢ .

وأنشأت الدولة في عصر الحكم المستنصر أنابيب لجلب الماء الى سقايات المسجد الجامع بقرطبة والميضأتين التى الى جانبيه ، وقد جلب الماء العذب من عين بجبل قرطبة ، خرق له الأرض وأجراه في قناة من حجر متقنة البناء ، محكمة الهندسة أودع جوفها أنابيب الرصاص لحفظها من كل دنس[1] .

بالاضافة الى ذلك فقد كانت الدولة تعطى من بيت المال أرزاق القضاة والوزراء والولاة والعمال بحسب مقاديرهم وقد أشرت لها في موضعها .

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٤٠/٢ .

الفصل الخامس

النظام العسكري في الأندلس ١٣٨ – ٣٦٦ هـ

* المبحث الأول : الجيش وتنظيماته
* المبحث الثاني : نشأة الأسطول الاسلامي بالأندلس وتنظيماته

المبحث الأول : الجيش وتنظيماته

الجيش الأموي الأندلسي : عناصره - بداية تنظيمه :-

لقد استقر المسلمون الأوائل الذين أنجزوا عملية الفتح الاسلامي للأندلس في كوره ومدنه المختلفة ، وانتشروا في شتى أنحاء شبه الجزيرة الايبيرية ، على الرغم من الأخطار المحيطة بهم ،ونأيهم عن مركز الخلافة الاسلامية في المشرق ولذلك لم يطمئن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - عندما ولي الخلافة الى هذا الوضع ، ففكر في اجلاء المسلمين عن الأندلس لانقطاعهم وبعدهم عنه ، ولكنه أعرض عن هذه الفكرة عندما علم أن المسلمين قد كثروا وانتشروا في أنحاء الأندلس .(١)

وحقيقة فان وضع المسلمين في الأندلس كان يكتنفه كثير من الأخطار ، وذلك لالتفاف الأمم النصرانية حولهم ، واحاطتهم احاطة تامة بالمسلمين قال أبو عبيد البكري : " والأندلس دار جهاد وموطن رباط قد أحاط بشرقها وشمالها وبعض غربها أصناف الكفر " .(٢)

وان وضعا كهذا كان يتطلب جيشا على درجة كبيرة من الحيطة والحذر ، ومستعدا ومرابطا على الدوام ، حتى لايؤخذ المسلمون على غرة ولذلك فقد وجه الأمويون الأندلسيون جل اهتمامهم للعناية التامة بجيوشهم لتكون على أهبة الاستعداد في مواجهة أي خطر خارجي أو داخلي على الدولة .

ولقد ذكرت من قبل أن أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبي عندما ولي الأندلس في سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م فرق العرب الشاميين على حسب أجنادهم ، في عدد من الكور عرفت بالكور المجندة ، والتي كان عليها أن تسهم بعدد من الجنود للمشاركة في أعمال الجهاد الاسلامي .(٣)

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٦/٢ .

(٢) أبو عبيد البكري ،جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ١٣٠ .

(٣) أنظر ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ١ ،ص ٦١ - ٩٢ ،ابن عذاري، البيان المغرب ، ٣٣/٢ .

وتعتبر الكور المجندة أساس التنظيم العسكري في الاندلس ، وكان على هذه الكور ان تقدم عددا من الجند متى ماطلب منها ذلك .

فلما تولى عبد الرحمن بن معاوية الامارة ، أولى عناية كبيرة لتكوين جيش نظامي منذ أن وطئت قدماه أرض الاندلس ، ولما كانت المنازعة بينه وبين يوسف الفهري حول الامارة ، فقد جمع الداخل حوله ثلاثة آلاف فارس في اشبيلية ، وكتبهم كتائب ، وعقد لواءه ، وتقدم بهذه الجيوش نحو قرطبة لانتزاعها من الفهري (١) .

وكانت هذه الجيوش تتكون من العرب والبربر وقدم على كل فريق منهم قائدا من القراد ، فلما وصل بهم الى قرطبة انهزم عنها الفهري ، فدخلها ابن معاوية ، وتمت له البيعة أميرا على الاندلس (٢) .

ولم تلبث قوة الداخل العسكرية ان تنامت حتى بلغت اربعين الف مقاتل ، معظمهم من الموالي والبربر ، وانحرف عن استخدام العرب اذ استوحش منهم لكثرة خروجهم عليه (٣) .
وتذكر بعض الروايات أن جنوده بلغت مائة الف فارس (٤) ويظهر أن في هذه الروايات نوعا من المبالغة في التقدير ، ولكنها على كل حال مؤشر لتنامي القوة العسكرية للامير عبد الرحمن ابن معاوية .

كذلك فقد استحدث الامير عبد الرحمن بن معاوية عرافة سميت "بعرافة السود" لضم العبيد الذين يشترون (٥) .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٤٦/٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ٤٧/٢ .
(٣) المقري ، نفح الطيب ، ٣٦/٣-٣٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ٤٩/٣ .
(٥) د. عبد الواحد طه ذنون ، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في العصر الاموي ، ص ٧ .

انواع الجيش الاندلسى :

يمكننا تقسيم الجيش الاندلسى الى ثلاثة اقسام رئيسية هى :

(١) اهل الديوان (ديوان الجند أو الجند النظامى)

(٢) المتطوعة أو (المجاهدون)

(٣) الفتيان المقالبة

(١) اهل الديوان :

يرجع تدوين الجيش الاسلامى فى سجلات الى الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ، وذلك عندما اتاه ابو هريرة رضى الله عنه بمال كثير من البحرين ، فاستشار الصحابة رضوان الله عليهم فيما يجب عمله بهذا المال ، فاشار عليه بعضهم بتدوين الدواوين ، وتجنيد الجنود فاخذ برأيهم ، وانشا ديوانا للجند [(١)] .

ومهمة هذا الديوان "هى القيام على اعمال الجبايات ، وحفظ حقوق الدولة فى الدخل والخرج ، واحصاء العساكر باسمائهم ، وتقدير ارزاقهم وصرف اعطياتهم" [(٢)] .

واذا اثبت الرجل فى الديوان ، وكان مشهور الاسم نبيه القدر ، لم يحسن كتابة أوصافه ، وان كان من المغمورين فى الناس كتبت اوصافه ، مثل سنه ولونه ، ووصف مايتميز به عن غيره ، لئلا تتفق الاسماء [(٣)] .

وقد اهتمت الدولة الاموية فى الاندلس اهتماما كبيرا بهذا الديوان منذ تاسيسها على يد عبد الرحمن بن معاوية ،

---

(١) انظر البلاذرى : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، منشورات مكتبة النهضة المصرية ، ٥٥٤/٣ ، الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٠٢ .

(٣) الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٤ .

الذى انشا ديوانا للجند . ويشير المقرى الى ذلك بقوله : ان عبد الرحمن بن معاوية "جند الاجناد وعقد الرايات" (١) .

ومعنى ذلك انه قام بتدوينهم فى ديوان الجند .

وقد قام الامير عبد الرحمن بن معاوية باسقاط لواء جند باجة من الديوان ، وذلك نتيجة لثورة العلاء بن مغيث الجذامى عليه بدعم من الخليفة العباسى ابى جعفر المنصور (٢) ، واخمل ذكرهم (٣) .

ويقول صاحب الاخبار المجموعة عن الامير هشام بن عبد الرحمن : "ولم يغفل احد من جنده فى شيء من ثغوره ، او جيوشه ، الا الحق ولده فى ديوان ارزاقه" (٤) .

ومن ذلك نرى ان ديوان الجند كان مؤسسا منذ عمر الامير عبد الرحمن الداخل .

غير ان التنظيم الفعلى للجيش ، وتدوينه ، قد تم فى عمر الامير الحكم الربضى (١٨٠ – ٢٠٦هـ) . وتشير المصادر الى انه "اول من جند الاجناد المرتزقة بالاندلس ، وجمع الاسلحة والعدد ، واستكثر من الحشم والحواشي ، وارتبط الخيول على بابه واتخذ المماليك ، وجعلهم من المرتزقة ، فبلغت عدتهم خمسة آلاف مملوك ، وكانوا يسمون الخرس لعجمة السنتهم (٥) منهم ثلاثة آلاف فارس والفا راجل (٦) .

---

(١) نفح الطيب ، ٤٩/٣ .
(٢) هو العلاء بن مغيث الجذامى اليحصبى ، وقيل الحضرمى ، رئيس جند باجة . وكان الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور قد ارسل اليه فى سنة ١٤٦هـ بسجل ولواء يدعوه للثورة على عبد الرحمن بن معاوية .
انظر ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٥٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٥١/٢ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦ .
(٣) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦ .
(٤) اخبار مجموعة ، ص ١٠٩ .
(٥) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ٢٠٣/٥ ، المقرى ، نفح الطيب ، ٣٤١/١-٣٤٢ ، النويرى ، نهاية الارب ، ٣٧٤/٢٣ .
(٦) المقرى ، نفح الطيب ، ٣٤١/١ .

ومن هذا النص نرى ان الاجناد المرتزقة كانت تتكون من الفرسان والرجالة .

وكان للامير الحكم الربضي الفا فرس معدة على شاطئ النهر بازاء القصر ، تجمعها داران ، على كل دار عشرة عرفاء ، تحت يد كل عريف مائة فرس ، فالعرفاء يشرفون عليها وتعلف بين أيديهم ، وينظرون في تعويض ماتعذر منها لتكون معدة قائمة لما عسى ان يفاجئا من أمر يفزع اليه بها ، فاذا كانت حركة كانوا كنفس واحدة (١) .

وهذا يدلنا على ان الحكم كان في حالة استعداد دائم للتصدي لكل حركة خارجة على السلطة في الداخل ، أو أي هجوم خارجي مفاجئ على الدولة .

ويظهر ان الدولة كانت تعتمد على الفرسان بشكل كبير ، وقد روى : ان جيش المسلمين في عصر الامير محمد ، بلغ مائة الف فارس ، منهم عشرون الفا بدروع الفضة (٢) .

وكان الامير عبد الرحمن بن الحكم يقتصر على "مدونة الجند" بقرطبة في الاعمال العسكرية المحدودة ، دون ان يستنفر أهل الموسطة (٣) .

واعتمد الامير عبد الله بن محمد على الفرسان أيضا بصورة كبيرة في قمع الفتن الداخلية ، فقد كان معوله في حروبه على ثلاثمائة فارس من "مدونة الجند بقرطبة" بقيادة القائد ابي العباس احمد بن محمد بن أبي عبدة ، وكانوا نخبة من الفرسان لم يجتمع مثلهم في عسكر بالاندلس ، فحققوا

---

(١) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١١٧-١١٨ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢١٧/٥ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٧٩/٢ .

(٢) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٥٧ ، ابن أبي دينار المؤنس ، ص ٩٩ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. مكي ، طبعة القاهرة ، ص ١٨٠ .

بعض الانتصارات للامارة ، واوردوا اليها كثيرا من الجباية .(١)

ويبدو أن أعداد الجند النظامي قد تناقص في عصر الامير عبد الله بدرجة كبيرة نتيجة لاتساع الفتن الداخلية ، ولم يبق له من سلطانه سوى اهل حضرته من بلاد الموسطة .(٢)

وعول الناصر في حروبه كثيرا على اهل الديوان المسجلين لديه .(٣)

ولم يستخدم الناصر البربر في جيوشه الا في حدود ضيقة حصرهم في طبقة الطنجيين ، وهي أدنى الطبقات البربرية ، وجعلهم في أدنى الملاحق(٤) قاصرا لهم على أقل الروائب ، مستخدما لهم في اشق انواع الخدمة .(٥)

ويبدو ان الناصر لم يكن يثق ثقة كبيرة بالبربر ، اضافة الى انهم كانوا يناصرون المذهب الشيعي بالمغرب .

وعند تغلب الناصر لدين الله على بعض المخالفين ، واستنزالهم من معاقلهم ، وادخالهم في طاعته ، كان يحضرهم الى قرطبة فيصيرهم في الديوان بها في أعلى الملاحق ،(٦) تاليفا لقلوبهم حتى لايخرجوا مرة أخرى عليه .

ولما جاء الخليفة الحكم المستنصر ، استمر على ذات السياسة التي سلكها والده في عدم استخدام البربر ، وكان يمنع جنده من التشبه بهم ، والتشكل بشكلهم ، ولكن هذه السياسة لم تستمر طويلا ، فقد امتحن الحكم بحروب بني محمد الحسنيين بأرض العدوة ، ولاقت جيوشه اهوالا عظيمة من قبل

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ١٢٩/٣ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ١٠٤/٣ .
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٧٠/٢ .
(٤) الملاحق جمع ملحق . وهو المقيد في ديوان العطاء ليصرف له راتب شهري ومايتبعه . ابن الآبار ، الحلة السيراء ١/٢٣١ ، هامش ٤ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجي ، ص ١٩٠ .
(٦) ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ١/٢٣٠-٢٣١ .

البربر الذين تمدوا لجنده بكل بسالة وشجاعة ، مما اضطره بعد أن استنزلهم ، أن يستخدم جزءا منهم في جنده (١). وكانت عدتهم سبعمائة فارس اثبتهم الحكم جميعا في الديوان ، وقد أشجى هؤلاء السبعمائة ، حوالى سبعة آلاف من رجال الحكم بالعدوة ، مما حمله على اعتمادهم بالمنيعة ، واتخاذهم للدولة ، وكان ذلك سببا في توافرهم بالأندلس (٢).

ومن التطورات التي تتعلق بديوان الجند في عصر الخلافة تأسيس دار خاصة بالجند بقرطبة عرفت بدار الجند (٣).

(٢) المتطوعة أو (المجاهدون) :

اضافة الى الجيش النظامي الذى كان مقيدا في الديوان فقد كانت الدولة تعتمد أيضا على المتطوعة ، الذين كانوا يشاركون في أعمال الجهاد الإسلامي (٤).

وقد ازداد عدد المتطوعين من الفرسان في عصر الأمير محمد ، الذى كان معتدلا لأمور رعيته ، مراقبا لمصالحها ، وذلك بعد أن وضع عنهم ضريبة الحشود والبعوث (٥). وبلغ عدة الفرسان المستنفرين في احدى الصوائف المجردة الى جليقية ، التى قادها الوزير صاحب المدينة ، الوليد بن عبد الرحمن ابن غانم من أهل كور الموسطة المكثرين لأعداد الأجناد والمتطوعة من صنوف الناس على النحو التالي :

كورة البيرة : ألفان وتسعمائة .

جيان : ألفان ومائتان .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ١٩١ .
(٢) مجهول ، مفاخر البربر ، نشر ليفي بروفنسال ، المغرب ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م ، ص ١٠ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ١٩٨، ١٩٩ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٢٥/٥ .
(٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٠٩/٢ .

قبرة : ألف وثمانمائة .

باغة : تسعمائة .

تاكرنا : مائتان وتسعة وستون .

الجزيرة : مائتان وتسعون .

استجة : الف ومائتان .

قرمونة : مائة وخمسة وثمانون .

شذونة : ستة آلاف وسبعمائة وتسعون .

ريه : الفان وستمائة وسبعة .

فريش : ثلاثمائة واثنان واربعون .

فحص البلوط : اربعمائة .

مورور : الف واربعمائة وثلاثة .

تدمير : مائتان وستة وخمسون .

ربينة : مائة وستة .

قلعة رباح واوريط : ثلاثمائة وسبعة وثمانون .

حصن شندلة : مائة وثلاثة عشر .(١)

ومن هذا البيان يتضح ان الكور المجندة كانت تسهم باعلى نسبة من الفرسان والجنود عند الاستنفار للخروج للصوائف ، وان كورة واحدة من الكور المجندة وهي شذونة ، تقدم اضعاف الجنود الذين تقدمهم الكور الاخرى التي وردت في البيان مجتمعة .

واذا كانت واحدة فقط من الصوائف ، بلغ مجموع الفرسان فيها من بعض كور الموسطة اكثر من عشرين الفا ، فان ما اورده كل من ابن الكرديوس وابن ابي دينار ، من ان جنود الامير محمد بلغت مائة الف فارس ، يبدو صحيحا الى حد كبير .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٢٧١-٢٧٢ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/١٠٩ .

وذكر ابن حيان انه "نفر من اهل قرطبة لهذه الغزوة عدد لم يوقف على قدره ، وكان هذا العدد الذى غزا به بعد أن رفع الغريبة التى كانت على أهل قرطبة ، وأقاليمها ، وغيرها من البلاد ، وقطع عنهم الحشود التى كانوا يؤخذون بتجديدها فى كل سنة للصوائف الغازية لدار الحرب ، واسقطها منهم ، ووكلهم الى اختيار انفسهم فى الطواعية للجهاد من غير بعث ، فحسن موقع ذلك منهم ، وتضاعف حمدهم له ، وشكرهم واغتباطهم بدولته " (١).

وفى احدى صوائف الأمير محمد فى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م ضد نصارى جليقية الذين يعاونهم اهل طليطلة ، خرج كثير من اهل الحسبة مع الامير محمد منبعثين من ذاتهم رجالا وركبانا يطلبون الشهادة (٢).

وكان للمتطوعة دور كبير فى عصر الأمير عبد الله ، وكان يعول عليهم كثيرا ، وقد بلغ عددهم فى احدى معاركه مع ابن حفصون ، عشرة آلاف متطوع (٣).

وقد اعتمد عبد الرحمن الناصر فى حروبه كذلك على المجاهدين المتطوعين ، الذين كانوا يحتشدون من سائر بلاد الأندلس ، للخروج مع الخليفة (٤).

وفى عصر الخليفة الحكم كان للمتطوعة دور كبير فى المشاركة فى اعمال الجهاد الاسلامى ، ففى رمضان سنة ٣٦٤هـ "تسارب مطوعة اهل قرطبة بالخروج الى الثغر الاعلى ، ممدين لأهله ، فانجفلوا راغبين فى الجهاد بأموالهم وانفسهم يوما

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٢٧٣ . وانظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٠٩/٢ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٢٩٥-٢٩٦ ، وانظر ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٢٩٤/٥ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ١٠٤/٣ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ١٩٠/٥ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٧٠/٢ .

اثر يوم ، واعجب السلطان ماكان من انبعاث مطوعتهم دون الزام لهم ، واثنى بمالح بلائهم " . (١)

ولم يكن المطوعة يتناولون مرتبات منتظمة من الدولة وكان حبهم للجهاد والموت في سبيل الله هو الذى يدفعهم للخروج مع الجند النظامي للدفاع عن الدولة ، وصد الاعداء عنها ، ورفع راية الاسلام .

(٣) الفتيان المقالبة :

يشكل "الفتيان المقالبة" أو "المماليك" عنصرا من عناصر الجيش الأندلسي . وقد بدأ الاهتمام بهم منذ عصر الامير الحكم الربضي كما ذكرت سابقا . كذلك فقد اكثر الامير عبدالرحمن الاوسط من استخدام هؤلاء الصقالبة ، وقاموا بدور بارز في الاحداث التي تلت وفاته ، وتوطيد الامارة للأمير محمد . (٢)

وقد تولى ميسرة الفتى المقلبي ، في سنة ٢١٩هـ ، قيادة الجيش المحاصر لطليطلة ، وذلك للقضاء على تمرد أهلها . (٣) كما تولى نصر الفتى قيادة الجيش الذى بعث به الامير عبد الرحمن الاوسط لمواجهة المجوس الذين دخلوا اشبيلية في سنة ٢٣٠هـ . (٤)

وفي عصر الامير عبد الله شكلت فرقة خاصة من هؤلاء الصقالبة سميت برماة المماليك . (٥)

كما عول الناصر كثيرا على الصقالبة في حروبه ، وتولى احدهم وهو نجدة بن حسين قيادة الجيش في غزوة الخندق التى هزم فيها الناصر سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م . (٦)

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ٢٢٦ .
(٢) انظر ص٥١ من هذا البحث .
(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٨٤/٢ .
(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٨٧/٢ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، ٩٤/٣ .
(٦) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١٣٧ ، ابن حيان ، المقتبس ٤٣٦/٥-٤٣٧ .

واستمر الحكم المستنصر فى استخدام المقالبة كاسلافه ، وكان سعد الجعفرى مولاه ، قائد الجيش بالجوف ، وقد ورد منه كتاب فى سنة ٣٥٣هـ ، قرئ بالجامعين قرطبة والزهراء ، يذكر فيه انباء الانتصارات التى تمت على يديه فى اهل جليقية (١) .

وقد بلغ المقالبة حدا كبيرا من التنفذ فى عصر الخليفة الحكم المستنصر ، وكان يغضى كثيرا من تصرفاتهم التى لاترضى الآخرين ، ولما مات الحكم كانوا اكثر جمعا واحد شوكة ، وكان عددهم يزيد على الالف داخل القصر ، يرأسهم فائق النظامى صاحب البرد والطراز ، وجؤذر صاحب الصاغة والبيازرة (٢) .

وهناك طائفة اخرى ترد كثيرا فى المصادر باسم "الحشم" (٣) "ولايوجد مايشير الى اصل خاص لهؤلاء الحشم ، ولكن من المرجح انهم كانوا من جملة المماليك الذين يدربون على القتال . ويختلفون عن "الخرس" فى انهم كانوا يشاركون فى المعارك على نطاق واسع ، بينما كان "الخرس" يقومون بمهمة الحرس الخاص للأمير" (٤) .

وكان زياد بن افلح هو صاحب الحشم فى عصر الخليفة الحكم المستنصر (٥) .

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٣٦/٢ .
(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٥٩/٢ .
(٣) انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود على مكى ، طبعة بيروت ، ص ٢٩٤ ، كذلك المقتبس ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجى ، ص ١٥٦، ١٦٨، ٢٢٨ .
(٤) د. عبد الواحد طه ذنون ، تنظيمات الجيش فى الدولة العربية الاسلامية فى الاندلس فى العصر الاموى ، مجلة المورد ، العدد الاول ، ١٩٨٨م ، ص ١٠ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٥ .

تنظيمات الجيش الأندلسي :-

اهتم الأمويون أيما اهتمام بتنظيم جيشهم وتسليحه وتدريبه ، ليكون في حالة استعداد دائم للمشاركة فى أعمال الجهاد الاسلامي •

فعندما تنوى الدولة الغزو ، يرسل الى الأجناد لاستنفار الناس للغزو في الأعمال العسكرية الكبرى (١) ، ويكتفى الأمير أو الخليفة في بعض الأحيان بجنده النظامى الموجود في العاصمة قرطبة في الأعمال العسكرية المحدودة.

وقبل أن يؤذن للجيش بالخروج للغزو ، كانت هناك عدة مراسم تتم في هذا الشأن ومن هذه المراسم :

البروز والفصول :-

البروز والفصول عبارة عن حفل استعراضى للجيش ،يتم في الميدان المعروف " بفحص السرادق " بجوفى النهر الأعظم (٢) وسمى الحفل بالبروز لأن الأمير أو الخليفة يبرز فيه بنفسه وعلى رأس جيوشه (٤) •

ويبدو أن هذا التنظيم جرى ابتداء من عصر الأمير عبد الله الذى كثرت حركات التمرد في عصره ، ففي سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م ، أبرز الأمير عبد الله الى سرادقه الى فحص شقندة بعدوة نهر قرطبة وذلك للخروج لملاقاة عمر بن حفصون ، الذى كانت خيوله تغير على أبواب العاصمة قرطبة ، مما أغاظ الأمير عبد الله وصمم على الخروج بنفسه لملاقاته (٥) •

وبلغ من جرأة عمر بن حفصون على الأمارة ، أنه لما علم ببروز الأمير عبد الله لهذه الغزوة ،وقبل أن يفصل لها ، خرج ابن حفصون

---

(١) ابن عذارى ،البيان المغرب ،٢/١٠٩ •
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د• مكى ،طبعة القاهرة ،ص١٨٠ •
(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ٢/٢٠٤ •
(٤) د• احمد فكرى ، قرطبة في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٣م ، ص ٣١١ •
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، نشره ملشور — ص ٩٣ — ٩٤ •

في سرية من جنده في احدى الليالي ، يريد احراق السرادق الذى أعد للأمير عبد الله ، ولم يكن فيه يومئذ الا الباقته من الغلمان ، ونفر من الرماة الذين تصدوا له وردوه على أعقابه (1) ٠

ولما ولي الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) سار على نهج الأمير عبد الله في البروز والفصول ، وأكثر من ذلك ففي سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، أراد الناصر أن يغزو جيان فبرز من قصر قرطبة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان من هذه السنة ،وفصل عازما الى كورة جيان يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان بعد بروزه بثلاثة وعشرين يوما (٢) ٠

وفي سنة ٣٠١هـ/٩١٣م ،أراد الأمير عبد الرحمن بن محمد الخروج لاحدى غزواته ، فبرز لها يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان من هذه السنة وفصل لها لست خلون من شوال منها ، الى ثمانية وعشرين يوما من بروزه (٣) ٠

وفي سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م ، استعد الناصر لملاقاة ملك الجلالقة أردون بن أذفونش الذى دخل بجيشه أرض الاسلام ، فاستنفر الناس للجهاد في سبيل الله ، وقرئ عليهم منشور بذلك في المسجد الجامع ،"واستعمل الناصر لدين الله التبريز بهذه الغزاة بعثا لعزائم الناس، فبرز لها أول ذى الحجة من هذه السنة ، ثم لم يفصل حتى انقضت بكمالها ، تزداد كل يوم أهبة ، وتوافيه من المجاهدين طائفة وتستوفي من تكامل العدد ، طبقات الى أن كملت أموره بحسب محبته ، وكان فصوله لها في المحرم سنة ثمان وثلاثمائة (٤) " ٠

وفي سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م ، قصد الناصر كور غربي الأندلس لفتحها ،

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ،نشره منشور ،ص ١٠٢ – ١٠٣ ٠
(٢) ابن حيان ،المقتبس ،جـ٥ ،ص ٨٥ ، ابن عذاري ،البيان المغرب ،٢/١٦٤ ٠
(٣) ابن حيان ،المقتبس ،جـ ٥ ،ص ٨٥ ابن عذاري ،البيان المغرب ،٢/١٦٤ ٠
(٤) ابن حيان ،المقتبس ،جـ ٥ ،ص ١٥٥ – ١٥٧ ٠

فبرز لغزاته هذه على عادته في يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الاول منها ، وفصل لها من قصره بقرطبة لاحدى عشرة خلت من ربيع الآخر منها (١) .

ووصف ابن حيان بروز الناصر في غزوة " وخشمة " سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م فقال : " برز فيها دارعا مستلئما متقلدا سيفه ، راكبا لأشقر معروف بالعتق ، من جياد المقربات ، فقد حفته قواده وكتائبه ، معباة أحسن تعبئة ، مظاهرة الحديد والقوة ، وقد احتفل فيما أبرزه لتفخيم بروزه وعده من صنوف العدة ، وتماثيل الأعلام ، والرايات الفخمة البديعة الغريبة الأجناس ، المرتفعة القيمة " (٢) .

ويتضح لنا من ذلك أن الغرض من هذا البروز هو تفقد الخليفة لجنده ، واستعراضهم ، ومعرفة مدى استعدادهم للقتال ، واستكمال احتياجاتهم وتدريباتهم كما كان يرمي من وراء ذلك الى رفع الروح المعنوية للجنود حسبما يفهم من رواية ابن حيان عندما قال ان الناصر استعمل التبريز في احدى الغزوات " بعثا لعزائم الناس " .

ويظهر أيضا أن البروز كان يستغرق وقتا يتراوح بين واحد وعشرين يوما الى شهر كما هو واضح من النصوص الآنفة الذكر .

وكان الهدف من ورائه أيضا هو ابراز هيبة الدولة العسكرية وادخال الرعب الى قلوب أعداء الدولة ، متى ماتسامعوا باستعداداتها الهائلة ، وعزمها على الحرب .

وبعد أن يتأكد الأمير أو الخليفة من استكمال استعدادات جنده يتأهب للخروج الى مكان الغزوة ، وهو مايعرف بالفصول .

عقد الألوية والرايات

كان يتم في هذا البروز عقد الألوية للأجناد المشاركة في

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، ص٢٤٥ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٩٩/٢ .

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

الخروج للغزو فكان يعقد للشاميين لواءان لواء غازيا ، ولواء مقيما (١)
كما كان يعقد للبلديين أيضا لواءان لواء غازيا ، ولواء مقيما (٢) .

وقد اهتم الأمويون في الأندلس بلواء الجيش لأنه يعد عند العرب رمزا للقيادة والامارة وقد ازداد اهتمامهم هذا بسبب تفاؤلهم من أول لواء عقد لهم في الأندلس (٣) وذلك حينما جاءت بعض الاجناد مبايعة للداخل ، فلما أراد التحرك بهم نحو قرطبة لمحاربة الفهري ، قالت المشايخ امام لا لواء له خطأ في الرأى ، فعقدوا له عمامة على قناة في قرية طشانة من كور اشبيلية (٤) .

وقد حرص الأمراء الأمويون الذين أتوا من بعد الداخل على هذا اللواء ، والعناية به ، وقد جدد في عصر الامير عبد الرحمن بن الحكم في احدى الغزوات الى ماردة (٥) .

وكان لكل جند من الاجناد لواء خاص به ، ففي سنة ٣٠١هـ/٩١٣م — عندما خرج الأمير عبد الرحمن بن محمد في احدى غزواته لأهل الخلاف عقد لجندي حمص ، ولجندي دمشق ، ولجندي قنسرين ألويتها (٦) .

ومن أهم الألوية التي ظهرت في عصر الناصر ، علم العقاب المصورة التي اخترعها ولم تكن لسلطان قبله ، وقد شد اليه الانتباه عند ظهوره لأول مرة (٧) .

وفي عصر الحكم المستنصر ،وجدت أنواع عديدة من الرايات مثل الشطرنج الشامي والعقدة والعلم (٨) ، وقد اهتم الحكم المستنصر أيضا اهتمام بعقد هذه الألوية ، ففي سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م أراد أن يعقد

---

(١) ابن الخطيب ،الاحاطة في أخبار غرناطة ،جـ١ ،ص ١١٠ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١١٠ .
(٣) د.عبد الواحد طه ذنون ،تنظيمات الجيش الأندلسي ،ص ١٥.
(٤) ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس ،ص ٤٨ — ٤٩ .
(٥) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٧٩ .
(٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٨٥ .
(٧) المصدر نفسه ،ص ٣٣٤ .
(٨) المصدر نفسه ،تحقيق الحجي ، ص ٢٥ ، ٦٧ .

لوزيره القائد غالب بن عبد الرحمن ، فأمر باخراج هذه الألوية من مخازن العدة بقصر الزهراء الى دار الوزراء ، وكانت فوق ملحفة بيضاء زهرية ، وضعوا فيها منديل ، وأحضر عريف الخياطين لعقد هذه الأعلام في قنواتها ، بحضور قاضي قبره محمد بن يوسف ، وبعض الأئمة والمؤذنين فلما أخذ ابن عقبة اللواء ، اندفع محمد بن يوسف في قراءة (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الى آخر السورة وذلك بين التهليل والتكبير والتحميد ، وصنع ببقية الألوية كذلك ، ثم حملت الى باب الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن الذى كان على أهبة الاستعداد ، فلما وصلت اليه استوى على صهوة فرسه وخرج للغزوة وبين يديه العدة والعديد .(١)

أهم الخطط العسكرية :-

خطة العرض :

وهي من التنظيمات العسكرية التى عرفت في الأندلس ابان العصر الأموى ، وهى شبيهة بالبروز الى حد كبير وهي وظيفة من وظائف التنظيم العسكري ، وتختص باستعراض الجنود المقيدين في الديوان في أوقات منتظمة للتأكد من وجودهم ، والتثبت من سلاحهم وخيل الفرسان منهم وحالتها وما الى ذلك وتسمى أيضا الاعتراض والتمييز وكان العرض يجري في ميدان كبير خارج العاصمة ، قرطبة ، حيث ينادى ببوق جهير لحضور الجند .(٢)

واحتفظت لنا المصادر بأسماء بعض الذين تولوا هذه الخطة في عصرى الأمارة والخلافة .

فمن الذين تولوا هذه الخطة في عصر الأمارة ، منصور بن محمد ابن أبي البهلول ، الذى وليها للأميرين محمد بن عبد الرحمن وابنه المنذر بن محمد(٣) ووليها في عصر الخلافة قند الكبير ، ودرى موليا

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجي ، ص ٢٥ - ٢٦ .
(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج١ ، هامش ٣ ، ص ١٤٥ - انظر د. عبد الواحد طه ذنون ، تنظيمات الجيش في الاندلس في العصر الاموى ، ص ١٤ .
(٣) ابن الأبار ، المصدر السابق ١/١٤٥ .

الناصر لدين الله وذلك فى سنة ٣٠١ هـ (١) ، وكذلك وليها له محمد ابن سليمان بن وانسوس (٢) .

وفي عصر الخليفة الحكم المستنصر ، وليها غالب بن محمد ابن عبد الوهاب كاتبه (٣) واحيانا كان يتولى العرض للمستنصر أكثر من شخص واحد ، اذ ورد ذكرهم كثيرا في الاحتفالات الرسمية باسم العراض (٤) .

وكان الحكم المستنصر أحيانا يشاهد العرض العسكري وهو على سطح قصره ففي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م ، في السادس من شعبان صعد الخليفة الحكم الى السطح الموفى على باب السدة ، ومعه الأمير ابنه أبو الوليد منفردا ، فتجلى منه طوائف من آكابر طبقات الأجناد من الموالي والعرفاء وأشكالهم ، اجتمعوا هنالك للاعتراض ، وقد تطلعت نفسه الى معاينة تحركهم باللعب على خيولهم وملاعبتهم لأقرانهم ، طالبا بذلك مسرة الأمير ولده ، فأنفذ الامر اليهم بالقيام بذلك تحت التحفظ من الأذى وأن يصيروا محاولاتهم بالرماح اشارات لاتؤول الى جراحات (٥) .

ونلاحظ مدى التشابه بين البروز والعرض ، الا أن البروز كان يخرج فيه الخليفة بنفسه لتفقد جنده ، وفي العرض ربما اكتفى الخليفة بمشاهدة الجنود من على البعد كما كان هناك شخص يتولى العرض للخليفة .

خطة الخيل :

أنشأت الدولة الأموية في الأندلس خطة خاصة للاشراف على الخيل عرفت " بخطة الخيل " اذ كان للفارس دور كبير فى حسم المعارك العسكرية .

ومهمة صاحب خطة الخيل ، هي العناية بالخيل ، والاشراف على شئونها (٦) ، وكل مايتصل بلوازمها من سروج وقرابيس وكذلك أمر علوفتها

---

(١) ابن حيان ج ٥ ،ص ٩٧ .
(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ،ص ١٥٩ .
(٣) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٢٤٤/١ .
(٤) أنظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٩ ، ١٨٤
(٥) المصدر نفسه ،ص ٢٢٣ .
(٦) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٢٣٣/١ ، هامش رقم (٢)

ولها مقر يعرف بدار الخيل[(١)] وكانت هذه الخطة من أرفع خطط الدولة وكان يتولاها كبار القواد في الدولة[(٢)] ، كما كان صاحب هذه الخطة من رؤساء وحدات الخدمة والامداد والتموين ويعين من قبل الخليفة ويتبعه مباشرة ، ويعاونه وكلاء يشرفون على دور الخيل ورعايتها ، وتضم هذه الدور أنواعا من الخيل والبغال منها الخيل العتاق ، والأفراس الشهباء والبغال الظهيرة الوثاق ، والبغال الزوامل والشهباء[(٣)] .

وكذلك فقد كان صاحب الخيل يلي عدة مخازن فرعية تحتوي على المعدات الخاصة بتجهيز الخيل والبغال وغيرها من الدواب ، ويشرف عليها الوصفاء أصحاب الركاب ، وتضم السروج العادية ، والسروج المعرقة ، واللجم المفرغة ، ولجم خيول بلاط الخلفاء[(٤)] .

ومن أشهر الذين تولوا هذه الخطة في عصر الامارة ، الوزير هاشم ابن عبد العزيز في عصر الامير محمد بن عبد الرحمن[(٥)] وكانت خطة الخيل أول ولاية أحلت هاشم بن عبد العزيز بالأمير محمد ،فبان فيها استقلاله ، فبلا بها منه خلالا من العدل والنصح[(٦)] .

ومنهم عبد الرحمن بن بدر[(٧)] في بداية عصر الأمير عبد الرحمن ابن محمد[(٨)] وفي عصر الخلافة تولاها نجدة بن حسين[(٩)] في سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م مضافة اليه معها القيادة مكان افلح مولى الناصر الذى توفي في هذه السنة ، وفي سنة ٣٢٩هـ/٩٣٩م صرف نجدة بن حسين عن هذه الخطة[(١٠)] اما الحكم

---

(١) مجهول ،آخبار مجموعة ،ص ١٢٨ ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجي ، ص ٥٠ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. مكي ،ص ٢٦٦ .

(٣) د. محمود عرفة ،تنظيمات الجيش الاموى بالأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر ،المجلة العربية للعلوم الانسانية ،الكويت ،المجلد الثامن العدد (٣٠) سنة ١٩٨٨م ، ص ١٥١ .

(٤) المرجع نفسه ،ص ١٥١ .

(٥) مجهول ،آخبار مجموعة ،ص ١٢٨ .

(٦) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ١٦٠ .

(٧) عبد الرحمن بن بدر بن احمد وكان والده وصيفا للامير عبد الله وقد تولى عبد الرحمن هذا عددا من الاعمال للناصر انظر ابن الابار ،الحلة السيراء ، ١/٢٥٢ – ٢٥٣ .

(٨) ابن عذارى البيان المغرب ، ٢/١٦٧ .

(٩) هو القائد الصقلبي الذى عهد اليه الناصر قيادة جيشه في غزوة الخندق التى هزم فيها في سنة ٣٢٦هـ ويرى صاحب اخبار مجموعة انه كان سببا من اسباب هزيمة الناصر في هذه الغزوة انظر مجهول اخبار مجموعة ص ١٣٧.

(١٠) ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق ب. شالميتا ،ص ٣٢٠ ، ص ٤٦٢ .

المستنصر فقد وليها له زياد بن أفلح (١) .

واضافة الى المهام التي كان يتولاها صاحب خطة الخيل ، فقد كان يعهد اليه أحيانا بترتيب الكتائب ، وتنظيم وتعبئة العساكر (٢) .

التشكيلات العسكرية :

كان الجيش الاندلسي يتألف معظمه من الفرسان كماذكرت في السابق فكان " يجعل على كل ثمانية من الجند ناظرا ، ويعقد له عقده" وعلى كل خمسة نظار عريفا ، ويعقد له بندا ، وعلى كل خمسة عرفاء نقيبا ، ويعقد له لواء ، وعلى كل خمسة نقباء قائدا ، ويعقد له علما وعلى كل خمسة قواد أميرا ، ويعقد له راية أو أكثر " (٣) .

وقصد من هذا التشكيل تسهيل مباشرتهم من قبل الأمير ، الذي يأمر أمراء جيوشه ، ويأمر كل عريف منهم نظاره ، ويأمر كل ناظر منهم فرسانه ورجاله ، فيتم كل أمر وان عظم في ساعته (٤) .

ويسمى أول العسكر جريدة ، وهي التي تجرد لوجه من الوجوه ثم " سرية " وتتألف من خمسين الى أربعمائة شخص ، ثم كتيبة وهي من خمسمائة الى ألف والجيش والفيلق والجحفل ويتألف من ألف الى أربعة آلاف شخص ثم الخميس وهو من أربعة آلاف الى اثنى عشر ألفا والعسكر يجمعها جميعا (٥) .

أنواع الأسلحة التي استخدمها الجيش الأندلسي :

استخدم الجيش الأندلسي مجموعة كبيرة من آلات الحرب ، مثل التراس والرماح والدروع والسيوف ، ومن أشهر أنواع السيوف البرذليات نسبة الى برذيل آخر بلاد الأندلس (٦) وكذلك استخدم الجيش الاندلسي السيوف

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجي ، ص ٣٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .
(٣) ابن الهذيل الاندلسي ، تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس ، مخطوط ، ص ٢٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .
(٥) ابن الهذيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق محمد عبد الغني حسن دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٤٢م ، ص ١٧٣ .
(٦) المقري التلمساني ، نفح الطيب ، ١٠٢/١ .

الافرنجية (١) .

وكانت الأسلحة الدفاعية الخفيفة للجيش الأندلسي تتكون من الترس وهو صفحة مستديرة من الفولاذ تحمل باليد لتلقى ضربة السيف ، والدرق وهو نوع من الترس ، ويتخذ من الجلود (٢).

ولما كانت السيوف والقسي من اهم أسلحة الجيش الأندلسي ،فقد اهتم الأندلسيون بتقديم النصائح اللازمة للمقاتلين في كيفية استخدامها فقد ذكر ابن هذيل الاندلسي أن من شرط السيف أن لايسل الا عند الضرب به ، وان سل قبل ذلك أورث الجبن وليس في السلاح مايجب أن يحذر عند العمل به كالسيف وقد وجد كثير ممن عمل به بغير حذر ولا دربة أصاب أذن فرسه أو عضده وربما أصاب أذن نفسه ، أو رجله فقطعها أو أثر فيها (٣) .

وقسمت القسي الى قسمين : قوس اليد ، وهي العربية ، وقوس للرجل وهي الافرنجية ، فالقوس العربية أنسب للفارس لأنها أسرع وأقل مئونة ، والقوس الأفرنجية أنسب للراجل لأنها أبلغ وأكثر مئونة ولاسيما في الحصار والمراكب البحرية وهي التى اختص بها أهل الأندلس ويعتمدون عليها فرسانا ورجالا (٤) .

ومن الأسلحة الثقيلة التي استخدمها الجيش الاندلسي في هذا العصر المنجنيق الذى كان يستخدم في رمى المدن وهدم أسوارها (٥) .

وقد ازدهرت صناعة السلاح بالاندلس نظرا لتوفر المعادن اللازمة لصناعته مثل الفولاذ الذي يوجد باشبيلية (٦) والقصدير باكشونبة وأما

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ١١٧ — ١١٨ .
(٢) د. عبد الواحد طه ذنون ، تنظيمات الجيش الاندلسي ، ص ٢١ .
(٣) ابن هذيل ، حلية الفرسان ، ص ١٩٨ .
(٤) ابن هذيل الأندلسي ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .
(٥) ابن حيان ،المقتبس ،ط بيروت ،ص ٣٢٤ ،ابن عذارى ،البيان المغرب ٦٤/٢
(٦) المقري ،نفح ٢٠٢/١، .

الحديد والرصاص والنحاس بالاندلس فاكثر من ان تحصى.(١)

اما اهم مراكز صناعة السلاح فقد كانت فى اشبيلية(٢)، والزهراء التى بنى فيها الناصر دارا لصناعة اسلحة الحرب منذ استكمال بنائها.(٣)

ولحفظ السلاح وخزنه فقد اوجد الاندلسيون مايسمى "بخزانة السلاح" فى عصر الخلافة ولها وال يتولى امرها، فقد ولاها الناصر فى بداية عهده الى محمد بن عبد الله الغروبى، ووليها اثنان فى وقت واحد للناصر هما احمد بن ابان بن هاشم، وحفص بن سعيد بن جابر.(٤)

وفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م وليها محمد بن تمليخ مكان خلف بن ايوب.(٥) اما فى عصر الحكم المستنصر فقد وليها أبو عبد الملك الثقفى الطبيب.(٦)

ازياء الجند :

لم تتوفر لدينا معلومات مفصلة عن ازياء الجند الاندلسيين خلال هذه الفترة. ولكن من خلال المعلومات التى امدنا بها ابن حيان، نستطيع القول ان الجندى الاندلسى(٧)، كان يلبس انواعا من القلانس الموشية، والثياب الملونة، واللامات والدروع السابغة، والبيضات اللامعة، والاقبية البيض(٨)، والاقاريف(٩)، والجواشن(١٠).

---

(١) أبو عبيد البكرى، جغرافية الاندلس واوربا، ص ١٢٩-١٣٠
(٢) المقرى، نفح، ٢٠٢/١.
(٣) ابن خلدون، العبر، ٣١٢/٤.
(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ١٥٩/٢.
(٥) ابن حيان، المقتبس، ص ٤٨٨.
(٦) ابن جلجل الاندلسى، طبقات الاطباء والحكماء ص ١١١.
(٧) ابن حيان، تحقيق د. الحجى، ص ٥٠.
(٨) المصدر نفسه، ص ٤٨، ٥١.
(٩) المصدر نفسه، ص ٤٨. والاقاريف جمع اقروف وهو لباس للراس مخروطى الشكل. هامش (٤).
(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٩. والجوشن هو الدرع بالفارسية. انظر عبد الرءوف عون، الفن الحربى، ص ١٨٠.

وكانت الدروع من اهم الملابس العسكرية التي يرتديها الجندي الاندلسي . "والدرع لبوس الحديد تذكر وتؤنث"(١) . وهو قميص ينسج من حلق حديدية رفيعة ، فان نسجت حلقة داخل حلقة سميت "مفردة" ، وان نسجت حلقتين داخل حلقتين سميت "مضاعفة" وهي نوعان سابغة وبتراء(٢) .

والدروع السابغة هي "الفضفاضة التي تغطي البدن ، باكمامها الطويلة حتى الانامل ، وحاشيتها التي تصل الى نصف الساق ، ومعها المغفر الذي يغطي الوجه ، والبيضة التي تغطي الراس والقفا ، ولابس هذه الدرع يكون تغطى بالحديد ، لايبدو منه الا عيناه"(٣) . اما الدرع البتراء فهي القصيرة التي بلا اكمام(٤) .

والبيضة هي الخوذة(٥) ، وتصنع عادة من الحديد لحماية الراس ، "والمغفر هو زرد ينسج من الدروع على قدر الراس(٦) يلبس تحت القلنسوة"(٧) .

هذه هي اهم انواع الملابس العسكرية التي كان يرتديها الجندي الاندلسي خلال هذه الفترة ، ونلاحظ أن الاهتمام كان منصبا بدرجة كبيرة على حماية الراس ، ولذلك كثرت المعدات التي كانت تستخدم لحمايته .

---

(١) ابن سيده : ابو الحسن علي بن اسماعيل اللغوي الاندلسي (ت ٤٥٨هـ) ، المخصص ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت (بدون تاريخ طبع) السفر السادس ، ص ٦٩ .

(٢) عبد الرءوف عون ، الفن الحربي في صدر الاسلام ، ص ١٧٧-١٧٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٧٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٧٩ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص ١٢٥ .

(٦) د. عبد الواحد طه ذنون ، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الاسلامية ، ص ٢١ .

(٧) ابن سيده ، المخصص ، ص ٧٢ .

القيادة العسكرية :

ان منصب القيادة من أهم المناصب العسكرية ونظرا لاهميتها فقد تولاها أمراء وخلفاء بنى امية بانفسهم بدءا من الداخل ، الذى كان يتولى قيادة الجيش بنفسه فى كثير من الاحيان وسار خلفه من بعده كذلك على هذا المنوال [١] ، وكان يعهدون الى ابنائهم احيانا بقيادة الجيش [٢] .

كذلك فقد كان يعهد الى بعض القادة الاكفاء بتولى قيادة الجيش وقد برز من هؤلاء القادة فى عصر الامارة هاشم ابن عبد العزيز [٣] ، واحمد بن محمد بن ابى عبدة الذى أبلى بلاء حسنا فى الدفاع عن الامارة الاموية [٤] ، وبدر بن احمد فى عصر الناصر [٥] .

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، ٢/٤٨،٥١،٥٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢/٧٣،٨٥،١١١ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٤٣-٣٤٤ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ٣/١٢٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ٥/١٧٣ .

أما في عصر الحكم المستنصر ، فقد برز في القيادة غالب ابن عبد الرحمن ، الذى كان يقال له الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن ثم أضفى عليه الحكم المستنصر سمة القيادة العليا تشريفا له وتنويها بذكره ، وأخرج مرسوما بذلك لوزرائه جاء فيه " ..... ورأينا أن نوقع اسم القيادة العليا على غالب مولانا لغنائه وجميل مقامه ، فلا يخاطب من الآن الا به تشريفا له ، ان شاء الله ، والله المستعان " (١).

وزيادة في تشريف القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن ، ولما قام به من دور بارز في صد أعداء الدولة فقد شرفه الخليفة المستنصر بما لم يشرف به خليفة من خلائف الأندلس ، أميرا ولا قائدا سواه ، وذلك بتقليده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين ، وسماه ذا السيفين (٢).

وقد بلغ من اهتمام الخليفة الحكم بقادة جيوشه أن كافة امكانات الدولة ومواردها المالية ، كانت توضع تحت تصرفهم في حالة الاستعداد لصد الاخطار الخارجية ، ويقوم جميع المختصين بشئون الجيش بالامداد والتجهيز حتى يخرج القواد الى ميادين الجهاد على أكمل وجه (٣).

تعبئة الجيش وسيره الى المعركة وأساليب القتال :

تنظيم الجيش وتعبئته قبل بدء المعركة ، أمر ضروري ولازم لضمان تحقيق النصر ، والا منى الجيش بهزيمة ساحقة اذا لم يكن منظما ومعبأ بصورة جيدة .

فيجب أولا أن يكون نزول العسكر مرتبا ترتيبا صحيحا ، بحيث يكون لكل واحد من الأمراء ، وأرباب الوظائف منزلة معروفة في جهة من جهات منزل صاحب العسكر ، لأنه اذا كان لكل رئيس موضع معروف ، ودعت الضرورة الى طلبه سهل وجوده ، واذا شردت دابة أي منهم وعرفت بوسمها ،

---

(١) المصدر نفسه ، تحقيق الحجى ، ص ٦٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .
(٣) د. محمود عرفة محمود ، تنظيمات الجيش الأموى بالاندلس في عهد ولى الخليفة الحكم المستنصر ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ـ الكويت ربيع ١٩٨٨م ، ص ١٤٢ .

سهل عودتها الى صاحبها .(١)

وكان على صاحب الجيش ، أن يقدم طلائعه على عسكره ، لكشف خبر العدو ، ثم يقدم بعد ذلك رجلا من أهل الصرامة ، وصحة النظر ، والمعرفة بالطرقات في جماعة من ثقات عسكره ، لتمهيد الطريق الى العسكر .(٢)

وينبغي لأهل العسكر اذا توجهوا الى عدوهم أن يكونوا في مسيرهم ونزولهم على تعبئة ، وتجب التعبئة في حال الأمن كما في حال الخوف ، الا اذا أوجبت الضرورة ترك ذلك .(٣)

والتعبئة هي تقسيم الجيش الى " كراديس " ومعناها الكتائب أو الوحدات أو الكتل وكانت توزع على شكل خمسة اجزاء رئيسية : المقدمة ثم ميمنة وميسرة وقلب في الوسط ثم كتيبة في الخلف وراء الجيش تعرف بالساقة ولهذا أطلقوا على الجيش اسم الخميس على أساس هذا التقسيم الخماسي .(٤)

وقد حرص الامويون الاندلسيون على أن يخططوا تخطيطا سليما لأي معركة قبل بدئها وأن يكونوا على تعبئة ، ففي احدى المعارك التي دارت بين الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ونصارى جليقية في سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م عندما استعان بهم أهل طليطلة ضد الأمارة الأموية ، سار الأمير محمد حتى قارب طليطلة ، ثم عبأ اصحابه ، ونصب لهم كمينا باحدى الأودية ،وتقدم هو بنفسه اليهم في قلة من العسكر ، فلما رأى أهل طليلة أن عددهم قليل أعلموا الفرنج بذلك ، فسارعوا الى قتالهم ، فلما انتشب القتال بين الطرفين خرجت الكمناء من كل جهة عليهم فانهزموا هزيمة شنيعة .(٥)

وكان عدم التعبئة للمعركة والتسرع وعدم التخطيط من العوامل التي ادت الى هزيمة الوزير هاشم بن عبد العزيز في حربة مع ابن

---

(١) عمر بن ابراهيم الاوسى الأنصارى ، تفريج الكروب في تدبير الحروب تحقيق جورج اسكانلون ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٥٦ – ٥٧ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٦٣ – ٦٤ .
(٤) د. احمد مختار العبادي ، نظم الحكم والادارة في الدولة الاسلامية ص ١٨٢.
(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ،ص ٢٩٤ .

مروان الجليقي في سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م (١) ، في حين أن الجانب الآخر كان على أحسن تعبئة (٢) .

وأما كيفية التعبئة كمايصورها الأنصاري أنه : " اذا كان المحارب على مسافة قريبة من عدوه فلايسير الا في مقدمة وميمنة وميسرة وساقة قد شهروا الاسلحة ونشروا البنود والاعلام وقد عرف كل منهم مركزه وموضعه من العسكر ، ساكرين تحت ألويتهم ، قد أخذوا أهبة القتال واستعدوا للقاء العدو وعارفين مواضعهم في سيرهم ومعسكرهم ويكون رحيلهم ونزولهم على راياتهم وأعلامهم وفي مراكزهم (٣) .

واذا عرض للعسكر خوف في المسير فان كان الخوف امام العسكر جعل نصف الميسرة امام الصفوف في السير ، ونصف الميمنة على آثرها ثم القلب على آثرها ، ثم نصف الميسرة على اثر ذلك ، ثم نصف الميمنة على آثر ذلك وان كان الخوف من جهة الميمنة جعل سير الميمنة امام الصفوف ثم القلب ثم الميسرة وان كان الخوف من جهة الميسرة جعل سير الميسرة امام الصفوف ثم القلب ثم الميمنة وان كان الخوف مجهولا لم تعرف جهته بث الطلائع وجند الكشف في نواحي جهات العسكر والناس على مراتبهم ومراكزهم ويكون صاحب الجيش في وسط القلب (٤) .

وكان صاحب العسكر " أو صاحب الجيش " هو المسؤول من التعبئة بالنسبة للجيش فقد كان نجدة بن حسين ، هو صاحب العسكر في جيش الناصر لدين الله ، وقد عهد اليه في سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م ، عندما غزا وخشمة من دار الحرب بالتقدم بالخيل ، وانهاض العلم وترتيب الردود والتعبئة للحرب وشد المجنبات وتقديم ثقات القواد ، وأبطال الرجال في جهاتها ، فأقام ذلك ورتبه على حدوده (٥) .

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٠٣/٢ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ط بيروت ، ص ٣٢٠ .
(٣) الأنصاري ، تفريج الكروب ، ص ٦٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ، ص ٣٤٠ .

وعند التقاء الجيش بالعدو والتحامه به ، وكيفية قتال الأندلسيين لأعدائهم ، فقد قدم لنا الطرطوشي نصا فريدا يبين لنا تدبير الاندلسيين في الحرب فقال " فأما صفة اللقاء ، وهو أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا ، وهو أرجى تدبير نفعله في لقاء عدونا ، أن نقدم الرجالة بالدروق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المحنونة النافذة ، فيصفوا صفوفهم ، ويركزوا مراكزهم ، ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض ، وكل رجل منهم قد ألقم الارض ركبته اليسرى ، وترسه قائم بين يديه ، وخلفهم الرماة المختارون الذين تمرق سهامهم من الدروع ، والخيل خلف الرماة فاذا حملت الروم على المطمين لم يتزحزح الرجالة عن هيئتهم ،ولايقوم رجل منهم على قدميه ، فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب ،والرجالة بالمزاريق ، وصدور الرماح تلقاهم ، فأخذوا يمنة ويسرة فتخرج خيل المطمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ماشاء الله "(١) .

ومن الأساليب القتالية التي استخدمها الأمويون في الأندلس أسلوب الحصار العسكرى للمناطق التي يستعصى فتحها عليهم وقد أكثر عبد الرحمن الناصر على وجه الخصوص من هذا الاسلوب ، الذى كان فعالا وناجحا بدرجة كبيرة وادى في نهاية الامر الى استنزال العصاة وخضوعهم للسلطة المركزية ويتجلى لنا ذلك في حصار الناصر لطليطلة في سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م فكان الحصار أشبه بحصار دائم فقد أمر الناصر ببنيان مدينة حول طليطلة سماها مدينة الفتح وحشد الآلات والايدي عليها(٢) وكذلك فعل عند حصاره لسرقسطة في سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م حيث ضيق عليها الحصار وأمر قواده ومواليه بالاختطاط فيها ، وآخذ بمخنق المدينة حتى أذعنت الى الطاعة(٣) .

وكان الجيش الاسلامي في الأندلس كثيرا مايلجأ الى هدم الأسوار والحصون والقناطر المحيطة بالمناطق التي يريدون فتحها ففي سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م اغزى الامير هشام بن عبد الرحمن ، عبد الملك بن عبد الواحد بن

---

(١) ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ،ت ٥٢٠هـ ،سراج الملوك ومنهاج الولاة والوزراء ، طبع الاسكندرية سنة ١٢٨٩هـ ،ص ٣٠٨ – ٣٠٩ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب . شالميتا ص ٢٨٢ ومابعدها .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٤٠١ ومابعدها .

مغيث في جيش كثيف الى أرض الفرنج ، فبلغ أربونة وجرندة التي بدأ بها وهدم أسوارها وأبراجها ، وقتل رجالها وأشرف على فتحها وكذلك فعل باربونة ، وأوغل في بلاد الفرنج ، وهدم كثيرا من حصونهم (١) ٠

وكذلك فعل عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث عندما غزا بلاد الفرنج في سنة ٢٠٠هـ حيث توسط في بلادهم وهدم كثيرا من حصونهم (٢) ٠

ولجأ الأمير محمد بن عبد الرحمن الى هدم قنطرة طليطلة عند حصاره لها في سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م ، واحتال في هدمها وكانت من الضخامة بحيث عجز الواصفون من وصفها (٣) ٠

التواعد العسكرية :

ومن الاساليب الدفاعية التي لجأ اليها المسلمون في الاندلس بناء المدن والقلاع والحصون في المناطق المتاخمة لأعداء الدولة ، فلقد أمر الأمير محمد ببنيان حصن اشتيرش لحماية مدينة سالم ، وبنى لأهل ثغر طليطلة ، حصن طلمنكة ، وحصن مجريط ، وحصن بنه فراطة (٤) وبنى كذلك حصن أبدة بكورة جيان في سنة ٢٣٩ هـ/ ٨٥٣م ، وضم اليه العرب المقيمين على الطاعة ، فسميت أبدة العرب (٥) ٠

وفي سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م ، شرع الناصر لدين الله في ابتناء قلعة خليفة بثغر طليطلة وتحصينها ، وانزال الرجال بها ، وادخال العدة والذخائر فيها (٦) وفي هذه السنة ايضا بنيت مدينة سكتان الخراب بثغر الجوف ، وحصنت من جميع الجهات السهلية فادخر فيها الناصر الاقوات وألزم الجند سكناها ، فاعتز بها ثغر الجوف عزا شديدا ، وصارت شجا في حلوق الاعداء من النصارى (٧) ٠

وفي سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م ابتنى الناصر مدينة سالم القديمة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٠١ ومابعدها ٠
(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٩٤/٥ ٠
(٣) المصدر نفسه ، ١٨٠/٥ ٠
(٤) أبو عبيد البكري ،جغرافية الاندلس ،ص ٨٧ ، المقري ،نفح ، ١٦٢/١٠
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٣٢ ٠
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٩٤ ٠
(٧) المصدر نفسه ،تحقيق شالميتا ، ص ٤٥٦ ٠

لتعطيل الثغر الاوسط الشرقي ، المواجهة لبلد قشتيلة وهي يومئذ خالية مقفرة وارسل لذلك غالبا مولاه في جيش جرده معه من الحضرة ، وانفذ العهد الى قواد الثغر بالاجتماع اليه لبنيانها ، فسارعوا الى امره وبنيت احسن بناء ، ونقل اليها البناؤون من بلاد الثغر للاختطاط لديارها والرباط بها فتم ذلك في صفر من هذه السنة واطمانت الدار بمن نزلها من المسلمين ، واكتمل بناؤها وعمرانها على مرور الايام فنفع الله المسلمين بها وصيرها شجا في حلوق الكافرين" (١) .

ومن ذلك يتضح ان الهدف من بناء هذه المدن والقلاع والحصون ، وشحنها بالرجال والجنود والالات والمعدات الحربية قصد منه أن تقف سدا منيعا أمام الاعداء ، وقد حققت الغرض من بنائها .

الاستخبارات العسكرية :

ومن الاساليب التي استخدمتها الدولة الاموية في الاندلس اسلوب الاستخبارات العسكرية لمعرفة احوال العدو وتحركاته ، فقد رتب الخليفة الحكم بعض المسلمين الماهرين بالخدمة المعروفين بصدق اللهجة للسفارة بينه وبين ملوك جليقية ، ولقاء قواميسها ، والتردد اليهم في كل وقت ، لتعرف اخبارهم والتجسس لانبائهم وحمل الكتب اليهم في كل وقت (٢) ، وكان يبعث بالجواسيس ايضا لتتبع اخبار المجوس الاردمانيين (٣) .

وكتب الخليفة الحكم المستنصر الى قائده بالعدوة عبد الرحمن بن رماحس المحارب لحسن بن قنون الحسني كتابا جاء فيه : "ان افضل ما احتمل عليه وعمل به استشعار الحزم وادراع التحفظ ... واذكاء العيون ، وبث الجواسيس والاستكثار منهم ومن حملة الاخبار حتى لايخفى لحسن – اهلكه الله – حركة لاويتوارى له مذهب" (٤) .

---

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢١٤/٢ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجي ، ص ٧٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .
(٤) المصدر نفسه ، تحقيق د. الحجي ، ص ٩٧ .

نظام الاستنفار للجهاد :

اهتم امراء وخلفاء بني أمية في الاندلس ببعث همم المسلمين ، وبث روح الجهاد في نفوسهم ، كما اهتم العلماء ايضا بهذا الامر .

وقدم امراء بني أمية جميعا ، وكذلك خلفاؤهم بالاندلس القدوة في قيادة المعارك الحربية بانفسهم . فالامير هشام ابن عبد الرحمن "كان من اهل الخير والصلاح ، كثير الغزو والجهاد" (١) .

وعرف الامير محمد بن عبد الرحمن بانه كان غزاء لاهل الشرك والاختلاف ، وربما اوغل في بلاد العدو ستة اشهر او اكثر ، يقاتل في سبيل الله (٢) .

اما الناصر فقد كان "كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب" (٣) ، "وكانت له اليد البيضاء في جهاد العدو" (٤) .

وكان الحكم المستنصر كثيرا مايخرج الكتب الى الولاة والقواد والعمال بنواحي الاندلس ، يامرهم بارتباط الخيل ، والقيام عليها والتكثير منها والاستعداد بالعدد والاسلحة والالات للجهاد في سبيل الله (٥) .

كما ركز علماء الاندلس ايضا تركيز في الحث على الجهاد والمرابطة في سبيل الله استشعارا منهم باهمية هذه الفريضة قال ابن الهذيل : "ينبغي للامام أن يحض الناس ويحرضهم على الجهاد ، فقد امر الله تعالى بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال عز من قائل : {يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال} (٦) . والتحريض من افعال البر واعمال الخير واسباب

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ، ٣٣٨/١ .
(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٢٠/٥ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١١١/٢ .
(٣) المقرى ، نفح الطيب ، ٣٥٣/١ .
(٤) المقرى ، نفح الطيب ، ٣٦٣/١ .
(٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٣٨،٢٣٥/٢ .
(٦) سورة الانفال : آية ٦٥

الثبات عند اللقاء ، ومن باب التعاون على البر والتقوى ، وكان يقال محرض واحد خير من مائة مقاتل" . (١)

ومن ثم انطلق الاندلسيون حكاما ومحكومين ، يجاهدون فى سبيل الله ، ليس من اجل السيطرة على الشعوب وثرواتها ، وانما لتكون كلمة الله هى العليا ، ولنشر دين الله ، وصد الاعداء من القضاء على الرقعة الاسلامية فى الاندلس .

وعندما ينوى الامير او الخليفة الغزو ، كان يخرج منشورا الى الرعية يحثهم فيه على الجهاد ، ويستنفرهم للخروج فى سبيل الله ، ويقرا هذا المنشور على الناس فى المساجد الجوامع ، فتثوب نفوس الناس للجهاد .

ففى اوائل عصر الامير هشام بن عبد الرحمن ، انشغل المسلمون كثيرا بالفتن الداخلية عن الجهاد فى سبيل الله ، مما حدا ببعض الفقهاء باصدار فتوى بعدم وجوب دفع الخراج لامراء لايعرفون الا مقاتلة امة محمد صلى الله عليه وسلم وحدها ، وضربوا الامثال بخلفاء بغداد الذين لم يفتروا عن غزو الروم . (٢)

ولذلك فقد اراد الامير هشام ان يشغل الامة عن الفتن الداخلية عن طريق الجهاد ، وهذا فى نظره اجمع شىء للكلمة

---

(١) ابن هذيل ، تحفة الانفس ، ص ٢٩ . ومن العلماء الذين كتبوا فى هذا الباب ابن ابى زمنين : ابو عبد الله محمد بن عبد الله الذى كتب كتابا فى احكام الجهاد سماه "قدوة الغازى"وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية بمدريد برقم ٥٥٤٩ . واشتمل الكتاب على عدة أبواب منها : باب ماجاء فى ارتباط الخيل والغزو عليها . ماجاء فى الانفاق فى سبيل الله والتقوية . ماجاء فى الرمى واتخاذ العدة والسلاح فى سبيل الله . مايؤمر به الغزاة وينهون عنه . الحث على مكارم الاخلاق . ماجاء فى رمى العدو بالنار والمجانيق وقطع الماء والمير عنهم . ماجاء فى فضيلة الحارس فى سبيل الله . مايستحب القول عند الخروج وعند النزول عند دخول القرى . ماجاء فى الفرار من الزحف والانحياز الى الفئة وحمل الواحد على الجماعة .

(٢) عبد الحميد العبادى ، المجمل فى تاريخ الاندلس ، ص ٨٧-٨٨ .

وهدفه كذلك استرجاع ماضاع من البلاد على يد شارلمان وأبيه من قبل اذ ان الفرنجة احتلوا كثيرا من الاراضي الاسلامية داخل اسبانيا (١).

ومن ثم فقد أعلن الأمير هشام الجهاد ، وقرىء منشوره في الجوامع ، فتجمع لديه المجاهدون حتى بلغوا لديه مائة الف مقاتل (٢).

ولما حلت بالمسلمين محنة المجوس في سنة ٢٣٠هـ ، كتب الأمير عبد الرحمن الاوسط الى عمال الكور في استنفار الناس للجهاد ، لصد غارات المجوس (٣).

وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن عندما يريد الخروج للغزو في الصوائف يكتب لعماله على الثغور ، بالاحتشاد اليه ، والانضمام الى جيشه ، للدخول الى اراضي الأعداء (٤).

اما عبد الرحمن الناصر فقد أكثر من الكتب التي تستنفر الناس للجهاد . ففي اول غزوة غزاها بنفسه في سنة ٣٠٠هـ ، انفذ الكتب الى عمال الكور والنواحي المقيمة على طاعته في الاحتشاد لهذه الغزوة ، والاستعداد للنهوض معه فيها ، فكان اول من استجاب لامره اهل جند دمشق الذين هم أهل كورة البيرة (٥).

وفي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م ، تطاول النصارى على أهل الثغور من المسلمين عندما رأوا توقف الصوائف عنهم ، فعزم الناصر على مجاهدتهم ، وأمر بالاحتفال في جميع الرجال ، واكثاف العدد ، واستنفار المتطوعة ، وندب حاجبه بدر بن احمد

---

(١) د. ابراهيم علي طرخان ، المسلمون في اوربا في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ١٨٥ .
(٢) خليل صالح السامرائي ، الثغر الأعلى الأندلسي ، ص ٢٤٢.
(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٧/٢ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٧٩ .
(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٩٦/٥ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٩٥/٢ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، ٥٨/٥ .

للخروج بهذه الصائفة وانفذ الكتب الى أهل الاطراف والثغور بالذهاب اليه ، والدخول فى عسكره واجتماع الايدى والافئدة على جهاد الكفرة ، والايقاع بهم فى وسط بلدهم ، فتم ذلك على مارسمه (١) .

ولما هم طاغية الجلالقة اردون بن اذفونش بغزو ثغر الجوف فى سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م ، عزم الناصر على مجاهدته بنفسه "فشرع فى ذلك لاول وقته ذلك ، وعهد بالنظر فى اسبابه والاحتفال فيما يجمعه من العدد والعدة ، وامر بمخاطبة القواد والعمال باقطار الاندلس ، واستنفار المسلمين لجهاد اعداء الله ، وترغيبهم بالخفوف ، فنفذ عنه فى ذلك كتابه الطويل المشهور من انشاء متقلد الكتابة العليا عبد الرحمن ابن الحاجب بدر بن احمد ، وكتب عنه ايضا عبدالرحمن منشورا احتف به على اهل حضرته قرطبة فى مسجدها الجامع فى الحض على الجهاد والاستنفار الى الاعداء ، ووالوا بقراءته جمعا متوالية فثابت نفوس الناس وتحركوا للجهاد ، وقوى نشاطهم لخروجهم مع سلطانهم الميمون النقيبة ، وتقدموا فى الاعداد والاهبة وانتهى بهم اهل الطاعة فى سائر البلاد فتحركت منهم جموع جمة (٢) " .

ولما كثرت اعتداءات الجلالقة على اهل الثغور الشرقية واضرارهم بالمسلمين فى هذه المناطق ، فقد بعث الحكم المستنصر فى سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م ، عددا من اصحاب الشرطة العليا والوسطى ، فى استنفار الناس للجهاد ، وتحريكهم فى ارتباط الخيل المبتعثة مع جيش الصائفة الازف تجريدها فى هذه السنة (٣) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ١٤٦/٥ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ١٥٥/٥-١٥٦ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢١٦ .

نخلص الى أن الامويين فى الأندلس قد أدوا دورهم المنوط بهم خير أداء ، وجاهدوا فى سبيل الله بانفسهم وأموالهم ، ولم يتوانوا فى الدفاع عن الدولة الإسلامية ، وصد غارات النصارى عليهم . وكانوا يحثون المسلمين على الجهاد والمصابرة فى سبيل الله ، ويخرجون الكتب الى القواد والعمال فى مناطق الأندلس المختلفة لاستنفار الناس للجهاد . وعندما تصل هذه الكتب الى النواحى المختلفة ، وتقرأ على الناس فى مساجدهم سرعان مايلبى كثير من الناس نداء الأمير او الخليفة بالخروج للجهاد طلبا للشهادة فى سبيل الله .

التبشير بالنصر والتهنئة به :

كان القادة المسلمون اذا تم لهم النصر والظفر على أعدائهم في المعارك التي يخوضونها ، يكتبون الى الأمير أو الخليفة بالعاصمة قرطبة ، لاعلامه بهذا الانتصار ، وتهنئته وتبشيره بما فتح الله به على المسلمين من خير ونصر ، هذا اذا لم يكن الامير أو الخليفة شاهدا للمعركة بنفسه . وكان الامراء يقومون بدورهم بالكتابة الى الآفاق المختلفة لاذاعة انباء هذه الانتصارات على الملأ ، فتقرأ على المسلمين في مساجدهم وأماكن تجمعهم ، ليستبشروا بنصر الله .

فعقب تصدي المسلمين لغارات المجوس على اشبيلية سنة ٢٣٠هـ ، وقتل قادتهم ، واحراق مراكبهم ، خرجت الكتب الى الآفاق بخبر هذا الانتصار عليهم . وكتب الأمير عبد الرحمن الى من بطنجة من صنهاجة ، يعلمهم بما كان من صنع الله في المجوس ، وبما أنزل الله فيهم من النقمة والهلكة ، وذلك تأمينا لهم ، وتبشيرا لهم بهذا الانتصار ، وكان المجوس قد أثاروا الرعب والفزع في نفوس الناس (١) .

وعندما انتصر الأمير محمد بن عبد الرحمن على نصارى جليقية الذين يعاونهم أهل طليطلة في سنة ٢٤٠هـ ، وكان الانتصار عظيما ، فرح له المسلمون فرحا شديدا ، وكبروا وهللوا وحمدوا الله حمدا كثيرا ، بعث الأمير محمد الى قرطبة ، والى سواحل البحر ، والى العدوة يبشرهم بهذا النصر (٢) .

وعندما انتصر الحاجب بدر بن أحمد على النصارى في غزوة مطونية سنة ٣٠٦هـ ، وكان فتحا عظيما للمسلمين ، ورد

---

(١) انظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/٨٧-٨٨ .
(٢) انظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/٩٤-٩٥ .

الكتاب بذلك الى الناصر لدين الله يوم الجمعة لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول من هذه السنة ، فملأه سرورا ، واكثر الله عليه شكورا ، وامر بقراءته في الجوامع ، وكتب به الى الاطراف . (١)

وفي سنة ٣١٦هـ ، بعد انتصار الناصر على حفص بن عمر ابن حفصون ، ودكه لحصون ببشتر ، كتب الى العمال في الآفاق يعلمهم بهذا الفتح المبين ، وهنات الشعراء الناصر لدين الله بهذا الانتصار ، وقالوا في ذلك اشعارا حسنة كثيرة . (٢)

وفي سنة ٣٢٨هـ ، وردت على الناصر كتب كثيرة من قادته على النواحي تبشره كلها بالانتصار على أعداء الله النصارى ففي رجب فقط من هذه السنة ، وردت اربعة كتب في يوم واحد من مواضع مختلفة ، كلها بخبر وقائع باعداء الله ، قرئ جميعها على الناس في المسجد الجامع . (٣)

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/١٤٦-١٤٧ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٢١٩-٢٢٠ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٤٥١-٤٥٢ .

معاملة الأسرى وفداؤهم :

الاسرى هم الرجال المقاتلون من الكفار ، الذين يظفر المسلمون باسرهم احياء . وقد اختلف الفقهاء في حكمهم ، فذهب الشافعي الى ان الامام مخير فيهم اذا اقاموا على كفرهم بين أربعة اشياء : اما القتل ، واما الاسترقاق ، واما الفداء بمال أو اسرى ، واما المن عليهم بغير فداء . وقال مالك : يكون مخيرا بين ثلاثة اشياء : القتل ، أو الاسترقاق ، أو المفاداة بالرجال دون المال ، وليس له المن وقال ابو حنيفة : يكون مخيرا بين شيئين : القتل او الاسترقاق وليس له المن ولا المفاداة بالمال ، وقد جاء القرآن الكريم بالمن والفداء (١) ، قال تعالى : {فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها} (٢) .

وقال ابو يعلى : ان الامام مخير في فعل الأصلح : من احد اربعة اشياء : "اما القتل ، واما الاسترقاق ، واما الفداء بمال أو أسرى ، أو المن بغير فداء" (٣) .

وكان الامويون في الاندلس يميلون الى قتل الأسرى في كثير من الاحيان ، كما كانوا يسعون الى مفاداة الأسرى في احيان أخرى .

ففي سنة ١٩٤هـ ، غزا الحكم بن هشام ارض الشرك ، وكان السبب في هذه الغزوة ، ان العدو لما رأى انشغال الحكم باحواله الداخلية ، عظمت شوكته ، وقوي امره ، فشن الغارات على اهل وادي الحجارة يقتل ويسبي ، فصاحت امرأة في ناحية من وادي الحجارة وهي تقول : "واغوثاه ياحكم ! قد ضيعتنا

---

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٣١ .
(٢) سورة محمد : آية ٤
(٣) أبو يعلى الحنبلي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤١ .

واسلمتنا واشتغلت عنا ، حتى استاسد العدو علينا!" فلما وصلت مقولتها الى الحكم ، امر بالاستعداد للجهاد ، وخرج غازيا الى ارض الشرك ، فافتتح الحصون ، وهدم المنازل وقتل كثيرا ، واسر كثيرا ، وقفل على تلك الناحية التى كانت فيها المراة ، وامر لاهل تلك الناحية بمال من الغنائم ، يصلحون به احوالهم ، ويفدون سباياهم ، وخص المراة واثرها واعطاهم عددا من الاسرى عونا لهم على المفاداة . وامر بضرب رقاب باقيهم .(١)

وكانت الدولة تحتفظ احيانا ببعض الاسرى مدة طويلة . فعندما اسر الامير محمد فى سنة ٢٤٦هـ فرتون بن غرسية المعروف بالانقر ، ابن صاحب بنبلونة ، الذى ظافر صاحب جليقية فى حربه ضد المسلمين ابقاه الامير محمد عشرين عاما فى الاسر ، ورده بعدها الى بلاده .(٢)

وفى احدى معارك الامير عبد الله مع ابن حفصون سنة ٢٧٨هـ ، اسر اكثر من الف رجل من جند ابن حفصون ، فضربت اعناقهم بين يديه .(٣)

وعندما غزا الامير عبد الرحمن بن محمد الحصن المعروف "بحصن بلدة" فى سنة ٣٠٦هـ ، استنزل من كان فيه من المسلمين ، وطلبوا الامان لانفسهم فاستامنهم ، اما النصارى الذين كانوا بالحصن فقد مضوا لشانهم فى الحرب ، فشدد عليهم الامير عبد الرحمن القتال بواسطة حشمه ، الذين اقتحموا الحصن وفتحوه ، وقتلوا اهله ، واسروا عددا من قوادهم ووجوههم ، فقيدوا الى سرادق السلطان ، فامر بضرب اعناقهم ساعة وقفوا بين يديه .(٤)

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٧٣/٢ ، المقرى ، نفح ، ٣٤٣/١ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٣١٠ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٩٧/٢ ، المقرى ، نفح الطيب ٣٥١/١ . واورد المقرى هذه الحادثة فى سنة ٢٤٧هـ .
(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٢٣/٢ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ١٤٩/٥-١٥٠ .

وفي سنة ٣٢٧هـ ، تمكن محمد بن قاسم بن طملس من اسر مائة من وجوه نصارى جليقية عند اطراف الثغور فارسلهم جميعا الى قرطبة ، الى باب السدة ، فضربت رقابهم جميعا بين يدي الناصر ، وبمرأى عينيه والناس شهود .(١)

هذه بعض الامثلة من عصرى الامارة والخلافة لمعاملة الاسرى في الاندلس خلال هذه الفترة . ويتضح منها أن المسلمين كانوا يرون قتل زعماء الفتنة الذين يقعون في الاسر ، احقاقا لشرهم ، وليكونوا عبرة وعظة لغيرهم .

فداء الاسرى :

كان المسلمون في الاندلس يسعون الى مفاداة اسراهم ، وعدم تركهم فريسة للاعداء . فكان البعض يوصى بعد موته بفك اسير من تركته .(٢)

وكانت الدولة تبذل قصارى جهدها في فك الاسرى ، خاصة اذا كان هذا الاسير من قواد الدولة المشهود لهم بالكفاءة ، كما هو الحال في الوزير هاشم بن عبد العزيز ، الذى اسره عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، واسلم الى طاغية الجلالقة ادفنش ، الذى سر كثيرا باسر هاشم بن عبد العزيز .(٣)

وظل هاشم في الاسر الى أن افتداه الامير محمد بمبلغ مائة وخمسين الف دينار .(٤)

وفي غزوة الخندق سنة ٣٢٧هـ ، اسر رذمير بن اردون طاغية جليقية ، محمد بن هاشم التجيبي صاحب سرقسطة ، فاشتد اسره على الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وعلى المسلمين ،

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ٤٣١/٥-٤٣٢ .
(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢١٦/٥ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٣٧٢ ومابعدها ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٠٢/٢-١٠٣ .
(٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ١٠١ ، محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، ٣٠٦/١ .

فسعى الناصر سعيا حثيثا لإطلاقه من الأسر ، وغالى رذمير كثيرا في سومه ، والناصر لايأتلي في السعي لافتكاكه ، الى ان تهيأ له ذلك بالبذل الرغيب والحيل المرهقة ، فاطلق من الأسر بعد سنتين وثلاثة أشهر (١) . وقد اضطر الناصر لعقد سلم مع رذمير ، تهيأ بموجبه اطلاق محمد بن هاشم من الأسر (٢) .

وكان بعض الممالك النصرانية تتقرب الى الخليفة باهدائه بعض أسرى المسلمين ، دونما مقابل ، كما فعل صاحب برشلونة مع الخليفة الحكم المستنصر (٣) .

الصوائف :

الصوائف (جمع صائفة مشتقة من الصيف) وهي الحملات التي جرت عادة امراء بني امية وخلفائها على توجيهها الى دار الحرب خلال فصل الصيف (٤) .

وكان على الأمير أو الخليفة ان لايغفل امر هذه الصوائف في كل عام لان فيها قمع للعدو ، وعز للاسلام وحسم طمع ولاة الثغور عن التغلب

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٤٣٥-٤٣٦ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٤٦٦ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . الحجي ، ص ٢١ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكي ، ص ٢٦٧ ، حاشية رقم ١٠٧ .

والتعزز الذى هو سبب الدمار والبوار (١) .

وكان أسلوب الصوائف من أفضل الاساليب التعبوية الهجومية التي استخدمها الأمويون في الأندلس ، وهو أسلوب معروف ، مارسته الدولة العربية الاسلامية في المشرق ضد البيزنطيين بشكل فعال (٢) .

وكان أمراء بني أمية وخلفاؤها في الأندلس يقودون هذه الصوائف بأنفسهم في كثير من الأحيان ، فقد قاد الأمير محمد صائفتي ٢٤٠هـ/٨٥٤م-٢٤١هـ/٨٥٥م بنفسه (٣) ففي سنة ٢٤١هـ غزا بالصائفة وكتب الى أهل الثغور بالاحتشاد اليه والدخول معه الى ألبة والقلاع ، فمضوا معه ودخل بهم الى أرض العدو ، فبلغ أقصى بلدهم ، وانتسف بسائطهم ، وفتح كثيراً من حصونهم (٤) .

وكذلك خرج الامير عبد الله في صائفة سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ،بنفسه الى الحصون التي انقلبت عنه الى ابن حفصون (٥) .

وفي حالة عدم خروج الامير بالصائفة ، كان يعهد الى ولي العهد بقيادتها ، فقد غزا المنذر بن محمد في صوائف سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م ، ٢٦٤هـ/٨٧٧م ، ٢٦٥هـ/٨٧٨ م ، وهو ولي عهد والده (٦) .

وكان يوكل أمر الصائفة احيانا الى كبار القواد مثل القائد أحمد بن محمد بن أبي عبده الذى كان يعهد اليه الناصر لدين الله بقيادة الصوائف (٧) .

وكان الاستعداد للصائفة يبدأ من شهر يونيو وكانت قيادة الجيش تتكتم دائما اخبار الطريق الذى ستسلكه حملة الصائفة حتى تكون ضرباتها مفاجئة للعدو (٨) .

---

(١) ابن هذيل الاندلسي ، تحفة الانفس ، ص ٢٥ .
(٢) د. عبد الواحد طه ذنون ، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في العصر الاموي ص ٢٠ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ٢٩٥ — ٢٩٦ ، ص ٣٠٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٤ .
(٥) المصدر نفسه ،نشر ملشور ، ص ٥٣ .
(٦) المصدر نفسه ،طبعة بيروت ، ص ٣٤١ ، ٣٠٥ ، ٣٩٢ .
(٧) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/١٧٠ .
(٨) ابن حيان ، المقتبس ص ٢٦٢ ، حاشية رقم ١٠٧ .

وقد أدت حملات الصوائف هذه دورا بارزا في قمع أعداء الدولة والحد من توغلهم في الاراضي الاسلامية ، وكان الجيش الاسلامي الأندلسي وفق هذا النظام يظل في حالة استعداد دائم ، مما أكسبه كثيرا من الخبرات القتالية وسنرى أثر هذه الصوائف في حركة الجهاد الاسلامي في المبحث الثالث من هذا الفصل .

الثغور الأندلسية :-

يطلق الثغر على كل موضع قريب من أرض العدو ، كأنه مأخوذ من الثغرة ، وهي الفرجة في الحائط (١) .

وتوجد في الأندلس ثلاثة ثغور ، هي الثغر الأعلى وتشمل ولاية سرقسطة واعمالها ، والثغر الاوسط أو الادنى ، وكانت قاعدته في أول الامر مدينة سالم ، ثم استبدلت بطليطلة ، والثغر الادنى ويشمل المنطقة الواقعة بين نهر الدويرة ونهر التاجة ، ومن أشهر مدنه قورية وقلمرية (٢)

وكانت هذه الثغور تشكل مصدر قلق دائم للامارة والخلافة الأموية الاندلسية ، من قبل الاندلسيين المسلمين والنصارى المقيمين فيها ومن قبل الممالك النصرانية المتاخمة لها على السواء وقد رأينا في مبحثي الامارة والخلافة ماعانته الدولة الأموية من قبل طليطلة وسرقسطة ، والمتاعب التي سببتها للدولة .

ولما كانت هذه الثغور مصدر خطر للدولة ، ويمكن أن ينفذ منها الأعداء الى الدولة ، فقد اشترط في ولاتها " أن يكونوا من أهل الورع والصرامة ، شجعان النفوس ، وان لم يكونوا يحسنون الفروسية ، ذوي سياسة وكتمان لاسرارهم ، وصبر ومداراة ، مجدين ليس لشيء من الهزل اليهم طريق " (٣)

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٧٩

(٢) خليل ابراهيم صالح السامرائي ،الثغر الأعلى الأندلسي ،بغداد — ١٩٧٦م— ص٣٩ .

(٣) ابن الهذيل الاندلسي ، تحفة الانفس ، ص ٢٣ .

وان يكونوا ذوى انفة وحيل وقوة على الاسفار والحركة مائلين الى خشونة العيش ، علماء باحكام الجهاد والمصالحة واحكام الفيء والخمس ، والمغانم والانفال" (١).

وعلى الامير أن يجرى على والى كل ثغر مايقوم به وباعوانه ودوابه ويتفقد تحصين الثغور وبنيانها وادرار الارزاق على الادلاء والجواسيس (٢).

وقد أولى أمراء بنى أمية عناية كبيرة لهذه الثغور فقد كان هشام بن عبد الرحمن من أمراء بنى أمية المهتمين بتحصين الثغور وكان لايقتل احد من جنده فى شيء من ثغوره او جيوشه الا الحق ولده بديوان أرزاقه (٣).

أما الناصر لدين الله فقد اهتم اهتماما كبيرا بشحن الثغور . ففى رجب سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م ، شحن الاعوان من احشامه ووضعهم فى مدن الاندلس وحصونها وقصابها وفروج ثغورها ، فجبر السقط منهم وتمم نقائصهم وزاد فى الحاق العرفاء منهم وطبقات الحشم ووفارة عددهم وامر باعداد الاقوات والاعلاف فى الفروج التى احلهم بها من ثغوره لمدة عام ، من القمح والشعير والادام والملح والحطب ، وغير ذلك مما يعد للحصار ان نزل ، واحراز ذلك كله فى ذرى القصاب المنيفة ، والتكثير من ادخاره ، استظهارا على الحوادث الطارئة ، والنفذ إمداده لذلك ، فانبثوا الى ماحده منهم ، والحت ثغور المسلمين مخصبة موفورة ، يتعهدها كل حين بنظره فلاتنحل من اواخيها عروة (٤).

وفى سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م ، بعث الناصر بالوزير محمد بن أحمد بن حدير الى الثغر الاقصى مزودا بالمال والكساء وكان

---

(١) ابن الهذيل ، تحفة الانفس ، ص ٢٣-٢٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .
(٣) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ١٠٩ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٤٥٦ .

بسبب اخراجه أن العدو اختلس حصن لبابة من حصون وشقة ، فمضى لسبيله ، وضبط الثغر ومايليه بنفسه .(١)

وفي هذه السنة ايضا استكمل الناصر لدين الله بناء مدينة سكتان بثغر الجوف واخرج اليها احمد بن يعلى في فروض من الحشم ، واستطاع احمد بن يعلى أن ينفذ من مدينته الى داخل أراضي جليقية ويحقق انتصارات باهرة على طاغيتهم ردمير بن اردون ، مما جعله يعجل في طلب السلم .(٢)

ولما شكا أهل طرطوشة القاصية من الثغر الاعلى ثقل المغارم التي عليهم مع قربهم من العدو ، أسقطها الناصر عنهم وكتب لهم بذلك عهدا ليتقووا في محاربة العدو .(٣)

ومن مظاهر اهتمام الخليفة الحكم بالثغور ، انه في سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م ، أخرج أحد قواده الى مدينة سرقسطة ام الثغر الاعلى بطائفة من انجاد الاجناد مددا لذلك الثغر ، ربطهم فيه .(٤)

ولم يأل الخليفة الحكم في تقوية الثغور بكل معنى من الامداد والارفاد ، وقد بلغه أن العدو قد تحرك يريد سرقسطة في سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م فانفذ اليهم مولاه غالب بن عبد الرحمن بالحشد من جنوده والحق به صاحب الشرطة عبد الرحمن بن يحيى ابن محمد بن هاشم التجيبي ممدا وقائدا .(٥)

وكان الخليفة الحكم كثيرا مايرسل الى أهل الكور يحثهم على ارتباط الخيل ، عندما تحتد الازمات على اهل الثغور ، ليكونوا على اهبة الاستعداد للمشاركة في الدفاع عن هذه الثغور .(٦)

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٤٦٨-٤٦٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٦٥-٤٦٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٦٨ .
(٤) المصدر نفسه ، تحقيق الحجي ، ص ١٠٦ .
(٥) المصدر نفسه ، تحقيق الحجي ، ص ٢٢٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢١٦ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٣٨/٢ .

وللاهمية العسكرية لسرقسطة قاعدة الثغر الاعلى ، فقد كان قائد الجند ، بها واحدا من ثلاث شخصيات لايقطع الخليفة فى امر دون مشاورتهم ، لعظم هذا الموقع ، وكونه الثغر ، ومحل الدفاع عن الاندلس فلم يكونوا يقدمون له الا من اشتهرت نجدته وغناؤه (١) .

العطاء :

قال ابن الهذيل الاندلسى : وينبغى للامام ان يرتب للجند ارزاقا معلومة لكل طائفة على قدر الكفاية ، ولايطمع احد ان يزاد له فى رزقه ، ومن ابلى منهم ، واراد الامير ان يحسن اليه وصله صلة غير مرتبة حتى لايفتح ابواب الطمع بين الجند ولايستطيع ان يسدها (٢) .

وكانت الدولة الاموية فى الاندلس تعطى الجند ارزاقا عالية الا انه ليست لدينا معلومات مفصلة عن المقدار الذى كان يتقاضاه الجند النظامى المدونين فى ديوان الارزاق ونستشف أن الارزاق كانت عالية من خلال ماذكره ابن خلدون والمقرى من ان ثلث دخل الدولة فى عصر الامارة والخلافة كان يذهب للجند (٣) ، وهذا يفسر لنا مدى ضخامة الانفاق العسكرى فى الاندلس ، وكذلك ضخامة الأعمال العسكرية .

اما أهل الاجناد فقد ترك لهم حق استغلال الأراضى الزراعية المقطعة لهم مقابل تقديمهم لعدد من الجند فى اثناء الغزو ، فقد ذكر الطرطوشى مانصه : "وسمعت بعض شيوخ الاندلس من الجند وغيرهم يقولون مازال اهل الاسلام ظاهرين

(١) ابن سماك العاملى ، الزهرات المنثورة ، ص ١٢٨ .
(٢) تحفة لانفس ، مخطوط ، ص ٢٥ .
(٣) العبر ، ٢٨٨/٤ ، المقرى ، أزهار الرياض ، ٢٧١/٢ ، نفح ١٤٦/١ ، ٥٢٥/٢ .

على عدوهم وأمر العدو فى ضعف وانتقاص ، لما كانت الارض مقتطعة فى أيدى الاجناد ، فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربى التاجر تجارته ، فكانت الاراضى عامرة والاموال وافرة ، والاجناد متوافرين ، والكراع والسلاح فوق مايحتاج اليه الى ان كان الامر فى آخر أيام ابن أبى عامر ، فرد عطايا الجند مشاهرة واخذ الاموال على القطع وقدم على الارض جباة يجبونها فاكلوا الرعايا ، واحتجنوا اموالهم ، واستضعفوهم فهربت الرعايا ، وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان ، وضعفت الاجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى اخذ الكثير منها" (١). واضافة الى ذلك فقد كان الامير أو الخليفة يمنح صاحب اللواء الغازى من الشاميين من أهل الاجناد مائتى دينار ، كما كان يمنح الجند الذين يتبعون لصاحب اللواء الغازى عشرة دنانير عند انقضاء الغزو (٢).

تلك هى اهم التنظيمات العسكرية فى الاندلس خلال هذه الفترة ، ويتضح من العرض السابق لهذه التنظيمات العسكرية مدى الجهد الذى بذله الامويون فى الاندلس فى سبيل الارتقاء بالجيش الاندلسى تدريبا وتسليحا وتنظيما .

---

(١) سراج الملوك ، ص ٢٠٩ .
(٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١١٠ .

(المبحث الثاني)

البحرية الاسلامية في الأندلس وتنظيماتها

المبحث الثاني

نشأة البحرية الاسلامية في الأندلس :-

لم تنشأ البحرية العربية في الأندلس ، الا بعد أن قطعت البحرية الاسلامية في المشرق شوطا كبيرا من التقدم والتطور ، فقد اقتضت طبيعة الأندلس الجغرافية الاهتمام ببناء أسطول بحري قوي يحمي شواطئها المترامية الأطراف .(1) فالأندلس عبارة عن شبة جزيرة يحيط بها الماء من جميع جهاتها الثلاث الشرقية والجنوبية والغربية .(2)

وكان للسفن أهمية كبرى في فتح الأندلس ، فقد عبر المسلمون الذين فتحوا الأندلس الى جزيرة طريف ، وعددهم سبعة آلاف في أربع سفن فقط ، وذلك في سنة ٩٢هـ/٧١٠م فاختلفت السفن بالرجال والخيل على الجانب الآخر من البحر وأنزلت حمولتها ، ومازالت السفن تختلف حتى تكامل عدد المسلمين الذين أنجزوا عملية الفتح الأولى .(3)

ويفهم من هذه الرواية محدودية الأسطول الأندلسي اذ لم يكن للمسلمين غير هذه السفن الأربع وعلى الرغم من محدودية الأسطول الا أنه أدى دورا كبيرا في الفتح الأسلامي للأندلس .

وكذلك فقد عبر عبد الرحمن بن معاوية الى الأندلس في مركب مع بعض مواليه ،(4) ونزل في مرسى المنكب في ربيع أول من سنة ١٣٨هـ ومنه انطلق الى داخل الأندلس حتى أسس دولته وكان عليه آن يولي اهتماما كبيرا بانشاء الأساطيل البحرية ، ولكن شغلته الأحداث والفتن الداخلية عن الاهتمام بهذا الجانب ، فقد سبقت الاشارة الى أن عصره وعصر خلفائه قد امتاز بكثرة الثورات الداخلية وهذا لايعني أن عبد الرحمن الداخل قد أهمل البحرية اهمالا تاما .

فقد عمل الداخل على اعادة الحياة الى دور الصناعة القديمة

---

(1) محمد عبد العزيز عثمان ، البحرية العربية في الأندلس ، مجلة المورد ، المجلد الثاني عشر ، العدد الرابع - وزارة الثقافة والاعلام - بغداد ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص ٦٠ .
(2) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٢ .
(3) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٧ .
(4) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨٦ .

بالأندلس ، وأمر ببناء سفن حربية في مراسي طركونة وطرطوشة وقرطاجنة وأشبيلية ، ومع هذا فقد بقيت البحرية الأندلسية محدودة الأثر والقوة.(1)

ظهور مراكب النورمانيين على شواطئ الأندلس وأثر ذلك في البحرية الأندلسية :

لقد ظل أمر الأسطول الاسلامي في الأندلس محدود الأثر والقوة ولم ينل الاهتمام اللازم من خلفاء الداخل ، الى أن طرق حادث نبه الأمويين الى ضعف سواحلهم ، وحاجتهم لأسطول اسلامي قوي ففي سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م ورد كتاب من عامل الأمير عبد الرحمن الأوسط على الأشبونة يذكر فيه : أنه حل بالساحل قبله ، أربعة وخمسون مركبا للمجوس ومعها أربعة وخمسون قاربا فخرجت الكتب الى العمال بالاحتراس ، وكان ذلك في أول ذى الحجة من هذا العام.(٢)

ومن الأشبونة تقدموا نحو اشبيلية في العام التالى ٢٣٠هـ/٨٤٤م يقول ابن سعيد : " ظهرت مراكب الأردمانيين المجوس بسواحل غرب الاندلس يوم الأربعاء لأربع عشرة خلت من محرم سنة ثلاثين ومائتين ، حلت على اشبيلية وهى عورة ، فدخلوها واستباحوها سبعة أيام الى أن جاء نصر الخصى وهزم عنها النصارى ".(٣)

وقبل أن ندخل في تفاصيل غارة المجوس الأردمانيين على الاندلس كما تسميهم المصادر العربية ، ينبغي أن نلم بأصل تسميتهم ، ومن أين جاؤوا الى الأندلس ؟

الأردمانيون المجوس :-

الأردمانيون هم النوردمانيون لأن عادة أهل الأندلس قلب النون الى همزة في أوائل أسماء الأعلام فهم يقولون مثلا " أربونة " في

---

(١) محمد بن عبد العزيز عثمان ، البحرية العربية في الأندلس ، ص ٦١ .
(٢) العذري ، ترصيع الأخبار ، ص ٩٨ .
(٣) المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٤٩ .

" نربونة "[1] والنورمانيون هم أهل الشمال ، وسكان الشمال هم سكان الدول الاسكندنافية الذى اشتهروا بنشاطهم الحربي البحرى ، وتعني كلمة فايكنج (VIKINGS) ، في الأصل اللغوى سكان الخلجان وينقسم الفايكنج الى ثلاث مجموعات ، منها مجموعة النورمان الدنماركيون الذين هاجموا سواحل شبة الجزيرة الايبرية (أسبانيا والبرتغال) [2] .

وأما تسميتهم بالمجوس ، فلعل العرب قد أطلقوا عليهم هذه التسمية ، لأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يمرون به ، فكانوا اذا نزلوا بمكان وعسكروا فيه أشعلوا نارا ضخمة في معسكرهم واذا فاجأوا بلدا اشعلوا النار في مبانيه ونهبوا مافيه ، ويغلب على الظن أن المسلمين حسبوهم من عباد النار فسموهم بالمجوس [3] .

هؤلاء هم المجوس الأردمانيون ، أو النورمانيون الذين هاجموا سواحل الأندلس الغربية في عصر عبد الرحمن الأوسط ، ودخلوا اشبيلية وأثاروا الفزع والرعب في نفوس أهلها ، وفي ذلك يقول ابن عذارى: " فخرج المجوس في نحو ثمانين مركبا ، كأنما ملأت البحر طيرا جونا* ، كما ملأت القلوب شجوا وشجونا فحلوا بأشبونة ، ثم أقبلوا الى قادس ثم الى شذونة ، ثم قدموا على اشبيلية ، فاحتلوا بها احتلالا ،ونازلوها نزالا ، الى أن دخلوها قسرا ، واستأصلوا أهلها قتلا وأسرا واتصل الخبر بالأمير عبد الرحمن ، فقدم على الخيل عيسى بن شهيد الحاجب وكتب الى عمال الكور في استنفار الناس ، فحلوا بقرطبة ونهض بهم نصر الفتى وتوافت للمجوس مراكب ، وجعلوا يقتلون الرجال ويسبون النساء ويأخذون الصبيان ، وذلك بطول ثلاثة عشر يوما " [4] .

---

(١) د. حسين مؤنس ، غارات النورمانيين على الأندلس ، ص ٢٤ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠ تعليقات المحقق ، وانظر أيضا د. حسين مؤنس ، غارات النورمانيين على الاندلس ، ص ٢٤ ، د. جليل الكبيسي ، غزوات النورمانيين على الأندلس ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٤٠ ، ص ١٤٥ .
(٣) د. حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .
* طيرا جونا اشارة الى أشرعة مراكب المجوس وكانت سوداء — أنظر د. حسين مؤنس ، غارات النورمانيين ، ص ٣١ ، هامش رقم (٣) .
(٤) البيان المغرب ، ٢/٨٧ .

ووقعت بينهم وبين المسلمين ملاحم ، ثم نهضوا الى قبطيل * فاقاموا بها ثلاثة أيام ، ودخلوا قورة على اثنى عشر ميلا من اشبيلية فقتلوا من المسلمين عددا كثيرا ، ثم دخلوا طلياطة على ميلين من اشبيلية ، فنزلوها ليلا ، وظهروا بالغداة بموضع يعرف بالفخارين ، ثم مضوا بمراكبهم ، ووقعت بينهم وبين المسلمين معركة هزم المسلمون فيها وقتل منهم عدد كبير (١) ثم عاد المجوس الى مراكبهم ، وتوجهوا نحو شذونه ومنها الى قادس ، وذلك بعد أن وجه الامير عبد الرحمن قواده اليهم ، ونصبت المجانيق عليهم ، وتوافت الأمداد من قرطبة اليهم فانهزم المجوس وقتل منهم نحوا من خمسمائة علج ، واصيبت لهم أربعة مراكب بمافيها ، فأمر ابن رستم باحراقها وبيع مافيها من الفئ ثم كانت الوقعة عليهم بقرية طلياطة يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر من السنة ، قتل فيها منهم خلق كثير واحرق من مراكبهم ثلاثون مركبا (٢) .

أضر هؤلاء النورمانيون بالمسلمين كثيرا بغاراتهم المفاجئة على الشواطئ الأندلسية ، وألحقوا الأذى بكثير من المنشآت الاسلامية وأزهقوا كثيرا من أرواح المسلمين ، وكان لصمود المسلمين في وجههم أثر كبير في صد تقدمهم ، فقد كانوا " أهل قوة وبأس وشدة (٣) " .

وكانت تخرج لهم كل يوم سرايا الى جهة فريش ولقنت والى جهة قرطبة ومورور ، فكمن لهم المسلمون عند قرية بالقرب من اشبيلية وتصدوا لجماعة منهم كانت تريد جهة مورور ، بلغ عددهم ستة عشر ألفا قضى المسلمون عليهم جميعا (٤) .

ولما رأى بقية المجوس بالمدينة ماحل بهذه الفئة ، فروا الى مراكبهم ، وارتفعوا فوق اشبيلية ، الى جانب قلعة الزعواق ، ولاقوا

---

* قبطيل ، هو مفرغ وادى طرطوشة في البحر ، ويعرف أيضا بالعسكر لأنه موضع عسكر به المجوس ، واحتفروا حوله خندقا . الحميرى الروض المعطار ، ص ٤٥٤ .

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٨٧/٢ – ٨٨ ، وانظر النويرى ،نهاية الأرب ٣٨٣/٢٢ – ٣٨٤ ،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ،ص ٢٢٢ ، العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٨٨/٢ ، العذرى ، ترصيع الأخبار ،ص ٩٩– ١٠٠ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ٣٨٣/٢٢ – ٣٨٤ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٠ .

(٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٧٩ – ٨٠ .

أصحابهم قد دخلوا المراكب ، والناس يناوشونهم ويرمونهم بالحجارة فاضطروا الى طلب الفداء من الناس ، فأجابوهم الى ذلك ، وانصرفوا عن اشبيلية وخرجوا عن الأندلس (١) .

وكان لهذا الحادث أثر كبير على الأمير عبد الرحمن الأوسط حيث أدرك أهمية الأسطول البحري ، ودوره في حماية السواحل الأندلسية من الغارات الخارجية النورمانية يقول ابن القوطية : " واستعد الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، فأمر باقامة دار صناعة باشبيلية ، وأنشا المراكب ، واستعد برجال البحر من سواحل الاندلس ، فألحقهم ووسع عليهم (٢) .

كما أنشأ دار صناعة بقرمونة ، وجعلت مخزناً للسلاح (٣) .

ويرى بعض الباحثين أن هذا الأمر لايسجل ميلاد البحرية الاسلامية في الأندلس ، لأن البحرية كانت موجودة بالفعل منذ أيام الحكم الربضي ولكنه يسجل تنظيما للبحرية الاسلامية ، وحشدا لطاقات الاندلس في هذا المجال (٤) .

وأوافق على هذا الرأي وأضيف اليه أن هذا الأمر يسجل الميلاد الحقيقي للبحرية الاندلسية التي كانت من قبل ضعيفة لاتستطيع الدفاع عن الشواطىء الاندلسية ، ولم تكن تدرك المخاطر الحقيقية التى تحدق بها من قبل السواحل ، وقد نبه هذا الحادث الدولة الى مايجب فعله في هذا المجال ، فأنشأ الأمير عبد الرحمن الاوسط دار الصناعة باشبيلية لصناعة السفن والمراكب البحرية كما استعد برجال البحر من سواحل الاندلس ، ويفهم من ذلك أنه اعتنى بهم وتولى تدريبهم وتنظيمهم وهذا أمر لم يكن موجودا من قبل بشكل فعال .

ومن الامور العسكرية الهامة التي نتجت من غزو النورمان اشبيلية ، أن الامير عبد الرحمن حصن اشبيلية وبنى حولها سورا لحمايتها

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٨٠ — ٨١ .
(٢) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٣ .
(٣) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٢٠ .
(٤) د. السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر — الاسكندرية ١٩٨٤م ، ص ٣٥ .

من غاراتهم . (1)

وتطور الأسطول الأندلسي بسرعة فائقة ،فبعد أربع سنوات فقط من غزو النورمان لاشبيلية ، بلغ الأسطول الأندلسي ثلاثمائة مركب وذلك في سنة ٢٣٤هـ /٨٤٨ م ، وقد أرسله الأمير عبد الرحمن الأوسط ، لغزو أهل جزيرتي ميورقة ومنورقة ، الذين نقضوا العهد ، وأضروا بمراكب المسلمين المارة عليهم ففتح الله للمسلمين عليهم ، وآظفرهم بهم . (٢)

الهجوم الثاني للنورمانيين على الأندلس :

في عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن كرر المجوس محاولة هجومهم على الأندلس مرة أخرى ، وذلك في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ولكنهم في هذه المرة ،وجدوا أن الدولة قد آخذت حذرها ، وأنها على استعداد لصد أى هجوم من قبلهم فقد روى ابن حيان خروج المجوس للمرة الثانية الى سواحل الأندلس في سنة ٢٤٥ هـ فقال : " وفيها خرج المجوس — لعنهم الله — الى ساحل الغرب من أرض الأندلس ،وهو خروجهم الثاني ، خرجوا في اثنين وستين مركبا ،فألفوا البحر محروسا ومراكب الأمير محمد فيه جارية مابين حائط (ساحل) أفرنجية في الشرق الى أقصى حائط

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ،ج ١ ،ص ٤٩.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . محمود علي مكي ،ص ١٤٤ ،ابن سعيد ، المغرب ،ج ١ ،ص ٤٩ .

طليسية (جليقية) في الغرب ، وتقدم من مراكبهم مركبان تلقتهم المراكب المنصوبة الجارية من حائط " مفاضة " في بعض مراسي كور باجه فغنمتهما بما كان فيهما من مال ومتاع وعدة وسبي " (١)

ويجعل ابن عذاري خروج المجوس الى سواحل غرب الاندلس للمرة الثانية في سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م ، حيث خرجوا في اثنتين وستين مركبا فوجدوا البحر محروسا ، ومراكب المسلمين معدة (٢) .

أما ابن القوطية فانه يجعل الخروج الثاني للنورمان في سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م ، فيقول : " فلما قدموا القدمة الثانية سنة أربع وأربعين ومائتين ، في أيام الأمير محمد ، تلاقوا في مدخل نهر اشبيلية في البحر فهزموا فحرقت لهم مراكب فانصرفوا " (٣) .

ولكن رواية ابن حيان هي الراجحة في هذا الشأن ، وقد وافقه كل من العذري ، والنويري وابن خلدون على أن الخروج الثاني كان في سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م (٤) .

وتقدم النورمانيون في خروجهم هذا حتى وصلوا الى مصب نهر اشبيلية وماليها ، وقد أخذهم الرعب كل مأخذ ، وكان الأمير محمد قد استنفر جيوشه الى ناحية الغرب ،فنفر الناس من كل أوب بقيادة الحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبده ، فاقلع المجوس من مصب نهر اشبيلية ونزلوا بالجزيرة الخضراء وتغلبوا عليها ، واستباحوها وأحرقوا المسجد الجامع ، ثم أقلعت مراكبهم عن بر الاندلس الى العدوة التي احتلوا بها واستباحوها ، ثم عادوا مرة أخرى الى ريف الأندلس الشرقي ، ونزلوا بساحل تدمير ، وانتهوا الى حصن أوريولة ، ثم تقدموا الى افرنجة وشتوا بها ، وأصابوا بها الذرارى والاموال وتغلبوا بها على مدينة نكنوها ثم عادوا الى ريف بحر الأندلس ، وقد ذهب من مراكبهم أكثر من أربعين مركبا (٥) .

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ،ص ٣٠٧ – ٣٠٨ .
(٢) البيان المغرب ، ٩٦/٢ .
(٣) تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٣ .
(٤) انظر العذري ، ترصيع الاخبار ، مخطوط ، ص ٤ ، والعذري ، تحقيق الاهواني ، ص ١١٨ – ١١٩ ، النويري ، نهاية الارب ، جـ ٢٣ ،ص ٣٨٨ – ٣٨٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٢٨٤/٤ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ ، العذري ، مخطوط ، ص ٤ ، – العذري تحقيق الاهواني ، ص ١١٨ – ١١٩ .

وعندها التقوا بمراكب المسلمين التي كانت مزودة بنيران النفط ، واصناف العدة البحرية ، والكثيف من الرماة ، وبكل مايحتاجون اليه من النشاب ، فأصاب المسلمون مركبين من مراكبهم بريف شذونة فيهما أموال كثيرة ، وأمتعة كثيرة والتقى بهم قائدا اسطول الامارة اللذان قاتلاهم حتى غلباهم على مركبين آخرين واحرقاهما بجميع من كان فيهما ، فاشتد المجوس عند ذلك على المسلمين ، واستشهد احد قواد اسطول الامارة ويدعى "خشخاش"(١) ثم مضت مراكب المجوس حتى انتهت الى بنبلونة فأصابوا صاحبها " غرسية بن ونقة " فافتدى نفسه منهم بسبعين ألف دينار ارتهن في بعضها أولاده (٢).

ومن ذلك يتضح آن البحرية الأندلسية قد تقدمت تقدما ملحوظا في عصر الأمير محمد ، وكان الاسطول الأندلسي في حالة استعداد دائم ، يجوب السواحل الأندلسية شرقها وغربها ، واستطاع في هذه المرة أن ينزل ضربات موجعة على النورمانيين ، الذين باءت محاولتهم الثانية بالفشل أيضا ، واضطرهم المسلمون بقوة أسطولهم الى الخروج من الاندلس منهزمين صاغرين وتشير بعض الروايات الى آن الاسطول الاندلسي في عصر الامير محمد ، وصل الى سبعمائة قطعة (٣).

الخروج الثالث للنورمانيين :-

لم يفقد النورمانيون الأمل في السيطرة على الأندلس ، فبعد عامين من خروجهم الثاني ، حاولوا دخول الاندلس ، وكان ذلك في سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م ولكنهم في هذه المرة لم يتمكنوا من الاضرار بأهل السواحل كعادتهم ، ولم يجدوا فيها ثغرة ينفذون منها لشدة ضبطها ولاقوا في البحر أهوالا عطبت لها من مراكبهم أربعة عشرة مركبا بناحية الجزيرة فانصرفوا عن السواحل الاندلسية متجهين الى بلاد الفرنجة (٤) وكان العامل

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٠٩ ، العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ١١٩ — وانظر ابن الاثير ، الكامل ، ٥/٢٩٩ — ٣٠٠ ، النويرى ، نهاية الارب ج ٢٣ ، ص ٣٨٨ — ٣٨٩ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٠٩ ، العذرى ، ترصيع الاخبار ، ص ٣١٩ .

(٣) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٥٧ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣١١ .

على الجزيرة قد كتب الى الامير محمد يخبرهم ، فكتب الامير الى عمال الساحل بالتحفظ والاحتراس .(١)

محاولة الامارة غزو جليقية عن طريق البحر :

في سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م ، حاولت الامارة غزو جليقية عن طريق البحر فامر الامير محمد بانشاء مراكب بنهر قرطبة لتحمل الى البحر المحيط ومن ثم الى جليقية ، فلما تم انشاؤها وجرت في البحر ، أصابها الريح وتقطعت ولم يسلم منها الا القليل .(٢)

وكان قد رفع اليه ان جليقية من ناحية البحر المحيط لاسور لها ، وان اهلها لايمتنعون من جيش ان غشيهم من تلك الناحية (٣) ولكن المحاولة باءت بالفشل ولم يكتب لها النجاح ، وقد ارادت الامارة استخدام اسطولها في اغراض هجومية بعد أن كانت دفاعية في المقام الأول .

الرقابة والثغور البحرية :

بعد الغارات المفاجئة للشواطيء الاندلسية من قبل النورمانيين ، فقد اولى الامويون عناية كبيرة لمراقبة شواطئهم ، وتامينها من الغارات الخارجية ، واتخاذ كافة التدابير اللازمة لحماية هذه الشواطيء .

ولذلك فقد اخذ أمراء قرطبة في انشاء الرباطات على الساحل من اشبونة الى أرقش . وتسارع الاندلسيون بما عرف فيهم من حمية للدين واقبال على الجهاد الى هذه الرباطات فعمروها ، وقامت من ذلك الحين على هذا الساحل كله ،

---

(١) العذري ، ترصيع الاخبار ، ص ١١٩ .
(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٢٨٦/٤ ، النويري ، نهاية الارب ٣٩١/٢٣ .
(٣) ابن عذاري ، البيان ، ١٠٣/٢-١٠٤ .

الرباطات يقيم فيها الحراس ، يراقبون هذه الشواطىء (١).

وجرت العادة ان تكون الحراسة فى مراقب عالية ملحقة بالرباط تكشف سفن العدو من بعيد ، وعرف الحراس الليليون الذين يقيمون على هذه الرباطات باسم السمار (٢).

"وكانت هذه المراقب أو الربط مزودة بالمناور او المنائر أو المنارات التى عرفت ايضا باسم الطوالع أو الطلائع جمع طالعة او طليعة (Atalaya) فكان على أولئك السمار او المرابطين اذا ماكشفوا عدوا فى البحر مقبلا من بعيد ، اشعلوا النار على قمم المناوراو الطلائع ان كان الوقت ليلا ، أو اثاروا منها الدخان ان كان الوقت نهارا . هذا الى جانب استخدام الطبل والنفير لتحذير اهالى المدن المجاورة من غارة العدو" (٣).

وكان لوجود هؤلاء المرابطين فى هذه القواعد اثر كبير فى تعزيز الاسطول الاندلسى هناك بجماعة شديدة البأس ، لاتعرف الا الجرأة والمغامرة فى ميدان القتال البحرى ، فقد كان المرابطون لاياخذون اجرا مقابل اعمالهم ، وانما كانوا متطوعة وهبوا حياتهم لنصرة دينهم واعلاء كلمته (٤).

ولما اشتدت شوكة بنى ادريس الحسنيين بالمغرب ، أمر امراء بنى امية بضبط السواحل ، والا تجرى جارية فى البحر الا تحت نظر واشراف ، وكان لايخرج خارج من الاندلس الا بسراح ولايدخل احد حتى يعرف خبره ، ومن حيث ورد ، وما الذى أورده

---

(١) د. حسين مؤنس ، غارات النورمانيين ، ص ٤١ .
(٢) د. احمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٤٠ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٠ .
(٤) د. ابراهيم احمد العدوى ، قوات البحرية العربيمة فى مياه البحر المتوسط ، ص ١٥٩ .

ولاتظهر جارية في البحر الا استخبر أمرها وعرف شأنها ، ومتى القى في البحر قارب يزيد على اثنى عشر ذراعا ممسوح العجز نقض ورد الى المقدار المذكور .(١)

وهذا يدلنا على مدى احكام الامويين في الاندلس الرقابة على شواطئهم ، ومدى دقة الاجراءات التي كانت تتخذ في هذا الشأن .

الثغور البحرية :

ادى النشاط التطوعي الذي كان يقوم به المرابطون لحراسة الشواطئ الاندلسية ومراقبتها ، الى نشأة بعض الثغور الهامة ، التي تطورت تطورا سريعا بعد تأسيسها . ومن هذه الثغور البحرية :

بجانة :

يقول الحميري ان بجانة : "من أشرف قرى أرش اليمن ، وانما سمي الاقليم أرش اليمن لان بني أمية لما دخلوا الاندلس انزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الاقليم ، وجعلوا اليهم حراسة مايليهم من البحر وحفظ الساحل ، فكان ماضمنوا من مرسى كذا الى مرسى كذا يسمى أرش اليمن ، اى عطيتهم ونحلتهم" .(٢)

ولما وقعت الفتن بالاندلس اتخذ البحريون مراكب يأتون بها السواحل الخالية ، ويحملون الناس الى كل جهة ، ولم يلبث ان قوى أمرهم ونزلوا بشرقي أرش اليمن وافترقوا في قراه ، واختلطوا بالسكان ، واظهروا حسن المعاملة لهم ، ثم

---

(١) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٨٠ .
(٢) الروض المعطار ، ص ٧٩ ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٧ .

كثروا بعد ذلك واشتدت شوكتهم حتى تغلبوا على بجانة ، واسسوا امارة بحرية اقرهم الامير محمد عليها .(١)

وكان عامل الأمير محمد عليها هو عمر بن اسود الغسانى "فكانت لاتجرى ببحره جارية الا عن معرفته وتحت اشرافه ، حتى لقد ظهرت هناك على عهده خشبة جاسية انكر عمر شانها ، وكتب الى الامير بخبرها بعد أن اخذ له طولها وعرضها فشكر له محمد استقصاءه لما وكله به".(٢)

وفى عصر الامير عبد الله خاطبه البحريون ، وسالوه فى أن يأذن لهم فى التوسع والاختطاط حول بجانة ، فاذن لهم فبنوا حولها عشرين حصنا .(٣)

وكان عاملها فى عصر الأمير عبد الله ، عبد الرزاق بن عيسى قد طار له الاسم بحسن السيرة ، وجودة الضبط ، والحزامة مع الغلظة على اهل الشر والمبالغة فى عقوبة من ظفر به منهم ، حتى أن المسافرين عندهم كانوا يطمون امتعتهم ورحالهم بالاسواق والشوارع مطروحة بلا حارس ، فلايكاد يضيع شىء منها ، وذلك من أعظم اسباب اجتماع الناس الى بجانة من الافاق واغتباطهم بحلولها وسكونهم الى ضبط اميرها عبد الرزاق . وقد استطاع هؤلاء البحريون صد حملة بحرية جاءت من بلد الفرنجة فى خمسة عشر مركبا ، حلت بالمرية فرضة بجانة ، وذلك فى عصر الأمير عبد الله ، ولم يستطع الغزاة الدخول الى أرض الاندلس ، وعقدوا صلحا مع البحريين ، وانصرفوا بمراكبهم .(٤)

---

(١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٨٠ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود على مكى ، طبعة بيروت ، ص ١٣٣-١٣٤ ، وانظر الحميرى ، الروض المعطار ص ٧٩ ، ويشير الحميرى الى أن عمر بن اسود هو الذى بنى جامع بجانة .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور ، ص ٥٣ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور ، ص ٨٨-٨٩ .

ومن ذلك نرى أن الدولة الاموية لم تكتف فقط بانشاء الاساطيل البحرية للدفاع عن السواحل الاندلسية ، ولكنها رات ايضا انشاء بعض المراكز البحرية ، مثل بجانة ، ليتولى اهلها حراسة السواحل ، وقد تطورت بجانة هذه لتصبح فيما بعد قاعدة للاسطول الاندلسي كما سنرى .

ومن الثغور البحرية الاخرى ثغر طرطوشة ، وهي باب من ابواب البحر ، ومرفا من مرافئه ، يحلها التجار من كل ناحية وبها دار الصناعة (١) .

وكذلك ثغر الاشبونة في الغرب ، وهي مدينة على طريق العساكر ، قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه في سورها ، تطل على بحر الظلمات ، ومنها كان خروج الفتية المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا مافيه والى اين انتهاؤه (٢) .

تنظيم البحرية في عصر الامير عبد الرحمن بن محمد :

ولما تولى عبد الرحمن بن محمد السلطة ، كانت الدولة في غاية من الاضطراب والتمزق ، فكان عليه ان يعيد سيطرته على كل اجزاء الدولة ، ويحد من الاطماع الخارجية ، وذلك لايتم الا بانشاء جيش قوى واسطول قوى كذلك .

وكان اول مابدا به الناصر في شان الاسطول البحرى ، انه ذهب الى مدينة الجزيرة الخضراء في ذى القعدة من سنة ٣٠١هـ/٩١٣م فاقام بها أياما للنظر في مصالحها وشد بحرها (٣) .
وكان في ساحلها للمارد ابن حفصون واصحابه عدة من المراكب

---

(١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٩١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦١ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق .ب. شالميتا ، ص ٨٧ .

البحرية ، يسفرونها الى ارض العدوة فى الميرو التجارات ، ويقضون بها الحاجات ، فيتسعون بها اعظم التوسعة ، فاخرج الناصر لدين الله الحشم لطلبها واخذها ، وقد كان الفسقة نجو بها في البحر ، فادخل الجند خلفهم من مضى إثرها وقبض عليها ، فقيدت بازمتها الى ضفة البحر ، واحرق جميعها بين يديه فعظم على الفسقة ماحل بهم فيها ، وعدموه من منفعتها.(١)

وفى أثناء مقامه بالجزيرة احكم "أمر البحر وشد ضبطه على اهل العدوتين الحالتين عليه ، فاستدعى جملة من المراكب البحرية من مالقة واشبيلية وغيرهما من مدن الطاعة بركابها من أولى الاستقامة ، فاقامها بباب الجزيرة فشحنها بصنوف الاسلحة والعدد ، وأعد فيها النفط وآلات حرب البحر ، وادخل فيها ركابها من عرفاء البحريين والنواتية الفره سواس البحر الاجرياء عليه ، وامر بالتجول فى السواحل كلها من حد الجزيرة الخضراء الى حد تدمير.(٢) ثم قطع كل مرافق البحر من ابن حفصون واصحابه ، وأمر الا تجرى فى البحر أى جارية الا لاهل الطاعة فقط ومنذ ذلك الوقت ملك البحر ، واحكم شانه ، وأمن ضرر السفن المختلفة فيه ، وغلب بذلك على الساحل كله وحصونه.(٣) يقول ابن خلدون : "وانتهى الى الجزيرة الخضراء ، وضبط البحر ، ونظر فى أساطيله واستكثر منها ومنع ابن حفصون من البحر".(٤)

وبذلك فقد استطاع الامير عبد الرحمن بفضل السياسة الحكيمة التى سلكها من ضبط الساحل الاندلسى قبالة العدوة المغربية ، واصبح يملك زمام السيطرة البحرية بفضل

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب.شالميتا ، ص ٨٧ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ٨٨/٥ .
(٣) العبر ، ٢٥٣/٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ٢٥٣/٤ .

الإجراءات المشددة التى اتخذها ومنع أى مركب من الجريان فى سواحله إلا إذا كان من مراكب أهل الطاعة .

تلك هى المجهودات العظيمة التى بذلتها الدولة الأموية فى عصر الإمارة ، فيما يتعلق بالأسطول الأندلسى ، وبرز دوره بشكل فعال فى حماية الدولة من الغارات الخارجية على شواطئها .

البحرية الأندلسية فى عصر الخلافة :

نظم الخليفة عبد الرحمن الناصر البحرية الأندلسية تنظيما رائعا وقد انتهى الأسطول فى عهده الى مائتى مركب أو نحوها (١) ، وكان قائد الأساطيل فى عهده هو محمد بن رماحس ، ومرفأها للحط والإقلاع ميناء المرية التى أمر الناصر فى سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م ببنائها ، وكان المجوس لما قدموا المرية وتطوفوا بساحل الأندلس والعدوة ، اتخذها العرب مراى ، وابتنيت بها محارس ، وكان الناس يرابطون فيها وينتجعونها فأصبحت من أشهر مراسى الأندلس وأعمرها ، وبنى الناصر حولها سورا حصينا (٢) .

وكانت بجانة محرس المملكة ، فلما ضعفت عظمت المرية فأصبحت تابعة لها (٣) .

وموقع المرية موقع حصين للغاية ، حيث استدارت به صخور مكدسة ، وأحجار صلبة مضرسة لاتراب بها ، كأنما غربلت أرضها من التراب وقصد موضعها بالحجر (٤) .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥٤ .
(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨٣ ، وانظر العذرى ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .
(٣) ابن سعيد ، المغرب ، ١٩٠/٢ .
(٤) الادريسى ، صفة المغرب ، ص ١٩٨ .

وكان موقع المرية الحصين هو الذى دفع الناصر لاتخاذها قاعدة للأسطول الاسلامى الاندلسى فقد ارتفعت مكانتها فى القرن الرابع الهجرى ، وأصبحت اهم موانىء الاندلس ، وكان خليجها العميق يضم معظم وحدات الاسطول الاموى فى الاندلس (١) .

قيادة الاسطول وجنوده :

كان منصب قائد الاسطول الاسلامى فى الاندلس من اهم المناصب فى الدولة الاموية خلال هذه الفترة التى تتناولها بالبحث .

وكان قائد الاسطول الاسلامى بالمرية ، ضمن احد ثلاثة مناصب كبرى فى الدولة ، لايستطيع الخليفة أن يقطع أمرا دون الرجوع اليهم ، فالمرية كانت دار صنعة الانشاء بالاندلس ، ومتوسطة للبلاد ، فكان فى مدة بنى أمية قائد أسطولها قسيم الخليفة فى ملكه ، ذاك ملك البر وهذا ملك البحر (٢) .

وفى خلال هذه الفترة برز عدد من قادة الاسطول الاكفاء ، الذين كان لهم دور مشهود فى ادارة المعارك البحرية . ومن هؤلاء القادة ، محمد بن رماحس الذى كان قائدا للاسطول فى عصر الناصر (٣) ، وكذلك عبد الملك بن سعيد بن أبى حمامة (٤) ، وعبد الرحمن بن محمد بن رماحس الذى كان قائدا عاما للاساطيل فى عصر الخليفة الحكم المستنصر ، وغالب بن عبد الرحمن الناصرى (٥) .

فاذا اجتمعت الاساطيل تريد الخروج لغزوة من الغزوات ، أو لغرض سلطانى مهم ، عسكرت بمرفئها المعلوم ، وشحنتها

---

(١) د. السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٣٧ .
(٢) ابن سماك العاملى ، الزهرات المنثورة ، ص ١٢٨ .
(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥٤ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٦٦ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. الحجى ، ص ٢٤ .

السلطان برجاله وانجاد عساكره ومواليه ، وجعلهم لنظر امير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون اليه كلهم ، ثم يسرحهم لوجههم ، وينتظر ايابهم بالفتح والغنيمة (١) .

وكان المسلمون على الرغم من عهدتهم على ركوب البحر ، الا انهم غلبوا عليه من جميع جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح فكانت لهم المقامات المعلومة في الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل ، مثل ميورقة ومنورقة ويابسة (٢) .

اما الاشراف على الاسطول ، فقد كان يوكل امره الى قائد من النواتية ، يدبر امر حربه وسلاحه ومقاتلته ، ورئيس يدبر امر جريه بالريح أو بالمجاديف ، وامر ارسائه في مرفئه (٣) .

أسلحة القتال البحرية :

تعددت أنواع أسلحة القتال البحرية تبعا للتطور الذي طرا على البحرية الاندلسية ، وتعدد أنواع السفن ، التي كان يتالف منها الأسطول الاندلسي .

وكان من اهم أنواع اسلحة رجال الأسطول الرئيسية ، القسي التي تشد بواسطة اليد او الرجل (٤) .

وكانت السفن الاندلسية الحربية تزود بنيم النفط ، وأصناف العدة البحرية ، والكثيف من الرماة والنشاب (٥) .

وكانت السفن المسماة بالحراقات تحمل النفط والآلات البحرية (٦) .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .
(٤) انظر القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٥٠٤/٣ .
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، طبعة بيروت ، ص ٣١٩ .
ولفظ "النيم" جمع "نيمة" بكسر النون وهي لدى الاندلسيين القنينة أو الزجاجة . المصدر نفسه ، حاشية ١-٥ ، ص ٥٩٨ .
(٦) ابن حيان ، المقتبس ، ٣٦٦/٥ .

والنفط البحرى من الأسلحة الهجومية الفتاكة ، ولذلك اهتم بـه الاندلسيون اهتماما كبيرا ، ويجهز هذا النفط "من القطران والكبريت ، ومواد اخرى ملتهبة تزداد اشتعالا عند ملامستها الماء ، وتقذف بآلة تسمى النفاطة ، كما كانوا يقذفونها بالسهام والنشاب والمنجنيق" (١) .

ومن أسلحة القتال البحرية العرادات (٢) ، وتستخدم في رمى الحجارة وكذلك السهام البعيدة المرمى ، وقدور النفط والمواد الملتهبة (٣) .

وكانت كل سفينة مزودة "بنوع من الكلاليب تستخدم عندما تدنو منها سفن الاعداء ، اذ تلقى الكلاليب لتوقف سفن الاعداء ثم يشدونها اليها ، ويرمون عليها الالواح أشبه بالجسر ، وينتقل عليها الجند لقتال العدو ، وكان يبطل عمل الكلاليب بان تقطع بفأس ثقيل" (٤) .

كما "كان يوجد في أعلى صوارى السفن الكبيرة صناديق مفتوحة من أعلاها ، تسمى بالتوابيت ، يصعد اليها الرجال قبل الاقتراب من سفن العدو ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجوانب الصناديق" (٥) .

غير ان أهم أسلحة القتال البحرية هي "النار اليونانية" أو "البحرية" "وهي مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والادهان في شكل سائل يطلقونه من أسطوانة نحاسية مستطيلة يشدونها في مقدم السفينة ، فيقذفون منها السائل مشتعلا أو يطلقونه بشكل كرات مشتعلة أو قطع من الكتان

---

(١) محمد عبد العزيز عثمان ، البحرية العربية في الاندلس ص ٧٢ ، أنور الرفاعي ، النظم الاسلامية ، ص ١٦٥ .
(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ٤١٢/١٠ .
(٣) د. ابراهيم أحمد العدوى ، قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ، ص ١٧٧-١٧٨ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ١٧٨ .
(٥) المرجع نفسه ، ص ١٧٨ .

الملوث بالنفط . وهذه النار تشتعل فى الماء والهواء " (١) .

ومن الأسلحة البحرية الفتاكة "سلاح يسمى (اللجام او الفاس) وهو عبارة عن كتلة طويلة من الحديد مدببة المقدم كسنان الرمح ، يحملها الجند فى سفينتهم ، ثم يدفعونها على سفينة العدو ، لتصدمها به فى مقدمها فتخرقها لتغرقها ، أو يحملها الرجال بينهم ، وينطحونها به نطحة قوية .. فيخرقونها ويتسرب الماء الى جوفها ، فتخرق ويطلب الأمان من بها " (٢) .

---

(١) انور الرفاعى ، النظم الاسلامية ، ص ١٦٥ .
(٢) عبد الرءوف عون ، الفن الحربى فى صدر الاسلام ، ص ٢٦٦-٢٦٧ .

دور الأسطول الاندلسي في عصر الناصر في مواجهة الدول الخارجية :-

(أ) مع العبيديين :

في سنة ٣١٩هـ/٩٣١م أخرج الناصر أسطولا الى العدوة ، بقيادة أحمد بن محمد بن الياس ، ويونس بن سعيد قائدين في البحر ،(٢) " في أتم عدة وعدة ، وأكمل عتاد وآلة ، وكان أفخم أسطول أجراه ملك ، وقصر عليه نظره ، ووكل به عزمه ، وتكاملت قطعه وتواترت عدده ، وتكاثفت ركابه ، وعلا ذكره عند أهل العدوة ورعبوا له "(٣) .

وانتهى عدد قطع هذا الأسطول الى مائة وعشرين قطعة مع الحمالة والقتائة ، وقوارب الخدمة ، وبلغ عدة من ركبه سبعة آلاف رجل ،منهم خمسة آلاف من البحريين وألف من الحشم (وألف من الجند) وغزا فيه عدد من أهل بجانة والمرية تطوعا في مراكبهم (٤) .

وكان الهدف من هذا الأسطول هو محاربة ابن أبي العيش الحسني الذي كان على مخالفة لمن دخل في طاعة الناصر لدين الله من أهل العدوة ومحاربا لموسى بن أبي العافية ، وليه وملقيم دعوته ، فحاصره الأسطول الأندلسي وضيق عليه ، وقضى على كثير من رجاله ولكن الشتاء حال دون مواصلة الأسطول الأندلسي لعملية الحصار فقفل راجعا الى المرية (٥) .

وفي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م ، غزا الاسطول الى العدوة لنصر موسى ابن ابي العافية ، وبلغ عدة مراكبه اربعين قطعة ، وعدد ركابه ثلاثة

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥٣ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٠٥/٢ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ب شالميتا ، ص ٣١٢ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ب . شالميتا ، ص ٣١٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣١٣ ، ابن عذاري ، البيان ، ٢٠٥/٢ .

آلاف رجل ، فيهم من الحشم خمسمائة وكان اندفاعه من مدينة سبتة ، فتقدم الى مليلة ونكور فافتتحها ، ثم افتتح جراوة ، واعتز بذلك موسى ابن أبي العافية ، وقرع هذا الأسطول أعداء الدولة قرعا شديدا واستتم في غزاته هذه ستة أشهر ثم قفل[1] .

وفي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م ، غزا محمد بن رماحس على الأسطول الى بني محمد بالعدوة ، وبلغ عدد أسطوله خمسة عشر مركبا حربية وشينيين وقتاش وأجاز فيها قاسم بن طملس بالحشم الى سبتة ، فبعث بنو محمد برهائنهم على يدي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى القاضي[2] .

وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، غزا محمد بن رماحس قائدا على الأسطول الى افريقية ، واستخلف ابنه عبد الرحمن بن محمد ، وكان خروجه من المرية في ربيع أول من هذه السنة[3] .

وأنشأ عبد الرحمن الناصر مركبا كبيرا لم يعمل مثله ، وسير فيه تجارة الى بلاد الشرق ، وذلك في سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م ، فلقى البحارة الأندلسيون مركبا في البحر فيه رسول من صقلية الى المعز ، فقطع عليه أهل المركب الأندلس ، وأخذوا مافيه ، وأخذوا الكتب التى إلى المعز[4] .

ولما بلغ الخبر الى المعز عمر اسطولا ، واستعمل عليه صاحب صقلية وأمره بالمسير الى الأندلس ، فوصلوا الى المرية ، ودخلوا الى المرس ، وأحرقوا جميع المراكب التي وجدوها ، وأخذوا مركبهم وعادوا به[5] .

وكان رد فعل الناصر على هذا الهجوم عنيفا وشديدا فقد

---

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣٨٢ .
(٢) العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٨٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٣٤٩/٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ٣٤٩/٦ .

وجه في السنة التالية سنة ٣٤٥هـ ، والسنتين التي تلتها ، عدة هجمات متتالية على قواعد الفاطميين في المغرب تمكن بواسطتها من السيطرة على الجهة المقابلة للأندلس لفترة طويلة أشعرت الفاطميين أن لاجدوى لهم من مجابهة الدولة الأموية ، وبذلك حولوا اتجاههم نحو مصر التى تمكنوا من الاستيلاء عليها سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م واتخذوها قاعدة للدولة الفاطمية (١) .

(ب) مع الممالك الأوربيــة :ـ

وفي سنة ٣٢٢هـ ، غزا الأسطول الى بلاد الفرنجة بقيادة عبد الملك بن سعيد بن أبى حمامة ، وكانت عدة مراكبه أربعين مركبا ،وعشرين حراقة (٢) ، فيها النفط والآلات البحرية ، وعشرين فيها الرجال المقاتلة وبلغ عدة ركابه من الجند ألف رجل ، ومن البحريين ألفين (٣) وكان ركوبهم من مدينة المرية في رجب من هذه السنة ، فبدأ القائد ابن أبى حمامة بتفقد جزيرة ميورقة الاسلامية التى نزل بها لاستتمام نظره فيها ، ثم تحرك من آخر مراسيها ، ووافى على بالش من بلد الأفرنجة ، ودارت بينهم معركة عظيمة انهزم فيها الأفرنج (٤) " وتقدم الأسطول الى مدينة أنيش وهى دار صناعتهم ، ومرفأ مراكبهم ، فأحدق المسلمون بها برا وبحرا وأحرقوا المراكب في مرساها ، والأرباض حولها ، وقتلوا جميع من أصابوا فيها (٥) ".

وخاض الأسطول الأندلسي بقيادة ابن أبي حمامة عدة معارك في أرض الفرنجة ، كان الظفر فيها للمسلمين ، وعاد الأسطول بعد انجاز مهمته بنجاح ، حيث احتل بمدينة طرطوشة ناصية بلد الاسلام سالما غانما (٦).

لقد بلغ الأسطول الأندلسي درجة من القوة في عصر الناصر ،ولم

---

(١) محمد عبد العزيز عثمان ، البحرية العربية في الأندلس ،ص ٦٩ ـ ٧٠ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٦٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٦٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

بعد دوره مقتصرا فقط على صد الهجمات الخارجية ، وانما كان يقوم أيضا بهجمات على المراكز التى تشكل تهديدا للدولة ، وكان يقوم بعمليات الغزو في عقر دار الأعداء سواء كان ذلك في العدوة أو ضد الممالك الأوربية .

وفي سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م ، نظر محمد بن رماحس في حربيين برجالهما من أهل المرية وعمل بجانة ، ووجه بهما الى طرطوشة ، فوصل اليهما يتوصل المركبين الحربيين ، ثم ركب منها في عشرة مراكب حربية ، وهذين المركبين الواصلين من المرية ، وأربعة شواني وقتاشين وبلغ طرف (جون انبوريش) وانصرف منها الى برشلونة ، فألفى بها أمينا كان قد توجه الى صاحبهم مع رسله القادمين لطلب الصلح فأمره الأمين أن لايعترض لها ولا لأهل ساحلها ، فانصرف قافلا الى طرطوشة ، وتوجه منها الى قرطبة (١) .

وفي سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م ، غزا محمد بن رماحس الى الفرنجة مع غالب بن عبد الرحمن ، وسهل بن اسيد في ثلاثين مركبا حربية وستة شواني وعندما توسطوا البحر هبت عليهم ريح عاصفة فرقتهم ونجا القواد الثلاثة بمراكبهم الى بعض السواحل التى غنموا منها ، وانصرفوا الى المرية وكان محمد بن رماحس قد خلف في هذه الغزوة على بجانة والمرية ابنه عبد الرحمن (٢) .

لقد بذل الناصر جهودا كبيرة في سبيل الارتقاء بالبحرية الأندلسية ، وقد تكللت هذه الجهود بالنجاح ، ومن خلال استعراضنا لاعمال الاسطول الاندلسي ، وصراعه مع القوى الخارجية في عصر الناصر ، نستطيع القول أن الأسطول الأندلسي في عصر الناصر أصبح يمثل أقوى أسطول في المنطقة ويسيطر على السواحل الأسبانية دون أن يكون له منافس .

البحرية في عصر الحكم المستنصر :-

بعد تولى الحكم المستنصر الخلافة واصل جهود والده في الاهتمام بأمر الاسطول فقد وردت عليه كتب من الثغر الغربي أن عظيم الفرنجة

(١) العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٨١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

من النصارى حشدوا اليه ، فشخص بنفسه الى المرية في رجب سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م وأشرف على أمورها ، ونظر الى أسطولها وجدده ، وعدته يومئذ ثلاثمائة قطعة ثم انصرف الى قرطبة (١) .

وذكر ابن الخطيب رواية اخرى تشير الى أن الاسطول قد بلغ في عهد الحكم المستنصر ستمائة قطعة بين غزوى وغيره (٢) .

عودة النورمانيين الى الظهور في عصره :-

ظهرت مراكب النورمان مرة اخرى في عصر الخليفة الحكم المستنصر ـ نلاحظ أنهم لم يظهروا في عصر الناصر ـ وذلك في سنة ٣٥٤هـ/٧ يناير ٩٦٥م في البحر الكبير " وأفسدوا بسائط أشبونة وناشبهم الناس القتال فرجعوا الى مراكبهم وامر الحكم القواد ، باحتراس السواحل ، وأمر قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بتعجيل حركة الاسطول . ثم وردت الاخبار بأن العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل " (٣) .

ولكن ابن عذارى يذكر أن هذا الخروج كان في سنة ٣٥٥هـ/٢٨ ـ ديسمبر ٩٦٥م فيقول في ذلك : " ورد كتاب من قصر ابن دانس على المستنصر بالله ، يذكر فيه ظهور أسطول المجوس ببحر الغرب بقرب من هذا المكان واضطراب أهل الساحل كله لذلك ، لتقدم عادتهم بطروق الاندلس من قبله فيماسلف وكانوا في ثمانية وعشرين مركبا " (٤) .

ثم وردت الكتب بعد ذلك من تلك السواحل بأخبارهم ، وأنهم قد أضروا بها ، ووصلوا الى بسيط أشبونة فخرج اليهم المسلمون وناشبوهم القتال ، واستشهد عدد من المسلمين ، وقتل عدد من النورمان ثم خرج اسطول اشبيلية الذى تصدى لهم بوادى شلب ، وحطم عددا من مراكبهم واستنقذوا من كان فيها من المسلمين وقتلوا جملة من الغزاة المجوس (٥) .

---

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٤٧٩ .
(٢) ابن الخطيب ، اعمال الأعلام ، ص ٤٢ .
(٣) إبن خلدون ، العبر ، ٣١٤/٤ ، المقرى ، نفح ، ٣٨٣/١ ـ ٣٨٤ .
(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢٢٨/٢ ـ ٢٢٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ٢٢٩/٢ .

وأمر الخليفة الحكم المستنصر بصنع مراكب على هيئة مراكب المجوس في نفس العام ٣٥٥هـ ، وأن توضع هذه المراكب بنهر قرطبة ، استعدادا لملاقاتهم اذ كانوا يقومون بغاراتهم بصورة مفاجئة (١) .

ويبدو أن مراكبهم كانت تتمتع بمزايا تجعلها تتفوق على المراكب الأندلسية ، فلذلك أمر الخليفة بصنع مراكب أندلسية على هيئتها لتتمكن من مجابهتها .

وبعد خمس سنوات من مهاجمة النورمان للأندلس في عصر المستنصر خرجوا مرة أخرى في سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م في رمضان منها ، حيث وقع الأرجاف بتحركهم ، وظهورهم في البحر الشمالي ، وورومهم سواحل الأندلس الغربية على عادتهم ، فانزعج الخليفة الحكم لما سيق إليه خبرهم ، وعهد الى عبد الرحمن بن رماحس قائد البحر ، وهو حاضر بقرطبة بالخروج الى المرية والتأهب للركوب الى ناحية الغرب (٢) ، كما أحضر الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن ، وكان حاضرا يومئذ بقرطبة ، وخصه بالتكلم معه فيما طرقه من خبر هذا العدو المرهوب جانبه ، وحول إليه صائفة عامه الأرفة وقلده العود لها ، والتهمم بها برا وبحرا لفلاعته وغنائه (٣) .

وجاءت الأخبار في ذى القعدة من عام ٣٦٠هـ باقلاع قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس من مدينة اشبيلية ، منصرفا الى المرية بعد أن وطئته الأنباء بهزيمة المجوس ، وهروبهم من السواحل الأندلسية خاصة بعد سماعهم أن الخليفة المستنصر جرد لهم قائده ومدبر حروبه غالب بن عبد الرحمن وتحركت نحوهم القواد والجنود في الأساطيل الثقيلة (٤) .

لقد فشلت محاولات النورمانيين كلية في السيطرة على الاندلس فقد حاولوا ذلك مرارا في عصر الأمارة كما سبقت الاشارة لذلك وكرروا

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، ٢٣٩/٢ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٣ — ٢٤ ، ابن عذارى البيان ٢٤١/٢ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

محاولاتهم في عصر الخليفة المستنصر بالله ولكن الأسطول الأندلسي كان على أهبة الاستعداد على الدوام ، كما اكتسب الأندلسيون خبرة كبيرة في القتال البحري ، كل ذلك حال دون سيطرة النورمانيين على الأندلس ، وأفقدهم الأمل خاصة بعد الهزائم المتكررة التى أنزلها الأندلسيون بهم .

كذلك فقد قام الأسطول الأندلسي بدور كبير في النزاع مع أهل العدوة في عصر الخليفة الحكم المستنصر ، بقيادة قائد البحرية وصاحب الشرطة عبد الرحمن بن رماحس الذى كان قائدا عاملا للأساطيل الأندلسية ، حيث تمكن من بسط سيطرة الظافة على العدوة (١) .

ونظرا لضخامة الأسطول في عصر المستنصر فقد انقسم الى قسمين أسطول اشبيلية ، وأسطول المرية (٢) .

أهم مراكز صناعة السفن بالأندلس :-

كانت أهم مركز صناعة السفن بالأندلس هي المرية وهي باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق وبها دار الصناعة ، وسورها على بحر ، واستقرت فيها العدة والآلات للسفن لمايقوم به الأسطول (٣) .

وكانت دار صناعتها تنقسم الى قسمين : قسم لصناعة المراكب الحربية والآلة والعدة ، والقسم الثاني فيه القيسارية وقد رتب كل صناعة منها حسب مايشكل لها وقد آمن فيها التجار بأموالهم وقصدها الناس من كل مكان (٤) .

ومن أهم المراكز أيضا لقنت (٥) ، والمنكب ومالقة (٦)

---

(١) انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ص ٨٠، ٨٧، ٨٩، ٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

(٣) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٤) العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٨٦ .

(٥) وهي مدينة صغيرة عامرة ، وهي على صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٧٠ .

(٦) بهما دور لانشاء السفن والمراكب - القلقشندى ، صبح الأعشى ج ٥ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

وشلطيش[1] والجزيرة الخضراء[2] وطرطوشـــة[3] .

أنواع السفن والمراكب التي كان يتألف منها الأسطول الأندلسي :-

احتوى الأسطول الأندلسي على أنواع عديدة من السفن والمراكب ، وكان لكل نوع منها ميزة خاصة ومن هذه الانواع :-

الشواني[4] ، والشواني جمع شيني وتجدف بمائة وثلاثة واربعين مجدالــــا ومزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وتحتوى على أهراء لخزن القمــــح وصهاريج لخزن الماء الحلو[5] .

الحربيات : وقد ورد ذكرها عند العذري في قوله : وفي سنة ٣٢٨هـ نظـــر محمد بن رماحس في حربيين برجالهما من أهل المرية[6] وهي من سفن الأسطـــول الاندلسي ومفردها حربية ، وهي نوع من الشواني ، ولكنها أصغر حجمــــا وآخف حركة واسرع لحاقا بالعدو[7] .

الأغربة : ذكر ابن الكردبوس أن الأمير محمد بن عبد الرحمن أنشأ في البحر سبعمائة غراب[8] وهي من المراكب الحربية شديدة البأس ولعلها سميت بهـذا الاسم بسبب شكل مقدمة رأسها التي كانت على شكل رأس غراب[9] وربما سميــت بهذا الاسم لانها تدهن بالقار الاسود[10] .

الفتاشة والحمالة[11] : ويظهر انها كانت من القطع المساعدة للاسطول الاندلســي لان الحمالة كانت تحمل الذخيرة للاسطول[12] .

---

(١) وهي كثيرة السفن ،وبها دار صناعة لانشائها ،الحميرى ،صفــة جزيــرة الاندلس ، ص ١١١ .
(٢) بنى بها الناصر دارا لصناعة الاساطيل ، واتقن بناءها وعلى أسوارها الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٧٣ .
(٣) وتنشأ المراكب الكبار من خشب جبالها وبجبالها خشب الصنوبر الــذي لايوجد له نظير في الطول والغلظ ومنه تتخذ الصوارى والقرى . الحميــرى الروض المعطار ، ص ٣٩١ .
ومن المراكز الاخرى التي تصنع بها السفن في الاندلس ، شنتمرية وبهـــا دار صناعة للاساطيل ،وبازائها جزائر في البحر ينبت فيها شجــــر الصنوبر الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٤٧ .
ومن المراكز ايضا قلصــة : وهى حصن منيع تتصل به جبال كثيرة ،بهـــا شجر الصنوبر الكثير ويقطع بها الخشب ويلقى في الماء ويحمل الى دانيــة فتنشأ منها السفن الكبار والمراكب الصغار ـ الشريف الادريس ،المغــــرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٩٥ .
(٤) العذري ،ترصيع الاخبار ، ص ٨٢ .
(٥) د. حسين مؤنس ، أثر ظهور الاسلام في الاوضاع السياسية والاقتصاديـــة والاجتماعية في البحر الابيض المتوسط المجلة التاريخية المصرية ،المجلــد الاول العدد الرابع ،١٩٥١ م ،ص ١٠٩ ،د. احمد مختار العبادى دراســات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ،ص ١٩٤ .
(٦) ترصيع الاخبار ، ص ٨٢ .
(٧) محمد عبد العزيز عثمان ،البحرية العربية في الاندلس ،مرجع سابق ص ٧١ .
(٨) تاريخ الاندلس ، ص ٥٧ .
(٩) د. حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .
(١٠) د. احمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

الحراريق : وكانت تصنع بمدينة لقنت (١) والحراريق جمع حراقة وهى من اكبر المراكب ، وان كانت اقل حجما من الشونة ، وتستعمل على الأخص في حرق سفن العدو ، ولذلك كانت مزودة بالنفط الذى يرمى بالمنجنيقات أو بالسهام أو في القوارير (٢) .

الطرائد : جمع طريدة ، وتستخدم في نقل الخيل (٣) .

البطس : جمع بطسة وهى أيضا من السفن الحربية الكبيرة ، وتشتمل على عدة طبقات وتستخدم في نقل المؤن والأقوات والذخائر فضلا عن المحاربين (٤) .

هذه هي أهم أنواع قطع الأسطول الأندلسي التى كان لها دور كبير في حماية الشواطئ الأندلسية من الغارات الخارجية ، وقد بدأ الاسطول الاندلسي بداية متواضعة كما ذكرت ، ولكنه سرعان ماتطور الى أن وصل الى ماوصل اليه في عصر الخلافة الذى يعتبر العصر الذهبي للبحرية الأندلسية ، واستطاع الأسطول الأندلسي أن يفرض السيطرة والسيادة البحرية على المياه المحيطة بالأندلس ، فبعد أن كان دور الاسطول مقتصرا على صد الهجمات الخارجية أصبح يقوم بحراسة الشواطئ الأندلسية ويؤمن الحماية اللازمة لها ، ويقوم بمهاجمة الأعداء في عقر دارهم .

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٧٠ .

(٢) د. حسين مؤنس ، أثر ظهور الاسلام في الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر الابيض المتوسط ، ص ١٠٩ ، وانظر ايضا د. احمد مختار العبادى ، دراسات في الحضارة العربية ، مرجع سابق ص ١٩٥ .

(٣) و (٤) نفس المرجعين ، ص ١٠٩ ، ص ١٩٥ .

مطابقة أعمال الحكومة الاسلامية
مع الواقع العملي للامويين بالاندلس

ذكرت في التمهيد الطريقة التي تتم بها اختيار الخليفة أو الامام أو الامير ، والطريقة التي اختير بها الخلفاء الراشدون ، ووظيفة الحكومة الاسلامية .

ومن خلال العرض الذي قدمناه عن الامراء الامويين في الاندلس ، ومدى اتفاق أعمالهم مع أعمال الحكومة الاسلامية نلاحظ :

أولا : اختيار الامير .

كان اختيار الامير يتم "بعهد الامام من قبل" . وهو أحد طرق انعقاد الامامة التي ذكرتها كتب الاحكام السلطانية . وكان كل أمير من أمراء بني أمية في الاندلس خلال هذه الفترة يعهد بالامر الى ابنه بدءا من الامير عبد الرحمن بن معاوية وانتهاءا بالامير محمد . أما الامير عبد الله فقد تولى الامارة بعد وفاة أخيه المنذر ، وهي الحالة الأولى التي يتولى فيها الاخ بعد أخيه ، دون ان تكون هناك "بيعة متقدمة ولاوصية متبعة" كما عبر بذلك ابن حيان (١) . وذلك نظرا لقصر مدة امارة المنذر والظروف التي توفي فيها .

أما الامير عبد الرحمن بن محمد ، فقد تولى الامر بعد وفاة جده ، الذي عهد اليه من قبل .

ونلاحظ على طريقة الاختيار أنها قائمة على الوراثة . وقد أخذ الامويون في الاندلس هذا النظام عن أسلافهم في

---

(١) انظر : المقتبس ١/٣ .

المشرق . وهذه الطريقة لاتتفق مع طريقة اختيار الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، اذ اصبح الامر محصورا فى نطاق الاسرة الاموية فقط .

وكانت ولاية العهد من المشكلات العصيبة التى واجهت بعض الامراء الامويين ، وكادت هذه المشكلة ان تعصف بالبيت الاموى فى بعض الاحيان ، وقد واجهتها الامارة الاموية فى فترات عديدة نتيجة للاطماع الشخصية التى كانت تعترى بعض افراد الاسرة الاموية الحاكمة .

ثانيا : البيعة .

"البيعة هى العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد اميره على ان يسلم له النظر فى أمر نفسه وأمور المسلمين لاينازعه فى شىء من ذلك ، ويطيعه فيما يكلفه به من الامر على المنشط والمكره" (١) .

وكان امراء بنى امية فى الاندلس بعد اختيارهم لمن سيخلفهم فى الحكم يأخذون له البيعة ، وبعد تولى الامير مقاليد الحكم ، يبايع مرة اخرى "بيعتى الخاصة والعامة" ، والخاصة هم "اهل الحل والعقد" من الامراء ، والفقهاء ، والوزراء ، والقضاة . وتتم هذه البيعة داخل القصر . اما بيعة العامة فتتم فى المسجد الجامع . ومن ثم يستمد الامير شرعيته ويباشر مهامه .

وظيفة الحكومة فى الاندلس :

فيما يتعلق بوظيفة الحكومة الاسلامية فى الاندلس خلال هذه الفترة ، نستطيع القول : ان حكومة بنى امية فى الاندلس

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦١ .

خلال هذه الفترة ، قد التزمت بالشريعة الاسلامية مع وجود بعض التجاوزات . فقد قامت الحكومة الأموية بتطبيق العدالة ، والشورى ، والمساواة ، بين أفراد الرعية . فقد كان النظام يقوم على احترام العلماء والفقهاء ، وتقريبهم ، والاستفادة من مشورتهم ونصائحهم ؛ فالداخل لم يكن يبرم أمراً دون أن يستشير فيه (١) . وسار خلفه من بعده كذلك على هذا المنوال . كذلك فقد اتصف الحكام بصفة العدل ، وهي من أهم الصفات التي ينبغي أن تتوافر في الحاكم المسلم .

وفيما يتعلق بـ« استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء » (٢) ، فقد كانت الحكومة الأموية تختار أكفأ الموظفين والعمال ، لإدارة أعمال الدولة المختلفة ، فكان الجهاز الاداري الأموي منظماً منضبطاً .

كذلك قامت الحكومة الأموية خلال هذه الفترة ، بتنظيم موارد ومصارف بيت المال ، حسب قواعد الشريعة الاسلامية .

وقامت الحكومة الأموية بواجبها تجاه الأمن الداخلي ، بحماية البيضة والذب عن الحريم ، وبسطت الأمن داخل حدود الدولة . كذلك قامت الحكومة بواجبها في صد الأخطار الخارجية ، بتحصين الثغور بالعدة المانعة ، وأقامت التنظيمات والترتيبات العسكرية ، التي عملت على حماية الدولة . كما قامت الحكومة بمجاهدة أعداء الإسلام، ولم تتوان في ذلك .

أما فيما يتعلق بمباشرة الأمير أو الخليفة للأمور بنفسه ، وذلك لينهض «بسياسة الأمة وحراسة الملة»(٣)، فقد كان أمراء وخلفاء بني أمية خلال هذه الفترة، يباشرون الأمور بأنفسهم ، ويتصفحون أحوال الأمة ، ويسهرون على رعاية مصالحها .

---

(١) انظر النويري ، نهاية الأرب ، ٢٣/٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

شارات الأمارة والخلافة وعلاماتها

(١) الدعاء في الخطبة :

يقول ابن خلدون : « وأما الدعاء على المنابر في الخطبة ، فكان الشأن أولا عند الخلفاء ولاية الصلاة بأنفسهم فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضى عن أصحابه ... وأول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس ، دعا لعلي رضي الله عنهما في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها ، فقال : « اللهم انصر عليا على الحق ، واتصل العمل على ذلك فيما بعد » (١) . « وصار الدعاء للخليفة علامة سلطانه على الرعية ، وحذف اسمه علامة خلعه من الخلافة » (٢) .

وقد حرص الأمويون في الأندلس على أن تكون الخطبة لهم على المنابر فالأمير عبدالرحمن بن معاوية كان « يصلي بالناس إذا كان حاضرا الجمع والأعياد ويخطب على المنبر » (٣) . أما خلفه فقد كان يخطب لهم على المنابر دلالة على سلطانهم وشرعية امارتهم .

(٢) السكة :

« وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد»(٤). وهي من شارات الخلافة والسلطنة وضربت في الاندلس ابتداء من عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط ، وتدل على الاستقلال الاقتصادي للدولة كما أشرنا إلى ذلك من قبـــل.

---

(١) المقدمة ، ص ٢٣٢ .

(٢) د. أحمد رمضان ، الخلافة في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٥٠ .

(٣) ابن حيان برواية المقري ، نفح الطيب ، ٣٧/٣ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٢ .

(٣) الخاتم :

« وأما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده ، وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الى قيصر فقيل له : ان العجم لايقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله » (١) .

وقد ذكرت انه كان لكل أمير أموي خاتم له نقش خاص به .

(٤) السرير :

وهو عبارة عن أعواد منصوبة أو أريكة منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعا عن أهل مجلسه (٢) .

وكان الجلوس على السرير أول شيء يهتم به الأمير الجديد في الأندلس لتصح له الأمارة (٣) .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢٢ .

(٣) انظر ص من هذا البحث .

خاتمة البحث

في ختام هذه الدراسة نستخلص مايلى :

أولا : خلص البحث الى ان دخول الامويين الى الاندلس كان فاتحة خير لهذه الجزيرة ، ونقطة تحول كبرى فى تاريخها ، فقد كانت الاندلس عند مجيء الامويين اليهاسنة ١٣٨هـ عبارة عن ولاية تتبع اداريا صاحب القيروان ، وتخلو تماما من المظاهر السلطانية والتنظيمات الادارية ، وتتنازعها الاهواء والحروب القبلية .

ولما دخلها الامويون استطاعوا تحويلها الى امارة قوية ومن ثم الى خلافة مستقلة استقلالا تاما فى ادارة شئونها الداخلية والخارجية ، وصارت دولة ذات كينونة وسيادة يهابها الاعداء . وقد حاولت الخلافة العباسية اعادتها الى تبعيتها لكنها لم تفلح .

كما استطاع الامويون فى الاندلس خلال الفترة الممتدة من ١٣٨ ـ ٣٦٦هـ بناء حكومة قوية تقوم على تطبيق الشريعة الاسلامية نظاما للدولة ومنهجا للحياة . وكانت الدولة الاسلامية فى الاندلس خلال فترة البحث أنموذجا فريدا من النماذج التى قدمتها الامة الاسلامية للبشرية فى ذلك الوقت .

* اكد البحث ان نظام الحكم لم يكن استبداديا قهريا ، وانما كان نظاما اسلاميا يقوم على العدل والشورى واحترام الرعية ، وقد توحدت الدولة فى ظل الامراء الاقوياء ، وتفككت اوصالها فى عصور الضعف التى اعترتها .

وكانت ولاية العهد من المشكلات التى واجهت الدولة طيلة فترة الامارة ، وكادت تعصف بالامارة الاموية فى بعض الاحيان .

وقد تمثلت أهم الرسوم السلطانية في : الدعاء للأمير او الخليفة بعد صلاة الجمعة ، والبيعة الخاصة والعامة في حالة تولي أمير أو خليفة مقاليد الحكم ، والجلوس على السرير ، وكان من أهم الرسوم السلطانية للأمويين بالاندلس ، وكان لكل امير او خليفة خاتم له نقش خاص به ، وكانت السكة من أهم الرسوم السلطانية التي اهتم بها الأمويون ايضا ، وهي تدل على استقلال الدولة الاقتصادي .

* اثبت البحث انه في خلال الفترة ١٣٨ - ٣٦٦هـ/٧٥٥ - ٩٧٦م ، توطدت التنظيمات الادارية والقضائية والمالية والعسكرية للدولة ، وازدهرت حيث ظهرت الى الوجود بصورة مشرقة ، وجل هذه التنظيمات لم تعرفها الأندلس من قبل ، وتتجلى ابرز هذه التطورات التي اوجدتها الدولة الأموية خلال هذه الفترة في المؤسسات التي اصطلح على تسميتها بخطط ، ومعناها الولايات ، أو النظم وهي تقابل مسمى الدواوين في المشرق .

ومن هذه المؤسسات : الوزارة والحجابة . وقد اخذت الوزارة معناها الحقيقي بدءا من عصر الامير عبد الرحمن الاوسط ، ولقب الوزير بذي الوزارتين وذي السيفين ، في عصر الخلافة ، أما الحاجب في الأندلس فقد كان بمثابة رئيس للوزراء .

ومن الخطط الادارية الأخرى : خطة الكتابة . وتنقسم في الأندلس الى قسمين : كاتب الرسائل ويتمتع بمكانة عالية في الدولة . وكاتب الزمام ، وهو الذي يشرف على ضبط الأموال العامة للدولة .

ومن الخطط ايضا خطة البريد . وقد اهتم بها الأمويون في الأندلس ايما اهتمام خاصة وان الاحداث في الأندلس كانت من

الضخامة بحيث تطلبت انشاء شبكة بريدية منتظمة ، لتتولى نقل الاخبار الى العاصمة قرطبة فى اسرع وقت ممكن .

ومن الخطط ذات الصفة الادارية والقضائية خطتا الشرطة والمدينة ، وهما خطتان متداخلتان الى حد كبير ، الا أن صاحب المدينة وهو حاكمها او محافظها هو الذى يرأس صاحب الشرطة .

وكان لهذه الخطط الادارية مكاتب مقامة بداخل القصر ، عند باب السدة ، حيث يسهل الاتصال باصحاب هذه الخطط ، كما يسهل الاشراف عليهم من قبل الامير أو الخليفة .

* كشف البحث عن الاهتمام الكبير الذى أولاه أمراء وخلفاء بنى أمية فى الاندلس للعلم والعلماء وطلاب العلم ورعايتهم لهم . ونتيجة لهذه الرعاية فقد ازدهرت العلوم الدينية كالقراءات والتفسير والفقه والحديث والعلوم التجريبية كالطب والهندسة والفلك والرياضيات .

* توصل البحث الى أن الامويين فى الاندلس قد نظموا الادارة الاقليمية تنظيما جيدا ، وأدخلوا بعض الوحدات الادارية ببنائهم لعدد من المدن الجديدة ، كما انشئت امارة للثغور ومقرها سرقسطة ، وامارة البحر ومقرها المرية .

* تبين لنا من خلال البحث أن خطة القضاء كانت من أهم واقوى خطط الدولة ، وكان القضاء مستقلا استقلالا تاما ، وللقضاة مكانتهم العالية فى الدولة ومنزلتهم الرفيعة ، وكان حكم القاضى ينفذ على كل شخص فى الدولة ، مهما كان موقعه بما فيهم الامير او الخليفة .

كما استحدث الامويون خطة قضائية عرفت باسم "خطة الرد" وكان صاحبها يحكم فيما استرابه القضاة وردوه عن انفسهم . وهذه الخطة خاصة بالاندلس اذ لم نجد لها مثيلا فى المشرق .

وكانت هناك خطة للمظالم في الاندلس ، ولكن لما كانت خطة القضاء قوية مرهوبة الجانب فقد اغنت كثيرا عن خطة المظالم .

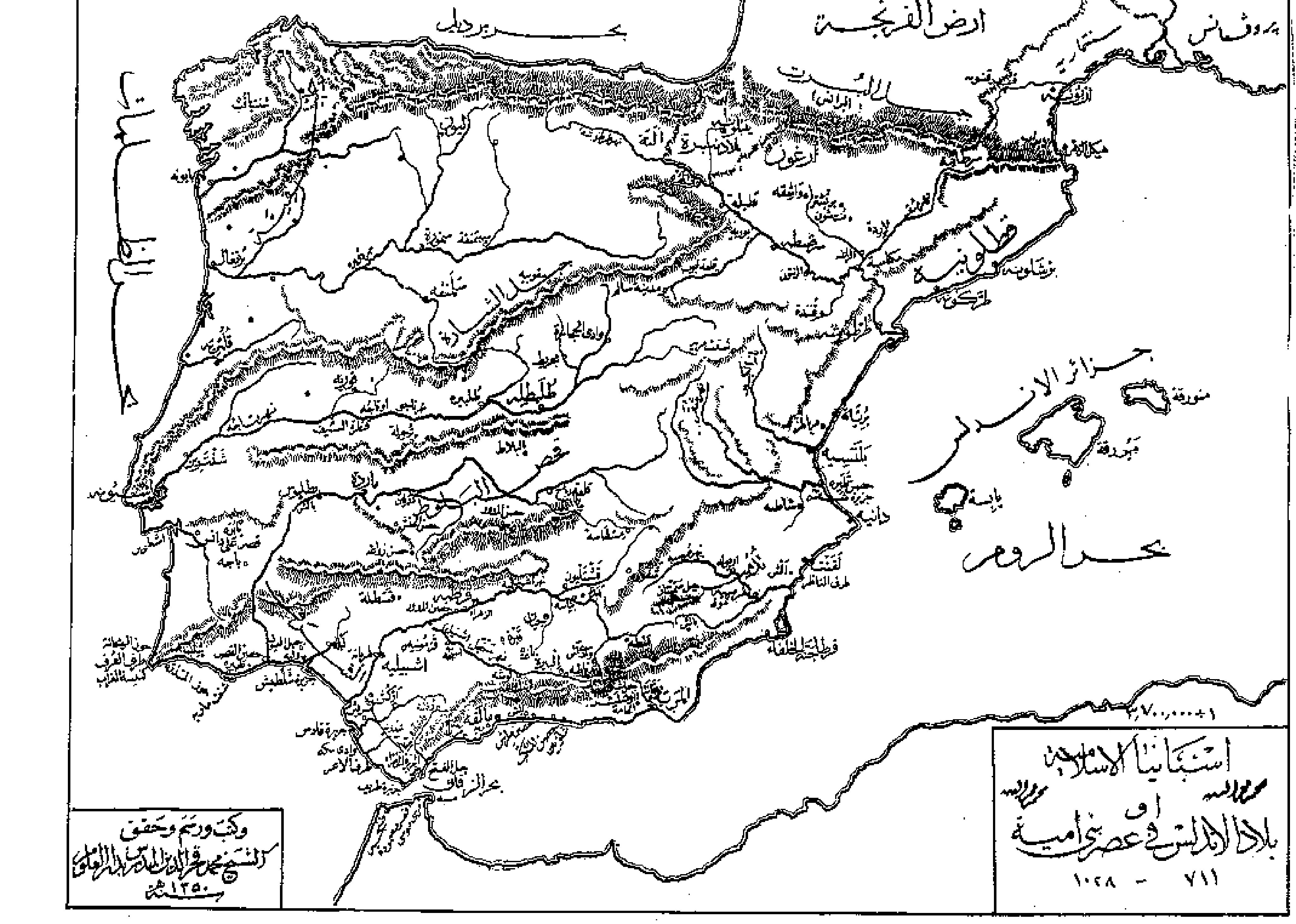
اما الحسبة فقد عرفت في الاندلس باسم "ولاية السوق" وقد شملت اختصاصات المحتسب في الاندلس كافة أوجه النشاط الاقتصادي الذي كان يمارسه الاندلسيون في ذلك الوقت ، كما شملت اختصاصاته مراقبة سلوك أفراد المجتمع وتقويم ما اعوج منه .

* أكد البحث أن النظام المالي في الاندلس كان يسير وفق أحكام الشريعة الاسلامية ورجح القول بصحة تقسيم وتخميس ارض الاندلس .

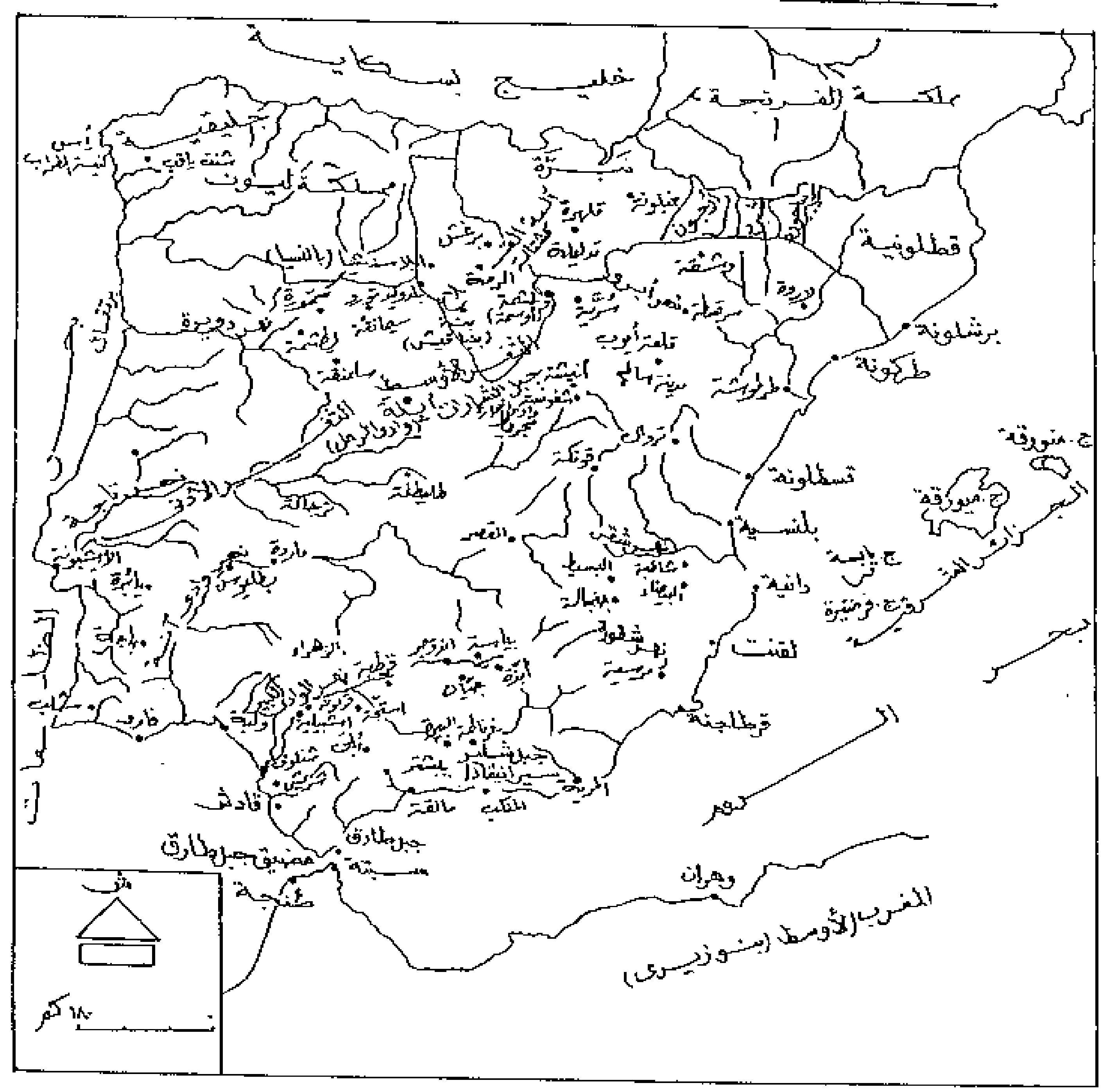
* كشف البحث عن الاهتمام الكبير الذي أولاه الامويون بالاندلس لتكوين جيش نظامي مدرب ، بعد ان كانت الخدمة العسكرية طوعية ، وذلك لمجابهة اعداء الدولة الذين كانوا يحيطون بها من كل جانب في الداخل والخارج . وفي فترة وجيزة صار الجيش الاسلامي الاندلسي من أحسن الجيوش تنظيما وتدريبا وتسليحا وخبرة باساليب القتال برا وبحرا .

وكان للتنظيمات العسكرية الاندلسية البرية والبحرية اثر كبير في استنهاض همم المسلمين ودفعهم للجهاد الاسلامي فحققوا انتصارات كبيرة في الداخل والخارج .

ومن خلال هذا العرض نرى أن الامويين قد تمكنوا بفضل الله من تحويل جزيرة الاندلس ، التي كانت خالية من المظاهر السلطانية عند مجيئهم اليها الى دولة ذات سيادة وقوة ومنعة في جيشها ومؤسساتها القضائية والمالية والادارية ، الامر الذي أظهرها بالمظهر اللائق بها كدولة اسلامية افصحت عن العبقرية الاسلامية في تنظيم المجتمع وحكمه وادارته ، خاصة في الفترة ١٣٨ – ٣٦٦هـ وتعتبر هذه الفترة من أزهى العصور في تاريخ الاندلس الاسلامية .


اسبانيا الاسلامية
او
بلاد الاندلس في عصر بني امية
٧١١ - ١٠٢٨
وكتب ورسم وحقق
سنة ١٣٥٠
ارض الفرنجة
جزائر الاندلس
بحر الروم
قطلونية
منورقة
ميورقة
يابسة
بلنسية
دانية
طليطلة
اشبيلية
المرية
مالقة

الأندلس في عصر الخلافة



المصدر: د. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام

MAP No. 4

تبادل السفارات بين عبد الرحمن
الناصر و صوتو ملك ألمانيا

London
Berlin
Cologne (Köln)
Aachen
Frankfurt
Paris
Verdun
Metz
Langres
Dijon
Beaune
St. Gallen
Chur
Bern
Lyons
Vienne
St. Bernard
Milan
Acqui
Fraxinetum
Marseilles
Nice
St. Tropez
Toulon
Massif des Maures
Bay of BISCAY
GAUL
Pyrenees
Madrid
Lisbon
Barcelona
Tortosa
Cordoba
Seville
Elvira
Granada
Atlantic Ocean
Straits
Gibraltar
MEDITERRANEAN SEA
Algiers
Tunis
Sardinia
Sicily
Rome

Recemundo's route
John's route:
by sea
by land

- A.A. EL - HAJJI:

Andalusain Diplomatic Relations With Western Europe
During the Umayyed Period. DAR AL-IRSHAD, Beirut, 1970.

نقلاً عن:

المصادر والمراجع

اولا : القرآن الكريم .

ثانيا : السنة النبوية .

* ابن حجر : شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)
فتح الباري بشرح صحيح البخاري . تصحيح وتحقيق باشراف الشيخ عبد العزيز بن باز ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان .
* ابو داود : الامام الحافظ ابي داود الاشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)
سنن ابي داود تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طباعة دار الفكر (بدون تاريخ طبع) .
* الامام احمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)
مسند الامام احمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال في سنن الاقوال والافعال . طباعة دار الفكر (بدون تاريخ طبع) .
* مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م)
صحيح مسلم بشرح النووي . الناشر دار احياء التراث العربي ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

ثالثا : المخطوطات .

* ابن ابي زمنين : ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م)
قدوة الغازي ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم (٥٥٤٩) .
* ابن سهل : ابو الاصبغ عيسى بن سهل الاسدي الاندلسي (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م)
الاحكام الكبرى . مخطوط بمركز البحث العلمي – جامعة ام القرى – مكة المكرمة تحت رقم (٢٠٠) فقه .

- ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م).

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .

مخطوط طبع بالتصوير عن مخطوطة (٢٧٩٧) من (ص ١ – ٣٣٨) أحمد الثالث طوبقابي سراى أستانبول .

معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية – فرانكفورت – ألمانيا .

- ابن هذيل : على بن عبد الرحمن بن هذيل (عاش في القرن الثامن الهجرى) .

تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس .

مخطوط نشره بالطبع الفوتغرافي لويس مرسي – المطبعة الشرقية – باريس .

- الداودى : أحمد بن نصر (ت ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م) .

الأمـــوال .

مخطوط مصور بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي – جامعة أم القرى تحت رقم (٤٤) عن مخطوطة الأسكوريال .

- العذرى : أحمد بن عمر بن أنس الدلائي (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) .

ترصيع الأخبار وتنويع الآثار .

مصور بالميكروفيلم بمركز البحث العلمي – جامعة أم القرى تحت رقم (١٨٢٣) .

رابعا : المصادر المطبوعة :

- ابن الآبار : أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩ م) .

= اعتاب الكتاب ،تحقيق د. صالح الأشتر – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م .

= الحلة السيراء . (جزءان)

تحقيق د. حسين مؤنس – الناشر : الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٦٣م .

- ابن أبي دينار : أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرميني القيرواني (ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٩ م) .
المونس في أخبار أفريقية وتونس - تحقيق وتعليق محمد شمام .
الناشر : المكتبة العتيقة / تونس .

- ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن على بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزرى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م).
الكامل في التاريخ ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ،الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م .

- ابن بسام : أبو الحسن على بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د. احسان عباس ،دارالثقافة بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .

- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م).
كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس (جزءان)، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م .

- ابن تغرى بردى : جمال الدين أبي المحاسن بن تغرى بردى الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،الجزء الثالث (بدون تاريخ طبع).

- ابن جلجل : أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (توفى في القرن الرابع الهجرى) .
طبقات الأطباء والحكماء - تحقيق فؤاد سيد - مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٥٥م.

- ابن حبيب : أبو مروان عبدالملك بن حبيب بن سليمان(توفي ٢٣٨هـ/٨٥٢م)
تاريخ ابن حبيب .
نشره د. محمود على مكي ، بمجلة معهدالدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد الخامس ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٧م .

- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيدبن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م)٠
= جمهرة أنساب العرب ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء ،الناشر : دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م٠
= رسالة التلخيص لوجوه التخليص ،تحقيق د٠ احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ الطبعة الأولى ١٩٨١م٠
= (شذرات من كتاب السياسة) مستخرجة من مخطوطة الشهب اللامعة في السياسة النافعة المعروف بسياسة ابن رضوان ،نشره محمد ابراهيم الكتاني في مجلة تطوان المغربية العدد (٨) ١٩٦٢م ٠
= مجموعة رسائل ابن حزم ، تحقيق د٠ احسان عباس ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨١م ٠
= نقط العروس في أخبار الخلفاء ، تحقيق د٠ شوقي ضيف ، منشور بمجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، ١٩٥١م٠

- ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م)٠
صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (بدون تاريخ طبع)٠

- ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمدالقرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)٠
= المقتبس من أنباء أهل الأندلس (قطعة من عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط)٠
تحقيق د٠ محمود علي مكي ،لجنة احياء التراث الاسلامي،المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمصر ، القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١م٠
= المقتبس من أنباء أهل الأندلس (قطعة من عصرالأمير عبدالرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد) تحقيق د٠ محمود علي مكي ،دارالكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ٠

= المقتبس من تاريخ رجال الأندلس (القسم الثالث) خاص بعصر الأمير عبد الله ـ اعتنى بنشره عن النسخة المخطوطة المحفوظة بأكسفورد منشور م . أنطونيه ، باريس ١٩٢٧م.

= المقتبس (الجزء الخامس) خاص بعصر عبدالرحمن الناصر ـ اعتنى بنشره ب . شالميتا وآخرون ،المعهد الأسباني العربي للثقافة ـ كلية الآداب ـ الرباط ، مدريد ١٩٧٩م.

= المقتبس من أخبار بلد الأندلس ،(خمس سنوات من عصر الخليفة الحكم المستنصر) تحقيق د. عبدالرحمن على الحجي ،نشر وتوزيع دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ، ١٩٨٢م.

ـ ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد بن خاقان (ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م).

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ـ ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله السلماني (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م).

= الأحاطة في أخبار غرناطة ،تحقيق محمدعبدالله عنان،الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة،الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م.

= أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق وتعليق ا.ليفي بروفنسال ،دار المكشوف ـ بيروت ـ لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٥٦م .

= اللمحة البدرية في الدولة النصرية ،منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

ـ ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م).

= العبر وديوان المبتدأ والخبر ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٨م.

المقدمة ، توزيع مكتبة الباز – مكة المكرمة ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

المقدمة ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* ابن خلكان : ابو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)

وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق د.احسان عباس ، دار صادر – بيروت (بدون تاريخ طبع) .

* ابن دحية الكلبي : ابو الخطاب عمر بن حسن (ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م)

المطرب من اشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري وآخرون ، الناشر : دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان (بدون تاريخ طبع) .

* ابن سعيد : ابو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

المغرب فى حلى المغرب (جزءان) ، تحقيق د. شوقى ضيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .

* ابن سلام : ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)

كتاب الاموال ، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

* ابن سماك العاملى : ابو القاسم محمد بن أبى العلاء المالقى الغرناطى(ت فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى)

الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار الماثورة ، تحقيق د. محمود على مكى ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* ابن سيده : ابو الحسن على بن اسماعيل اللغوى الاندلسى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)

المخصص ، تحقيق لجنة احياء التراث العربى ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت (بدون تاريخ طبع) .

* ابن شاكر : محمد بن شاكر الكتبى (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق د.احسان عباس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ١٩٧٣م .

- ابن الشباط : محمد بن علي بن الشباط المصري التوزري (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)
وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط ،تحقيق د. أحمد مختار العبادي ، نشر بمجلة معهد الدراسات الاسلامية - مدريد المجلد الرابع عشر ١٩٦٧ - ١٩٦٨م .

- ابن طباطبا : محمد بن علي بن طباطبا العلوي (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م)
الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر- بيروت لبنان ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦م.

- ابن عبدالبر : يحي بن عمر الأندلسي (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١م)
كتاب أحكام السوق (نص جديد في الحسبة) ، نشره د. محمود علي مكي،صحيفة معهد الدراسات الاسلامية - مدريد - العدد الأول- المجلد الرابع ، ١٩٥٦م .

- ابن عبدالحكم : عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م) .
فتوح افريقيا والأندلس ، تحقيق عبدالله أنيس الطباع ، دارالكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨٧م .

- ابن عبدربه : أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م).
العقد الفريد ،تحقيق محمد سعيد العريان ، الناشر : دار الفكر، (بدون تاريخ طبع).

- ابن عبدالرؤوف : أحمد بن عبدالله بن عبدالرؤوف .
في آداب الحسبة والمحتسب ، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥م .

- ابن عبدون : محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي .
رسالة في القضاء والحسبة ،ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٥٥م.

- ابن عذارى : أبو العباس أحمد بن عذارى المراكشي (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥م) .
البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب (الجزء الثاني)
تحقيق ومراجعة ج. س . كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة
بيروت - لبنان (بدون تاريخ طبع) والطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

- ابن غالب الأندلسي : محمد بن أيوب بن غالب الغرناطي .
(عاش في القرن السادس الهجري) قطعة من كتاب فرحة الأنفس
عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة ، نشر وتحقيق د. لطفي عبد
البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية
مصر - المجلد الأول ١٩٥٥م / ١٣٧٥هـ .

- ابن فرحون المالكي :برهان الدين ابراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) .
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق وتعليق
د. محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث للطبع والنشر ،القاهرة
(بدون تاريخ طبع) .

- ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢ م) .
تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتب
الاسلامية القاهرة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . الدار
المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م .

- ابن القوطية : أبو بكر محمد بن عمر بن القوطية (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م) .
تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، الناشرون:
دار الكتب الاسلامية : القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت
دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- ابن كثير : الامام الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر
القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .
البداية والنهاية - طباعة دار الفكر العربي (بدون تاريخ طبع).

* ابن الكردبوس : ابو مروان عبد الملك بن الكردبوس (عاش في اواخر القرن السادس الهجرى) .
تاريخ الاندلس ، نشر وتحقيق د. احمد مختار العبادى ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية - مدريد - المجلد الثالث عشر ١٩٦٥-١٩٦٦م .
* ابن منظور : جمال الدين أبي الفضل محمد جلال الدين بن مكرم الافريقى المصرى (ت ٧١١هـ/١٣١١م)
لسان العرب ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى ، دار لسان العرب ، بيروت لبنان (بدون تاريخ طبع) ،
دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .
* ابن هذيل : على بن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسى (عاش في القرن الثامن الهجرى) .
حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م .
* ابن هشام : ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميرى (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م)
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، منشورات دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان (بدون تاريخ طبع) .
* ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)
تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون مان كوكين ، طبع في مدينة باريس ١٨٤٠م .

* ابو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، المركز التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان (بدون تاريخ طبع) .

* ابو يعلى : محمد بن الحسين الفراء الحنبلى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)
الاحكام السلطانية ، تحقيق محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى البغدادى (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)
الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* الادريسى : ابو عبد الله محمد الشريف السبتى (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)
صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ماخوذة من كتاب "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق" طبع فى مدينة ليدن بمطبعة بريل ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

* الانصارى : عمر بن ابراهيم الأوسى الانصارى (عاش فى القرن التاسع الهجرى)
تفريج الكروب فى تدبير الحروب ، تحقيق جورج اسكانلون القاهرة ١٩٦١م .

* البكرى : ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب بن عمرو البكرى (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق د.عبد الرحمن الحجى ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م

* البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة (بدون تاريخ طبع) .
* الجرسيفي : عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي .
رسالة في الحسبة ، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٥٥م .
* الجهشياري : ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م)
كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ، الطبعة الاولى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .
* الجوهري : اسماعيل بن حماد الجوهري
تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
* الحميدي : ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي (ت ٤٨٨هـ//١٠٩٥م)
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٦م .
* الحميري : ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري
الروض المعطار في خبار الاقطار ، تحقيق د.احسان عباس مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .
صفة جزيرة الاندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها ا.ليفي بروفنسال . (بدون تاريخ طبع) .
* الخشني القروي : ابو عبد الله محمد بن الحارث (ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م)

قضاة قرطبة ، تحقيق ابراهيم الابياري ، الناشر : دار الكتب الاسلامية ، القاهرة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)

تاريخ بغداد او مدينة السلام . الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ طبع) .

* الخوارزمي : محمد بن احمد بن يوسف (ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م)

مفاتيح العلوم ، طباعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ طبع) .

* الرازي : محمد بن ابي بكر الرازي

مختار الصحاح ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، اليمامة للطباعة والنشر ، دمشق ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الزبيدي : ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م)

طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ـ القاهرة ، ١٩٧٣م .

* الزبيدي : محب الدين ابي الفيض الحسيني الواسطي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية بمصر الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ .

* السقطي : ابو عبد الله محمد بن محمد المالقي الأندلسي

في آداب الحسبة ، تحقيق جي اس كولن وليفي بروفنسال ، باريس (بدون تاريخ طبع) .

* السلاوى : ابو العباس احمد بن خالد الناصرى السلاوى (ت ١٣١٥هـ/١١٠٦م)
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق وتعليق الاستاذ جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤م .
* السمنانى : على بن محمد بن احمد الرحبى السمنانى (ت٤٩٩هـ/١١٠٦م)
روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق د. صلاح الدين الناهى ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م .
* السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)
تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
* الصابىء : ابو الحسين هلال بن المحسن الصابىء (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)
رسوم دار الخلافة ، عنى بتحقيقه ميخائيل عواد ،دار الرائد العربى ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ .
* صاعد الاندلسى : ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد (ت ٤٦٢هـ/١٠٦٩م)
كتاب طبقات الامم ، نشره الاب لويس شيخو اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين - بيروت ١٩١٢م.
* الضبى : احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)
بغية الملتمس فى تاريخ رجال اهل الاندلس ، دار الكاتب العربى ١٩٦٧م .
* الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)
تاريخ الامم والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

دار سويدان ، بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ طبع) .

* الطرطوشي : ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد القرشي الفهري الاندلسي الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)
سراج الملوك ومنهاج الولاة والوزراء ، طبع بالاسكندرية بالمطبعة الوطنية من قبل انطون افندى غندور عام ١٢٨٩هـ زمن الخديوى اسماعيل .

* العذري : احمد بن عمر بن انس العذري المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)
نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق د. عبد العزيز الاهواني ، منشورات معهد الدراسات الاسلامية ـ مدريد ١٩٦٥م .

* عياض ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك ، تحقيق د. احمد بكير محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

* الغساني : ابو عبد الله محمد بن عبد الوهاب (ت ١١١٩هـ/١٧٠٧م)
رحلة الوزير في افتكاك الاسير ، تحقيق وتعليق الفريد البستاني ، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو (بدون تاريخ طبع) .

* قدامة : ابو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م)

الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدى ،
دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١م .
* القرشى : ادريس بن عماد الدين القرشى (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)
عيون الاخبار وفنون الآثار فى فضائل الائمة الاطهار ،
حققه وكتب مقدمته د. مصطفى غالب ، دار الأندلس
للطباعة والنشر - بيروت (بدون تاريخ طبع) .
* القرمانى : ابو العباس أحمد بن يوسف بن احمد الدمشقى
الشهير بالقرمانى
كتاب اخبار الدول وآثار الاول فى التاريخ ، عالم
الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبى - القاهرة ، مكتبة
سعد الدين - دمشق (غير محقق وبدون تاريخ طبع) .
* القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (ت ٦٨٢هـ/
١٢٨٣م)
آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر - بيروت (بدون
تاريخ طبع) .
* القلقشندى : ابو العباس احمد بن على القلقشندى (ت ٨٢١هـ
١٤١٨م)
صبح الاعشى فى صناعة الانشاء نسخة مصورة عن الطبعة
الاميرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
* الماوردى : ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى
الشافعى (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، منشورات دار
الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

- مجهول المؤلف :
أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الأبياري ،الناشرون دار الكتب الاسلامية (القاهرة - بيروت) الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ٠

- مجهول المؤلف :
رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس ، تحقيق د٠ حسين مؤنس ، نشر بمجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثامن عشر ١٩٧٤ - ١٩٧٥م ٠

- مجهول المؤلف :
العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، عنى بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه عمر السعيدى ، دمشق ١٩٧٢م ٠

- مجهول المؤلف :
نبذ تاريخية فى أخبار البربر في القرون الوسطى ، منتخبة من الكتاب المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ألفه سنة ٧١٢هـ اعتنى بنشرها وتصحيحها ليفى بروفنسال ، المغرب ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م٠

- مجهول المؤلف :
نبذة من أخبار فتح الأندلس ، مأخوذة من الرسالة الشريفية الى الأقطار الأندلسية ، بذيل كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ،بيروت ١٩٥٧م ٠

- مجهول المؤلف :
وصف جديد لقرطبة ، تحقيق د٠ حسين مؤنس ،صحيفة معهد الدراسات الاسلامية - مدريد المجلد الثالث عشر ١٩٦٥ - ١٩٦٦م ٠

- المجيليدى : أحمد سعيد المجيليدى (ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)
التيسير في أحكام التسعير ، تقديم وتحقيق موسى لقبال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - الطبعة الثانية ١٩٨١م ٠

- المقدسي المعروف بالبشاوري (ت حوالي ٣٨١هـ/٩٩١/٩٩٢م)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٩م ، أعادت طبعة بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .

- المراكشي : أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)

المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى آخر عصر الموحدين ، ضبطه وصححه وعلق حواشيه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، دار الكتاب - الدار البيضاء ، الطبعة السابعة ١٩٧٨م .

- المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م)

= التنبيه والاشراف ،عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله اسماعيل الصاوي ، تاريخ الطبع ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، أعادت طبعة بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .

= مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ،الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

- مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)

كتاب تجارب الأمم ، طبع بمصر سنة ١٣٣٢هـ ، توزيع مكتبة المثنى ببغداد .

- المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ت ١٠٤١هـ/١٦٣٢م)

= ازهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م .

= نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر - بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

- المقريزى : تقى الدين أبى العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) .
= اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، لجنة احياء التراث الاسلامي - القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م .

= المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة (بدون تاريخ طبع) .

- النباهى : أبو الحسن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى الاندلسى (عاش في القرن الثامن الهجرى) .
تاريخ قضاة الاندلس ، والمسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م .

- القاضى النعمان بن محمد (قاضى قضاة الدولة الفاطمية) (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م) .
رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضى ، دار الثقافة بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٧٠م .

- النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)
نهاية الأرب في فنون الأدب (الجزء الثالث والعشرون) تحقيق د. أحمد كمال زكى ، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .

- الونشريسى : أحمد بن يحى الونشريسى (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م)
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب (المجلد الثالث) أشرف على نشره د. محمد حجى ، دار الغرب الاسلامي - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

- ياقوت الحموى : شهاب الدين أبى عبد الله بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .
معجم البلدان ، دار صادر - بيروت (بدون تاريخ طبع) .

خامسا : المراجع العربية والاجنبية المعربة .

* ابراهيم احمد العدوى :
قوات البحرية في مياه البحر المتوسط ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة - القاهرة .

* ابراهيم زكي خورشيد وآخرون :
دائرة المعارف الاسلامية ، أصدرها بالانجليزية والفرنسية والالمانية عدد من المستشرقين في العالم ، اعداد وتحرير ابراهيم زكي خورشيد ، احمد الشنتاوي ، د. عبد الحميد يونس ، كتاب الشعب - القاهرة ، المجلد الثامن (بدون تاريخ طبع) .

* د. ابراهيم علي طرخان
المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ، الناشر : مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٦م .

* د. ابراهيم نجيب عوض
القضاء في الاسلام تاريخه ونظامه ، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

* ابراهيم ياسر الدوري :
عبد الرحمن الداخل في الاندلس وسياسته الخارجية والداخلية ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية منشورات وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٢م .

* د. احسان عباس
تاريخ الادب الاندلسي ، دار الثقافة - بيروت - لبنان ، الطبعة السابعة ١٩٨٥م .

* د. احمد رمضان :
الخلافة في الحضارة الاسلامية ، دار البيان العربي للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* د. احمد السيد دراج :
صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الاسلامية ، مطبوعات رابطة العالم الاسلامي – سلسلة دعوة الحق العدد (٨) السنة الاولى ١٤٠١هـ .
* د. احمد فكرى :
قرطبة فى العصر الاسلامى ، تاريخ وحضارة ، الناشر : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع – الاسكندرية ١٩٨٣م .
* د. احمد مختار العبادى :
تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٨م .
نظم الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية ضمن كتاب "دراسات فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية " للاساتذة د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، د. سعد زغلول عبد الحميد د. احمد مختار العبادي ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* انور الرفاعى :
النظم الاسلامية – دار الفكر – دمشق ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
* انيس زكريا النولى :
الدولة الاموية فى قرطبة ، طبع فى المطبعة العصرية – بغداد ١٩٢٦م .
* آدم متز :
الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده ، الناشر : دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* انخل جنثالث بالنثيا :
تاريخ الفكر الاندلسي ، نقله عن الاسبانية د. حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٥٥م .
* د. توفيق سلطان اليوزبكي :
دراسات في النظم العربية والاسلامية ، طبع بمطابع مؤسسة الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .
* د. حسن ابراهيم حسن ، ود. علي ابراهيم حسن :
النظم الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية (بدون تاريخ طبع) .
د. حسين مؤنس :
تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
رحلة الاندلس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع – جدة الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
فجر الاندلس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع – جدة – الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* حيدر بامات :
مجالي الاسلام ، تعريب عادل زعيتر ، طبع القاهرة ١٩٥٦م
* خليل ابراهيم صالح السامرائي :
الثغر الاعلى الاندلسي "دراسة في أحواله السياسية" ، مطبعة اسعد بغداد – ١٩٧٦م .
* خير الدين الزركلي :
الاعلام ، الناشر : دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٨٤م .

* د. رجب محمد عبد الحليم :
العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية فى عصر بنى امية ، دار الكتب الاسلامية ـ القاهرة ـ بيروت (بدون تاريخ طبع) .

* رينو :
تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، تعريب شكيب ارسلان ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ـ مصر ١٣٥٢هـ .

* د. زيغريد هونكه :
شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله عن الالمانية فاروق بيضون وكمال دسوقى ، منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ، الطبعة السادسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* د. سعيد عبد الفتاح عاشور :
اوربا فى العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ١٩٧٢م .

* د. السيد ابو العزم داود :
القضاء والقضاة بالاندلس من الفتح الى نهاية عهد المرابطين ، مصر ١٩٩٠م .

* سيد امير على :
مختصر تاريخ العرب ، نقله الى العربية عفيف البعلبكى دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٨١م .

* د. السيد عبد العزيز سالم ، ود. احمد مختار العبادى :
تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ١٩٦٩م .

* د. السيد عبد العزيز سالم :
تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، الناشر : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٨٤م .

* د. شوقي ضيف :
تاريخ الادب العربي ، عصر الدول والإمارات (الاندلس) دار المعارف ، مصر – القاهرة ١٩٨٩م .

* د. صلاح الدين المنجد :
معجم بني أمية ، مستخرج من تاريخ دمشق ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ١٩٧٠م .

* ظافر القاسمي :
نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي ، دار النفائس – بيروت – لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* عبد الحميد العبادي :
المجمل في تاريخ الاندلس ، جمع مادته ونسقها احمد ابراهيم الشريف وراجعه د. احمد مختار العبادي ، دار القلم ، الطبعة الثانية ١٩٦٤م .

* عبد الرءوف عون :
الفن العربي في صدر الاسلام – دار المعارف – مصر ١٩٦١م

* د. عبد الرحمن علي الحجي :
التاريخ الاندلسي منذ الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار الاصلاح – القاهرة – ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* عبد العزيز بنعبد الله :
معلمة الفقه المالكي – دار الغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

* عبد العزيز العلى النعيم :
نظام الضرائب فى الاسلام ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٧٥م .
* د. عبد الله حمادي :
الموريسكيون ومحاكم التفتيش فى الأندلس ، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر ١٩٨٩م .
* د. عبد الواحد طه ذنون :
الفتح والاستقرار العربى فى شمال افريقيا والاندلس ، دار الرشيد للنشر - منشورات وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية ١٩٨٢م .
* عبد الوهاب خلاف :
السياسة الشرعية أو نظام الدولة الاسلامية ، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٥٠هـ .
* على على منصور :
نظم الحكم والادارة فى الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
* فايز فلاح القيسى :
أدب الرسائل فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
* د. فيليب حتى :
مختصر تاريخ العرب ، ترجمة د. انيس فريحة ، مراجعة د. محمود زايد ، نشر وتوزيع دار الثقافة - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* الكتاني : عبد الحي بن أبي المغافر الحسني الادريسي :
نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية (بدون دار نشر او تاريخ طبع) .
* ليفي بروفنسال :
الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ، دار نهضة مصر - القاهرة .
الحضارة العربية في اسبانيا ، ترجمة د. الطاهر احمد مكي ، دار المعارف - مصر ، الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
سلسلة محاضرات عامة في ادب الاندلس وتاريخها . القاها بين عامي ١٩٤٧م و١٩٤٨م ، ترجمها الى العربية محمد عبد الهادي شعيرة وراجعها عبد الحميد العبادي ، المطبعة الاميرية - القاهرة ١٩٥١م .
* محمد الشريف الرحموني :
نظام الشرطة في الاسلام الى أواخر القرن الرابع الهجري الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م .
* د. محمد ضياء الدين الريس :
النظريات السياسية الاسلامية ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦-١٩٦٧م .
* محمد عبد الله عنان :
الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
تاريخ العرب في اسبانيا ، مطبعة المعادة بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٢٤م .

دولة الاسلام فى الاندلس ، الناشر : مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

* محمد عبد الوهاب خلاف :
وثائق فى احكام قضاء اهل الذمة فى الاندلس ، مستخرجة من مخطوطة الاحكام الكبرى لابن سهل "دراسة وتحقيق" المركز العربى الدولى للاعلام – القاهرة .

* د . محمد فاروق النبهان :
نظام الحكم فى الاسلام – مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٧٤م .

* محمد لبيب البتنونى :
رحلة الاندلس ، مطبعة الكشكول ، القاهرة ، ١٩٢٧م .

* محمد يوسف الكاندهلوى :
حياة الصحابة ، تحقيق نايف العباس ومحمد على دولة ، دار القلم للطباعة والنشر ، دمشق ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* هشام سليم ابو رميلة :
نظم الحكم فى الاندلس فى عصر الخلافة ، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٥م .

* ول ديورانت :
قصة الحضارة مجلد (١٣-١٤) ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٦٥م .

* د . يوسف بن احمد حواله :
بنو عباد فى اشبيلية "دراسة سياسية وحضارية" ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة – الطبعة الاولى ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .

* د. يوسف القرضاوي :
فقه الزكاة ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
* د. يوسف محمد عبد المقصود :
الموارد المالية في الدولة الاسلامية ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ـ الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الدوريات :
* د. أحمد مختار العبادي :
الصقالبة في اسبانيا لمحة عن اصلهم ونشاتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية .
صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ـ مدريد ـ المجلد الثالث عشر ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .
* د. الحبيب الجنحاني :
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لابن حيان ، مجلة المناهل ـ الرباط ـ العدد (٢٩) السنة الحادية عشرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* د. حسين مؤنس :
اثر ظهور الاسلام في الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر الابيض المتوسط .
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الاول ـ العدد الرابع ١٩٥١م .
غارات النورمانيين على الاندلس بين سنتي ٢٢٩-٢٤٥هـ .
المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثاني ، العدد الاولى ـ الثاني ، القاهرة ، مايو ١٩٤٩م .

* د. خليل ابراهيم الكبيسى :
غزوات النورمانيين على الاندلس فى عصر الإمارة الأموية
مجلة المؤرخ العربى - بغداد العدد (٤٠) سنة ١٩٨٩م .
* عبد الرحمن الفاسى :
خطة الحسبة من النواحى النظرية والتطبيقية
والتدوينية ، مجلة المناهل - الرباط - الاعداد ١٨-٢٠
١٤٠٠/١٤٠١هـ .
* د. عبد الواحد طه ذنون :
استقرار القبائل البربرية فى الاندلس .
مجلة أوراق - المعهد الاسبانى العربى - مدريد - العدد
الرابع ١٩٨١م .
تنظيمات الجيش فى الدولة العربية الإسلامية فى الاندلس
فى العصر الأموى .
مجلة المورد - تصدرها وزارة الثقافة والاعلام -
الجمهورية العراقية ، بغداد ، المجلد السابع عشر ،
ربيع ١٩٨٨م .
* محمد عبد العزيز عثمان :
البحرية العربية فى الاندلس .
مجلة المورد - وزارة الثقافة والاعلام - بغداد -
المجلد الثانى عشر ، العدد الرابع ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
* د. محمد عبد الوهاب خلاف :
صاحب الرد والمظالم فى الاندلس .
مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت ، العدد
الرابع عشر ، محرم ١٣٩٨هـ .

صاحب الشرطة في الاندلس .
مجلة أوراق - المعهد الاسباني العربي - مدريد العدد الثالث ١٩٨٠م .

* د. محمد محمد زيتون :
الفتح الاسلامي للاندلس (دراسة وتحليل)
مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* د. محمود عرفة :
تنظيمات الجيش الأموى بالاندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر .
المجلة العربية للعلوم الانسانية - الكويت - المجلد الثامن ، العدد (٣٠) ١٩٨٨م .

* د. محمود علي مكي :
التشيع في الاندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية
صحيفة معهد الدراسات الاسلامية - مدريد - المجلد الثاني ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

المراجـــــع الاجنبيـــــــة :ـ

- A.A. EL - HAJJI:

Andalusain Diplomatic Relations With Western Europe During the Umayyed Period. DAR AL-IRSHAD, Beirut,1970.

- E. LEVI PROVENCAL:

Histoire Del Le Espagne Musulmane Tom III Paris. Editions G. P. Maisonneuve and Laros. 1967.

- IMAMUDDIN S. M.:

Muslim Spain, Leiden, The Netherlands. E. J. Brill, 1981.

- T.B. IRVING.

Falcon of Spain.

Printed at Ashraf Press, Lahore - Pakistan, 1962.

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

النظام الاداري للدولة الأموية بالأندلس

(١٣٨ - ٣٦٦ هـ)

المبحث الثاني : الدواوين والخطط

المبحث الثالث : الادارة الاقليمية وتنظيماتها

الفصل الثالث :

النظام القضائي في الأندلس